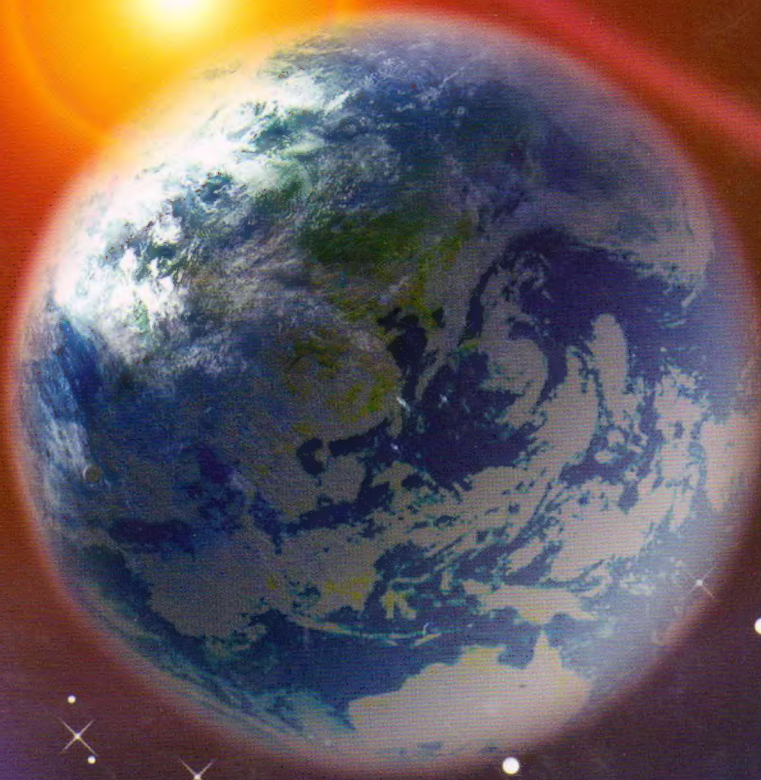


الأولاد السبعة

بين القرآن و البرهان



إنّ الدنيا تمثل للإمام في مثل قلقة الجوز،
وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم
من فوق مائدته ما يشاء فلا يعزب عنه منها شيء .

الإمام الصادق عليه السلام

ضياء السيد عبد الله الحنبل القطيفي

مكتبة فداء



الْوَلَايَةُ التَّكْوِينِيَّةُ

بَيْنَ

الْقُرْآنِ وَالْبَهَانِ

الولاية الشكوية

بَيْنَ

القرآن والبرهان

تأليف

ضياء السيد عابد الحنبل القطيفي

مكتبة دار الفكر

سرشناسه : خباز قطيفي، ضياء
عنوان و نام پديدآور : الهلاية التكوينية بين القرآن و البرهان/ بقلم ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي.
مشخصات نشر : قم: باقيات، ۱۴۳۴ ق.= ۲۰۱۳ م.= ۱۳۹۱.
مشخصات ظاهري : ۴۳۲ ص.
شابک : 978-600-213-074-7
وضعيت فهرست نويسي : فيا
يلداشت : کتابنامه: ص. ۴۰۱ - ۴۲۰: همچنين به صورت زيرنويس.
موضوع : ولايت تکريني
موضوع : ولايت تکريني -- جنبه‌های قرآني
موضوع : ولايت تکريني -- احاديث
رده بندي کنگره : ۱۳۹۱ ۸۲۰خ/۵ BP۲۲۳
رده بندي ديويي : ۲۹۷/۴۵
شماره کتابشناسي ملي : ۳۰۳۱۸۷۶

◀ الهلاية التكوينية بين القرآن و البرهان

◀ السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي

الناشر: باقيات

الطبعة: وفا

الكهية: ۱۰۰۰ نسخة

الطبعة: الاولى

القطع: وزيري

عدد الصفحات: ۴۳۲ صفحة

تاريخ الطبع: ۲۰۱۲ م - ۱۴۳۴ هـ.ق

شابک: ۷-۰۷۴-۲۱۳-۶۰۰-۹۷۸



كافة حقوق الطبع في داخل ايران محفوظة و مسجلة للناسر و مكتبة فذك
وفي حال التعدي على حقوق الدار في خارج ايران سنقوم بالملاحقة
القانونية من قبل وكيلا الشرعي والقانوني في لبنان

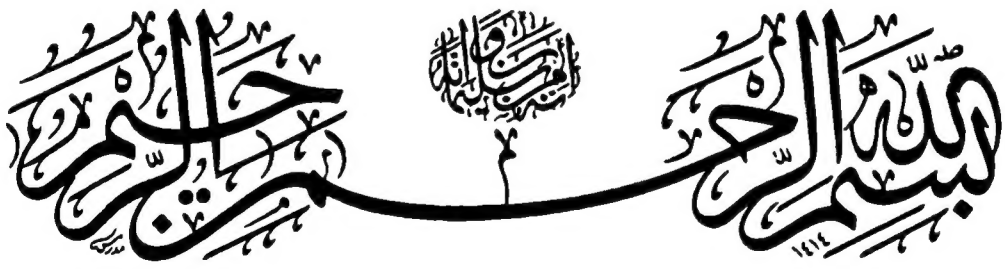
عنوان الناسر: ايران - قم - شارع معلم - رقم ۴۴ - تلفون: ۷۷۴۳۹۰۰

مركز التوزيع: ايران - قم - مجمع الإمام المهدي (عج) - الطابق الأرضي

رقم ۱۱۶، ۱۱۷ - تلفون: ۷۸۳۳۶۲۴

مكتبة فذك

الافتتاحية



﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَئْيُكُم يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ
يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ
بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ
* قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ
أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا
مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾

صدق الله العليُّ العظيم



الافتتاح

إلى سيّدة الكراماتِ الباهرة
إلى الشفيعة في الدنيا قبل الآخرة
إلى ملتقى الأنوار الأربعة الزاهرة
إلى سيّدتني وشفيعتي ومولاتي

أمرّ البُنين

أقدّم هذا المجهود المتواضع وفاءً بالعهد ،
ورجاءً للشفاعة ، وأملًا في القبول ،
وطمعاً في النعيم ، وتطلّعاً للجنة .



عبدك الحقير : ضياء



كلمة سماحة الأستاذ الأعظم ، المرجع الديني الكبير
آية الله العظمى السيد محمد صادق الحسيني الروحاني
(متع الله المؤمنين ببركات وجوده)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسـان ما لم يعلم - وصلى الله على
عليه مدينة العلم محمد المبعوث على الامم ومعلم العرب والعجم - وهاد
الشرح الاقـوم - وعيـن بـقـتـه سـيـدة النساء - واخيه امير المؤمنين
باب مدينة العلم - واولاده الغر الميامين الهداه المهديين
واللعـيب اعدائهم اجمعين
وبعد فقد قدم لي العلامة التقى السيد ضياء السـيد عـدنا الخـبـاز
ما كتبه في الولاية التكوينية وقد اجاد في كتابة ما تصدى
لتحقيقه في هذه المسألة واستيعاب ما يكون مرتبطا بها
والاحاطة بتفاصيلها ودقائقها بما لها من المطالب الشرعية
والفلسفية ... فاسبغ عليها حلة زاهية وجمع بين
حلاوة البيان ودقة المطالب ذلك من نعم الله وآلائه
التي تحقق بان يغبط عليها فليشكر الله على ما اعطاه من
الموهبة العظيمة والمقدرة العلمية ، واسأل الله تعالى
ان يمد في توقيته وان يجعله قدوة للافاضل وللشاهدين
في هذا الحجج ١٤٢٤
مهر ١٤٢٤



مقدمة الطبعة الثانية :



وصلّى الله على أشرف بريّته ، وخير خلقه ، محمّد وآله الطاهرين
واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين أبد الأبدين
أضع - بكلّ فخر واعتزاز - بين يدي قارئى العزيز الطبعة الثانية من
هذا الكتاب ، بعد أن نفدت - بفضل الله تعالى - جميع نسخه ، وصار عزيز
الوجود ، ممّا أوجب تزايد الطلب المُلح بإعادة طباعته ، فأعدت النظر
في فصوله ومطالبه بالمقدار اللازم ، وأضفت إليه الكثير من الإضافات
المهمّة .

وكلّ أُملي ورجائي أن ينال ما بُذِل فيه من الجهد رضا وليّ الله الأعظم
(أرواحُ مَنْ سواه فِداه) ، علّني أفوز منه بنظرةٍ رحيمة ودعوةٍ كريمة ، أنالُ
بها كلّ خير الدنيا والآخرة ، وصلّى الله على محمّد وعترته الطاهرة .

ضياء السيد عدنان الخباز

الجمعة ٢/١٠/١٤٣٣ هـ

المقدِّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على أشرف بريته محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللَّعن الدائم على أعدائهم أجمعين أبد الأبدین وبعد ..

فإنَّ ما بينَ يديكَ - قارئِي العزيز - عبارةٌ عن مجموعة من البحوث التي قمتُ بطرحها ومعالجتها على عدَّةٍ من الإخوة المؤمنين (وفَقَّهم الله تعالى) في أيام العطلة الصيفية من سنة ألفٍ وأربعمائة وثلاثةٍ وعشرين من الهجرة المباركة (على مهاجرها وآله أفضل التحية والسلام) حولَ أحد الثوابتِ والمُرتكزاتِ العقائدية ، ألا وهو: مُعتقد (الولاية التكوينية) للمعصومين عليهم السلام .

وقد استوعبت البحث حوله - والله الحمد - من جميع جوانبه وأبعاده ، رغم ضيق الوقت ، وقصور الفهم ، وقلة التوفيق .

ومن تمامِ نعمِ الله سبحانه وتعالى عليَّ أن قامَ الأخُ الأعزُّ الأستاذُ محمد الحمَّادي (حرسه الله بعين رعايته) بتفريغِ البُحوثِ من الأشرطةِ الصوتية ، وكتابتها وتهذيبها من العبارات المتكررة ، التي كان يقتضيها مقام الشرح والإيضاح .

ومع ذلك فإنَّها بقيت تحتفظُ بطابعها الإلقائي ، ممَّا دعاني إلى القيام بصياغتها صياغةً جديدةً ، مهذباً تارة ومضيفاً تارة أخرى ، حتَّى تمَّ البحث

واكتمل بهذه الصورة الماثلة بين يديك .

فله الحمد أولاً وآخراً ، على ما وفقنا إليه من البحث والإتمام ، وشكر الله
سعي الأخ الأستاذ على ما بذله من جهودٍ مشكورةٍ في كتابة هذه البحوث
وحفظها .

وفي الختام ليس لي من رجاءٍ أرجوه سوى أن تحظى هذه البحوث بنظر
الرضا والعناية من مولى العصر وسلطان الزمان (أرواح جميع الخلق لتراب
مقدمه الفداء) ؛ لتكون لي ولكاتبها زاداً وذخراً ، في كل عقبة من عقبات
الموت ، وما بعد الموت ، والانقطاع عن الدنيا .


مع تقديم خالص الشكر والثناء والتقدير لأساتذتي الأجلاء ، الذين تكبدوا
عناء مطالعة الكتاب ، وإبداء الملاحظات النافعة على موارد الضعف والخلل
فيه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين
واللعن المؤبّد على أعدائهم أجمعين

ضياء السيد عدنان الخباز

القطيف . المدارس

ليلة الأربعاء ٧/٧/١٤٢٥هـ



البحث الأول

اصطلاح (الولاية التكوينية)

بين المفردة و التركيب

وتنقيح البحث الذي نحن بصددده يتمُّ ببيان نقاط أربع :

النقطة الأولى : التعريف اللّغوي للولاية التكوينية .

مصطلح (الولاية التكوينية) مركّب من مفردتين : الولاية ، والتكوينية ؛ ولأجل إيضاح المقصود منه لا بدّ من إيضاح كلتا المفردتين .

فنقول : أمّا مفردة (التكوينية) فهي مأخوذة ومشتقة من الكون ، والكونُ معناه اللّغوي هو : الحدث^(١) . تقول : كونه فتكوّن ، أي : أحدثه فحدث ، وهذا يعني أنّ مفردة (التكوين) مساوقة لمفردة (الإحداث والإيجاد) ، وهذا المعنى اللّغوي هو مقصود القائلين بالولاية التكوينية اصطلاحاً ؛ لأنّها تعني عندهم قدرة المعصوم ﷺ على الإحداث في الكون ، وبهذا يتّضح أنّ التعبير عن هذه الولاية - من هذه الجهة - بالولاية التكوينية تعبير دقيق جداً .

(١) قال ابن منظور في لسان العرب - مادة (كون) : ١٢ : ١٩١ ، وما بعدها من الصفحات : الكونُ : الحدث .. والكائنة : الحادثة .. وكونه فتكوّن : أحدثه فحدث .. وكوّن الشيء : أحدثه . والله مكوّن الأشياء يخرجها من العدم إلى الوجود .

وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط - مادة (كون) : ٤ : ٢٦٦ : الكون : الحدث كالكينونة ، والكائنة : الحادثة ، وكونه : أحدثه . واثة الأشياء : أوجدها .

ويُتَّضح أيضاً: أنَّ ما يشير إليه بعض الباحثين المعاصرين من «أنَّ التعبير الصحيح هو: الولاية الكونية وليس الولاية التكوينية»، ليس على ما ينبغي؛ لعدم التناسب بين الهيئة الاشتقاقية المذكورة وبين المراد الجدِّي من مفردة (الولاية)، وهو السلطة؛ إذ المناسب إضافة مفردة الولاية لمفردة التكوين المساوقة لمفردة الإحداث، ليكون مدلول المفردتين هو سلطة المعصوم عليه السلام وقدرته على الإحداث والإيجاد والتصرُّف، وأمَّا إضافة مفردة (الولاية) بما لها من المراد الجدِّي، إلى مفردة (الكون) فإنَّها أقلُّ وضوحاً في أداء المعنى المذكور.

وأمَّا المفردة الأولى من العنوان، وهي مفردة (الولاية)، فقد ذُكرت لها في معاجم اللُّغة العديدُ من المعاني، كالنصرة والمحبة والسلطنة، وغيرها.

ويُتَّضح ذلك في بحث المتكلمين حول معنى الولاية في حديث النبي صلى الله عليه وآله المتواتر عند الفريقين: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلَيَّ مَوْلَاهُ»^(١)، وكذلك في بحثهم حول آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢)، حيث يثير أبناء العامة في كلا الموردين أنَّ الولاية فيهما ليست بمعنى السلطنة والإمرة والألوية، وإنَّما المقصود بها هي النصرة أو المحبة أو بعض المعاني الأخرى للولاية. ولأعلامنا في تزييف هذه

(١) من عجيب ما طرق أسماعنا في هذا الزمان ما حُكي عن بعض المعاصرين من دعوة أهل العامة إلى تجاوز المناقشة الدلالية في حديث الغدير إلى المناقشة السندية، والحال أنَّ الحديث الشريف حديث متواتر عند كافَّة المسلمين شيعة وسنة، ممَّا يعني القطع بصدوره عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فلا مجال للمناقشة في أسانيده. وللاطلاع على كلمات أهل العامة حول تواتر الحديث المذكور يستحسن الرجوع إلى موسوعة عبقات الأنوار: ٦: ١١١، للمحقِّق الخبير السيّد حامد اللكهنوي (طيب الله تربته الزكية).

(٢) المائدة: ٥: ٥٥.

الدعوى براهين محكمة تُطلب من مظانها^(١).

والتحقيق كما يستفاد من كلمات العلمين الجليلين السيّد السبزواري، والعلامة الطباطبائي رحمتهما: أن مفردة (الولاية) ليس لها إلا معنى واحد فقط، وأمّا المعاني الأخرى فهي من باب تعدّد المصاديق، وليست من المعاني الحقيقية.

وبيان ذلك: أن الولاية لها معنى واحد فقط وهو: القرب، فيقال: وَلِيَّةُ يليه، أي: قرب منه، وكُلٌّ ممّا يليك، أي: ممّا يقاربك، ودارٌ وَلِيَّةٌ، أي: قريبة^(٢). وهذا المعنى هو المعنى الوحيد الذي تستخدم فيه مفردة الولاية، غاية الأمر أن مصاديقه مختلفة ومتعدّدة، فعندما يطلق على شخص لفظ (الولي)، فالمراد منه كونه قريباً من المُولَّى عليه، غاية ما في الأمر أن القرب تارة يكون مصداقاً للمحبّة، وأخرى مصداقاً للنصرة، وثالثة مصداقاً للسلطنة، ورابعة مصداقاً للصداقة.. وهكذا^(٣).

(١) راجع في ذلك ما أفاده السيّد الشريف المرتضى (قدّس الله نفسه) في كتابه القيم: الشافي في الإمامة: ٢: ٢١٧، ولاحظ في ذلك أيضاً ما حقّقه العلامة الأميني (طيب الله ثراه) في موسوعته الثمينة الغدير: ١: ٣٦٢، وكذلك ما حقّقه صاحب إحقاق الحق: ٢: ٤٠٨ الشهيد القاضي التستري (قدّس الله سرّه)، وأيضاً ما نفّحه ودلّل عليه العلامة المظفر (طابت نفسه) في دلائل الصدق: ٢: ٤٤، وغيرهم في غيرها.

(٢) لاحظ: لسان العرب: ١٥: ٤٠٤، مادة (ولي)، وغيره من معاجم اللّغة العربيّة.

(٣) ما تفضّل به السيّدان العلمان رحمتهما أعتقد أنّه من جملة تطبيقات الكبرى الأصوليّة التي شيّد مبانيها المحقّق الأخند رحمته في مبحث مادة الأمر من الكفاية، وهي: كبرى (اشتباه المصداق بالمفهوم) ومقصوده منها: أن الكثير من الألفاظ التي يُدعى كونها من المشتركات اللفظيّة، وتُذكر لها مجموعة من المعاني، هي في الحقيقة ليست مشتركاً لفظياً، وليست المعاني المذكورة لها معاني متعدّدة على نحو الاستقلال، بل هي مصاديق لمفهوم واحد. «

مما يعني أن السلطنة والمحبة والنصرة ليست معانٍ حقيقية للولاية ، وإنما هي من باب تعدد المصاديق ، فالولاية ليس لها إلا معنى واحد وهو: القرب ، ولكن بعض اللغويين توهم بأن المصاديق المذكورة معانٍ لمفردة الولاية فاعتبرها مشتركة لفظياً تندرج تحته جميع تلك المعاني .

وعليه فالنتيجة التي توصلنا إليها من خلال تعريف المفردتين: الولاية والتكوينية ، هي: أن الولاية التكوينية بحسب المعنى اللغوي تعني أن للمعصوم جهة قرب من القضايا والأمور الكونية توجب له السلطنة على إحداثها وتكوينها .

» فمثلاً: مفردة (الولاية) قد ذكرت لها عدة معانٍ منها: المحبة ، والنصرة ، والسلطنة ، والصداقة ، وغيرها ، ولكن اعتبار بعض المفردات المذكورة معانٍ مستقلة لمفردة الولاية إنما هو من باب اشتباه المفهوم بالمصداق .

بيان: أن مفهوم مفردة الولاية ليس هو إلا (القرب) ولكن استعمال هذه المفردة (الولاية) في مفهومها المذكور تارة يكون من منطلق القرب في المحبة ، فيكون القرب في المحبة مصداقاً من مصاديق مفهوم (القرب) ، وتارة أخرى يكون من منطلق القرب الناتج عن الصداقة الحميمة ، فيكون القرب الذي تقتضيه الصداقة مصداقاً آخر من مصاديق مفهوم (القرب) ... وهكذا ، غير أن اللغويين قد خلطوا بين المفهوم والمصاديق ، فاعتبروا المحبة والصداقة - مثلاً - من جملة مفاهيم مفردة الولاية على نحو الاستقلال ، والحال أنهما مصداقان لمفهوم الولاية الوحيد ، وهو: (القرب) ، وليس مفهومي مستقلين ، فتدبر جيداً . نعم .. هناك ثمة مناقشة تتعلق بتطبيق المحقق الآخذ عليه للكبرى المذكورة ، وقد نبه عليها المحقق الأصفهاني عليه السلام في (نهاية الدراية: ١: ٢٤٩) ، وتبعه فيها سيدنا الأستاذ الروحاني (دام ظلّه) في (زبدة الأصول: ١: ٣٠٧) ، ولكن الحق ما حققه السيد الروحاني عليه السلام في (منتقى الأصول: ١: ٣٧٠) من صلاحية كبرى (اشتباه المفهوم بالمصداق) ؛ للانطباق على كلا التطبيقين الواردين في كلمات المحققين: الآخذ والأصفهاني عليه السلام معاً ، وتفصيل البحث يُطلب في مظانّه المذكورة .

النقطة الثانية: مفهوم مفردة الولاية.

والحديث من خلال هذه النقطة سوف يتمركز حول مفهوم الولاية، مع غرض النظر عن كون (الولاية) ولاية تكوينية أم ولاية تشريعية، ومن أدق التفاسير المطروحة لمفهوم مفردة (الولاية) هو التفسير الذي طرحه السيّد السبزواري (أعلى الله مقامه الشريف)، حيث يقول: «الولاية هي: نوع اقتراب مع شيء يوجب ارتفاع الحجب والموانع بينهما، ويختلف شدة وضعفاً، كما يختلف من جهة الدواعي»^(١).

والذي نلاحظه أنّ السيّد السبزواري رحمته الله من خلال تعريفه لمفهوم مفردة الولاية قد نبّه على أمرين:

التنبيه الأول: الولاية من المفاهيم المشكّكة.

والمراد من المفاهيم المشكّكة: المفاهيم الكلية التي تنطبق على مصاديقها، ولكن مع التفاوت، كمفهوم البياض ومفهوم الوجود، فيقال - مثلاً -: إنّ مفهوم البياض مفهوم مشكّك، أي: أنّه ينطبق على أفراد ومصاديقه، ولكن مع التفاوت، فالجدار أبيض، والثلج أبيض، والسحاب أبيض، ولكن درجة البياض في الجدار تختلف عن درجة البياض في الثلج، ودرجة البياض في الثوب تختلف عن درجة البياض في الجدار، فكل ذلك بياض، غاية الأمر أنّه متفاوت ومختلف.

وكذلك: مفهوم الوجود، فإنّه مفهوم مشكّك؛ إذ وجود الواجب سبحانه وتعالى يختلف عن وجود الممكن، ووجود العلة يختلف عن وجود المعلول،

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١١: ٣٦٤.

ويتفاوتان شدة وضعفاً، وسعة وضيقاً^(١).

ومن خلال تعريف السيد بن محمد نفهم أن الولاية هي أيضاً من المفاهيم المشككة، التي تتفاوت من وجود إلى وجود، ومن مصداق إلى آخر، فالولاية الموجودة عند الله سبحانه، هي: الولاية المطلقة؛ إذ لا توجد ولاية في عرضها، حتى ولاية النبي ﷺ رغم أن ولايته ﷺ أعظم الولايات، ومع ذلك فإنها ليست في عرض ولاية الله (عز وجل)، بل ولا في طولها، كما سيأتي بيانه؛ لأن ولاية الله لا حصر لها ولا حد، حتى يكون هذا الحد مبدءاً لولاية النبي ﷺ، مما يعني كون ولايته ﷺ مختلفة عن ولاية الخالق سبحانه وتعالى من هذه الجهة، وإن كان كل منهما ولاية. والخلاصة: فإن الولاية إذاً من المفاهيم المشككة التي تتفاوت بتفاوت محالها، ووجوداتها، فولاية الله (عز وجل) تختلف عن ولاية النبي ﷺ،

(١) وهذا يبتني على كون لفظ الوجود ليس من المشتركات اللفظية - التي تتحد في اللفظ فقط وتختلف في المعنى - وإنما هو من المشتركات المعنوية التي تتحد في معنى واحد، وإن تفاوتت أفرادها، وقد يُستشهد لذلك بالوجدان بدعوى: أن كل شخص حين يتوجه لمعطياته الذهنية يدرك بوضوح أن وجود الإنسان لا يختلف عن وجود الحيوان، كما أن وجود الحيوان لا يختلف عن وجود النبات، وهكذا، بخلاف لفظ (العين) - مثلاً - الذي هو أحد المشتركات اللفظية، فإنه إذا أطلق على العين الباصرة، يراد به معنى يختلف عن معناه فيما لو أطلق على العين النابعة، مما يؤكد كون مفهوم الوجود من المشتركات المعنوية، التي لا يختلف معناها من مصداق إلى آخر، وإذا كان مفهوم الوجود كذلك كان مفهوماً مشككاً بلا ريب، فيكون الاختلاف بين مصاديقه بالشدة والضعف، والنقص والكمال، والتقدم والتأخر، غير أن بعض أعلام أساتذتنا (دام ظلّه) يرى أن القول بالاشتراك المعنوي يلزم القول بوحدة الوجود والموجود، فالصحيح أن وجود الراجب يختلف معنى عن وجود الممكن، وتفصيل الكلام في كتاب (التوحيد) الذي نأمل أن يرى النور قريباً إن شاء الله.

وولايته ﷺ والمعصومين عليهم السلام تختلف عن ولاية المؤمنين على بعضهم البعض ، وإن كان كل ذلك يصدق عليه مفهوم الولاية .

التنبيه الثاني : الولاية من الأمور الإضافية .

والإضافة تطلق على معنيين :

المعنى الأول : الإضافة المقولية .

وهي عبارة عن : الماهية التي أخذ في ذاتها الإضافة إلى ماهية أخرى ، أو هي : الصفة الحاصلة للشيء من نسبة متكررة بينه وبين طرفها الآخر ، فيكون كل واحد من طرفيها منسوباً ومنسوباً إليه ، كالأب والإبن ، فإن كل واحد منهما مضاف ومضاف إليه ، ولكل منهما إلى الآخر نسبتان : نسبة الأب إلى الإبن ، المعبر عنها بالأبوة ، ونسبة الإبن إلى الأب ، المعبر عنها بالبنوة ، ومقولة الإضافة تطلق على مجموع النسبتين^(١) .

المعنى الثاني : الإضافة الإشراقية .

وهي عبارة عن : نفس عملية الإيجاد ؛ ولذلك فهي لا تتقوم بوجود طرفين ، بل بطرف واحد فقط وهو المضاف إليه ، وفي ظل إضافته يظهر المضاف ، بل هو عين الإضافة ، بحيث لا يوجد مضاف ومضاف إليه وإضافة ، بل ليس إلا المضاف إليه ، وأما المضاف - كما أشرنا - فهو عين الإضافة إليه تعالى ، لا أن له وجوداً له الإضافة . وهذا ما أشار إليه الحكيم السبزواري رحمه الله بقوله : « وأما الإشراقية فلا تستدعي مضافاً ومستشرقاً إلا في تعمل العقل ، حيث يحللها إلى إشراق وماهية مستشرقة ،

(١) الفلسفة العليا : ٢٢٢ .

وفي الواقع لم يُبقِ إشراقه الباهر (أي: الله تعالى) مستشرقاً^(١).

ويمكن توضيح الفرق بين الاضافتين: بمسألة الخطابات، حيث تُقسّم الخطابات الإلهية إلى: خطابات اعتبارية، وخطابات تكوينية.

والفرق بينهما: أنَّ الخطابات الاعتبارية هي: التي تتوقف على وجود متكلّم من ناحية، ومخاطب من ناحية أخرى، فالله (سبحانه وتعالى) ليس يخاطب بالصلاة والزكاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٢)، إلا إذا وُجدَ المخاطب في الخارج، ولو مقدر الوجود^(٣).

وأما الخطابات التكوينية: فإنّها لا تتوقف على وجود المخاطب في الخارج، بل على وجود المتكلّم فقط؛ وذلك لأنّه في ظلّ خطاب الله التكويني، حينما يقول تعالى للشيء: كن فيكون، ليس هنالك وجود للمخاطب، وإنّما هو يوجد في ظلّ الخطاب التكويني، وإلا لو كان المخاطب موجوداً للزم من إيجاده عن طريق الخطاب التكويني تحصيل الحاصل، وهو محالٌ بحسب البرهان.

فلا بدّ - حيثنّذ - من افتراض كون المخاطب معدوماً ليوجده البارئ سبحانه وتعالى بخطابه، وهذا يعني بالضرورة: أنّ هذا النوع من الخطاب لا يتوقف على

(١) شرح الأسماء الحسنى: ١: ١٧٢.

(٢) البقرة ٢: ٤٣.

(٣) الخطاب إن كان موجّهاً إلى مُخاطب موجود في الخارج، كان الخطاب من قبيل القضايا الخارجية، وإن كان موجّهاً إلى مُخاطب مقدّر الوجود يلتفت إليه في وعاء ذهنه، كان الخطاب من قبيل القضايا الحقيقية، ولذا فإنّه - بحسب الصياغة - إمّا أن يكون على نحو القضية الشرطية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ - آل عمران ٣: ٩٧ - وإمّا أن يكون راجعاً إليها روحاً.

وجود المُخاطَب.

وهذه الخطابات التكوينية هي: الإضافة التي يُعبر عنها الحكماء والفلاسفة بـ(الإضافة الإشرافية)، وهي: التي لا تتوقف على وجود المضاف، وإنما تحتاج إلى وجود المضاف إليه فقط.

وبما أن الولاية - كما أوضحنا ذلك قريباً - من الأمور الإضافية، فيقع البحث في أنها من سنخ الإضافة الإشرافية، أم من الإضافة المقولية؟

والصحيح هو: كون الولاية التكوينية الثابتة لله تعالى، وللسادة المعصومين عليهم السلام من قبيل الإضافة الإشرافية؛ إذ مقام الولاية - عندهم - لا يحتاج إلى وجود مولى عليه، بل هو مقام ثابت لصاحبه وإن لم يكن للمولى عليه ثمة وجود في الخارج، لأنه يظهر في ظل ولايتهم، مما يعني أن سنخ ولايتهم عليهم السلام من سنخ الإضافة الإشرافية، وليس من سنخ الإضافة المقولية، والتي تحجم ولايتهم وتحدها بخصوص الأمور الموجودة فقط.

النقطة الثالثة: أقسام الولاية التكوينية ومراتبها.

ذكر السيد السبزواري رحمته الله ^(١) أن الولاية التكوينية تنقسم إلى قسمين:

١ - الولاية التكوينية الذاتية الاستقلالية.

٢ - الولاية التكوينية الإفاضية الغيرية.

وأراد بالولاية التكوينية الذاتية الاستقلالية: ولاية الله سبحانه وتعالى، التي هي بمعنى: هيمنته وسلطته على كل ذرة من ذرات الكون والوجود، ومعنى ولايته الذاتية والاستقلالية على الكون هي: قيمومته على جميع ذرات الكون وأجزائه، من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة فيه، وهذه القيمومة نعبر عنها بالولاية التكوينية.

ولذلك قيل: إن اسم القيوم - وهو أم الأسماء الحسنى - لا معنى له إلا الولاية التكوينية الثابتة لله (سبحانه وتعالى)، فالولاية التكوينية لله سبحانه مرادفة لاسم القيوم الذي هو أم أسمائه عز وجل، ويعبر عنها بأنها ولاية ذاتية استقلالية؛ لأنها ثابتة له تعالى بالذات والاستقلال.

وأما الولاية التكوينية الإفاضية الغيرية فأراد بها: الولاية التكوينية التي تكون بالغير، لا بالذات، كولاية النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فإنها إنما تكون لهم من قبل الله سبحانه وتعالى بالإفاضة.

ونعبر عن هذا القسم من الولاية التكوينية - الذي هو امتداد لولاية الله التكوينية - بالولاية التكوينية الإفاضية الغيرية، وهي على نحوين:

(١) مهذب الأحكام: ١٦: ٣٦٢.

النحو الأول: الولاية الإفاضية الغيرية الخاصة، وهي: الثابتة للنبي والأئمة المعصومين عليهم السلام بشكل خاص.

النحو الثاني: الولاية الإفاضية الغيرية العامة، وهي: التي تكون لغير المعصومين عليهم السلام، كالولاية التكوينية التي كانت للأنبياء، أو الثابتة لبعض الأولياء، الذين لا يندرجون تحت عنوان الرسالة أو النبوة أو الإمامة، كالسيّدة الصديقة الصغرى زينب عليها السلام، وقمر الهاشميين العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام.

مراتب الولاية التكوينية.

ومن خلال ما نقحناه يتّضح: أنّ الولاية التكوينية ذات مراتب مختلفة ومتعددة، وهي عبارة عن أربع مراتب:

المرتبة الأولى: ولاية الله سبحانه وتعالى، التي هي الولاية بالذات والاستقلال.

المرتبة الثانية: ولاية النبي صلى الله عليه وآله والمعصومين من أهل بيته عليهم السلام.

المرتبة الثالثة: الولاية الموجودة عند الأنبياء والمرسلين وبعض الأولياء، كسيّدتنا الصديقة الصغرى زينب عليها السلام، ومولانا العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام.

المرتبة الرابعة: الولاية الموجودة عند بعض العلماء والأولياء من أصحاب النفوس الكاملة، فإنّ لهم نحواً من الولاية التكوينية.

وهذه المراتب الأربع، إذا استثنينا منها المرتبة المتعلقة بالله سبحانه وتعالى -وهي: مرتبة الولاية الذاتية- إنّما تختلف وتتفاوت بسبب اختلاف قابلية القابل؛ إذن أنّ قابلية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام لإفاضة الولاية التكوينية عليهم من قبل الله تعالى، لها من السعة والشمول ما ليس لغيرهم من الأنبياء والرسل.

وكذلك الأنبياء والرسل لهم من القابلية والاستعداد لإفاضة الولاية التكوينية

من قِبَلِ الله (سبحانه وتعالى) ما ليس للعلماء ، وهكذا.

علاقة ولاية المعصومين عليهم السلام بولاية الله عز وجل .

وفي ختام هذه النقطة ينبغي التنبيه على أمر مهم ، وهو :

أَنَّ المستفاد من خلال آيات القرآن الشريفة ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١) هو : أَنَّ ولاية الأئمة عليهم السلام التكوينية والتشريعية ، امتداد لولاية الله سبحانه وتعالى ؛ ولذلك أشرك القرآن الرسول والأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم) والذات المقدسة في لفظ وإطلاق واحد ، فقال : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، ولو كانت ولايتهم تختلف عن ولاية الله تعالى في سنخيتها لكانت صيغة التعبير تتوقف على تكرار مفردة الولاية ، فيقال : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَوَلِيُّكُمْ رَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا » بتكرار اللفظ ، وتعدّد الاستعمال ؛ للتنبيه على ذلك ، ولكنه لما أشركهم جميعاً في لفظ واستعمال واحد ، فهمنا أَنَّ الولاية لمجموعهم من سنخ واحد أيضاً .

ومن وحي هذه النقطة ينقدح السؤال التالي ، وهو : أَنَّ ولاية المعصومين عليهم السلام إذا كانت من سنخ ولاية الله تعالى ، كما نبّهت على ذلك الآية القرآنية الشريفة : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فهل ولايتهم عليهم السلام في عرض ولايته تعالى ، أم هي في طول ولايته ، أم لا هذا ولا ذاك ؟

لا سبيل للقول بالأوّل (العرضية) ، لاستلزامه القول بالشريك ، وهو مبرهن الاستحالة . وأمّا (الطولية) فهي تارة تفسّر بلحاظ الرتبة ، بمعنى أَنَّ المرتبة اللاحقة في طول المرتبة السابقة ، فيصحّ أن نقول : إِنَّ ولاية المعصومين عليهم السلام في طول

ولاية الله سبحانه وتعالى^(١).

وقارة تفسّر بلحاظ (الزمانية) كولاية الابن مع أبيه ، فإنهم يقولون: لا وجود لولاية الابن مع وجود أبيه ، وإنما ولايته في طول ولاية أبيه ، بمعنى: أنه إذا انتهت ولاية الأب تبدأ ولاية الابن ، فهناك أمد محدود لولاية الأب ، تبدأ من بعده زماناً ولاية الابن ، فيقال: ولاية الابن في طول ولاية الأب.

وعلى ضوء هذا التفسير ، لا يصحّ اعتبار ولاية الأئمة عليهم السلام في طول ولاية الله تعالى؛ لأن ولاية الله سبحانه لا حد لها ولا أمد تنتهي عنده ، ومنه تبدأ ولاية الأئمة عليهم السلام.

وكما لا يمكن اعتبار ولايتهم - بحسب التفسير الثاني - في طول ولايته سبحانه وتعالى ، كذلك أيضاً لا يمكن اعتبارها في عرض ولاية الله عز وجل كما أشرنا؛ وذلك لأن لازم القول بأن ولاية الأئمة عليهم السلام التكوينية في عرض ولاية الله التكوينية أن يكونوا عليهم السلام متصرفين في عرض تصرف الله ، بمعنى أن لهم التصرف كما لله التصرف بمستوى واحد ، وهذا الاعتبار لا يخلو عن شائبة الشرك بالله (سبحانه وتعالى)؛ إذ هو بالنتيجة يؤدي إلى الاعتقاد بوجود مخلوق قادر على التصرف في الخلق والرزق والإماتة وغير ذلك من الأفعال التكوينية ، كما هو قادر سبحانه

(١) وهذا المعنى هو مقصود القائلين بطولية ولاية الأئمة عليهم السلام لولاية الله تعالى ، كما جاء ذلك في كلمات مجموعة من الأعظم ، ومنهم سيّدنا الأستاذ الروحاني (دامت بركاته) ، حيث يقول: الولاية التكوينية - أي: ولاء التصرف التكويني - والمراد بها: كون زمام أمر العالم بأيديهم ، ولهم السلطنة على جميع الأمور بالتصرف فيها كيفما شاؤوا ، إعداماً وإيجاداً ، وكون عالم الطبيعة منقاداً لهم لا بنحو الاستقلال ، بل في طول قدرة الله تعالى وسلطنته واختياره ، بمعنى أن الله تعالى أقدرهم وملكهم ، كما أقدرنا على الأفعال الاختيارية. منهاج الفقاهاة : ٤ : ٢٦٨.

وتعالى ، وهذا مقطوع بفساده .

والذي عليه التحقيق : أنَّ الولاية التكوينية عند المعصومين عليهم السلام ليست ولاية طولية ، ولا عرضية ، وإنما هي ولاية مظهرية ، بمعنى أنَّ المعصومين عليهم السلام هم المظهر الأتم لولاية الله التكوينية .

ولإيضاح الولاية المظهرية يمكن التنظير بـ (الصورة والمرآة) ، فإنَّ المرآة ليست في طول الصورة ، ولا في عرضها ، وإنما هي تعكس الصورة وتظهرها ، وكذلك الولاية التكوينية عند المعصومين عليهم السلام ، فإنَّها كالمرآة المظهرة لولاية الله سبحانه وتعالى .

ولعلَّه إلى هذا المعنى قد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطب نهج البلاغة ، حيث قال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلَّى لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ »^(١) ، بمعنى أنَّ الله سبحانه وتعالى قد ظهر لخلقه ، وتجلَّى لهم ، عن طريق أكمل خلقه وأشرفهم ، وهم : محمد وآل محمد عليهم السلام .

وليس معنى ذلك : أنَّ الله تعالى - كما تقول نظرية وحدة الوجود والموجود - لأجل تقيده بماهيات الممكنات ، الناشئ عن إطلاق ذاته عن التعيّن واللاتعيّن ، يتصوّر بصور خلقه ، ويتشكّل بأشكالهم ، ويتجلّى بجلواتهم ، فتترتب عليه آثارهم ، فإنّه - مضافاً إلى زيفه وبطلانه في نفسه - على خلاف الظهور العرفي للنصّ الشريف .

والصحيح في توجيه النصّ هو ما أشرنا إليه - قريباً - من أنَّ المخلوقات لكونها مصنوعات الله تعالى ، فهي - بما تحمله من جمال صور الصنع والإبداع - كالمرآي لصفات الله تعالى ، كعلمه وحكمته وحياته وقدرته وهكذا ، وبما أنَّ محمداً

(١) نهج البلاغة : رقم الخطبة ١٠٨ ، من خطب الملاحم .

وآل محمد ﷺ أبدع وأروع مخلوقات الله تعالى؛ لذلك فإنَّ تجلّي الله -بمعنى ظهوره- لخلقه بسببهم أجلى من تجلّيه بسبب غيرهم ، فهم أجلى المصاديق للنصّ الشريف.

النقطة الرابعة: مؤسس اصطلاح الولاية التكوينية.

اصطلاح (الولاية التكوينية) اصطلاح محدث لم يكن له وجود في كلمات المتقدمين من علمائنا المتكلمين والحكماء، فضلاً عن وجوده في النصوص الشرعية، ولكن هذا لا يعني عدم وجود مفاده ومؤداه، وهو: السلطنة والهيمنة للمعصومين عليهم السلام على جميع ذرات الكون وأجزائه، فإن هذا المؤدى موجود في القرآن الكريم والروايات الواردة عنهم عليهم السلام^(١)، وكلمات علماء الطائفة (رضوان الله عليهم).

وللتدليل على ذلك لا بأس بذكر بعض كلماتهم:

١ - قال الشيخ أبو جعفر الطبري الأملّي (طيب الله تربته) - من علماء القرن الرابع -: «وجعلهم (صلوات الله عليهم) كاملين معصومين، قادرين، عالمين بما كان وبما يكون، ليقوموا للناس البراهين الساطعة، والدلائل الواضحة، وليظهروا القدرة الباهرة، والمعجزة التامة التي تشهد بصدق قولهم: إنهم من قبل الصانع القديم الأزلي رب العالمين، خالق السماوات والأرضين (جلّت عظمتهم)».

إلى أن قال: «ولمّا لزم وثبت أن يكون الله تعالى محتجاً على خلقه بأتم حجة وأكملها لزم - باضطرار لا محيص عنه - أن حججه والداعين إليه عنه عليه السلام معصومون، قادرون على كل شيء، عالمون بما كان وبما يكون إلى آخر الزمان»^(٢).

(١) يُرجع للبحث السادس من هذا الكتاب، فلقد تمّ فيه استيفاء الأدلة القرآنية والروائية مفصلاً.

(٢) نوار المعجزات: ٧٦.

٢ - وقال السيّد حيدر الأملي رحمته الله - من أعلام القرن الثامن الهجري - في تفسيره: «قد تقرّر في الحكمة الإلهية والقوانين الربّانية: أنّ الأنبياء والأولياء والكمّل والأقطاب لهم هذه الخصوصية، وهذا التصرف في الملك والملكوت؛ لأنّ الشخص إذا صار كاملاً واستحقّ خلافة الله تعالى في ملكه وملكوته، حصل له التصرف فيهما بما أراد، كتصرف بعض أولياء الله في الأرض بالطّي والنشر، ومنه تصرف آصف في الأرض بطيّه حين أراد حضور تخت (عرش) بلقيس»^(١).

٣ - وقال الحافظ الشيخ وجب البرسي (طاب ثراه) - من علماء القرنين الثامن والتاسع - : «فالوليّ هو المتقدّم، العالم، الحاكم، المتصرف على الإطلاق بالنسبة إلى الخلق.

أمّا تقدّمه: فلأنّ الولاية هي العلة في كمال الأصول والفروع، والمعقول والمشروع، فلها التقدّم بالفرض، والتأخّر بالحكم، لأنّ الوليّ المطلق هو الإنسان الذي يلبسه الله خلعة الجمال والكمال، ويجعل قلبه مكان مشيئته وعلمه، ويلبسه قباء التصرف والحكم، فهو الأمر الإلهي في العالم البشري، فهو كالشمس المنيرة التي جعل الله فيها قوّة النور والحياة والإشراق والإحراق، فهي الضوء لأهل الدهور»^(٢).

٤ - وقال الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي رحمته الله - من علماء القرنين التاسع والعاشر - : «ولمّا كانت هذه الحقيقة [المحمّدية] مشتملة على الجهتين الإلهية والعبودية، لا يصحّ لها ذلك أصالة، بل بتبعية وهي الخلافة، فلها الإحياء والإماتة، واللطف والقهر، والرضا والسخط، وجميع الصفات، لتصرف في

(١) تفسير المحيط الأعظم: ٤ : ٧٨.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ٢٠٤.

العالم وفي نفسها وبشريتها أيضاً»^(١).

٥- وقال الشيخ البهائي العاملي رحمه الله - من علماء القرنين العاشر والحادي عشر - في مدح الإمام صاحب الزمان (أرواحنا فداه):

صاحب العصر الإمام المنتظر	من بما ياباة لا يجري القدر
حجة الله على كل البشر	خير أهل الأرض في كل الخصال
من إليه الكون قد ألقى القياد	مُجرباً أحكامه فيما أراد
إن تزل عن طوعه السبع الشداد	خر منها كل عالي السمك عال
ذو اقتدار إن يشأ قلب الطباع	صير الإظلام طبعاً للشعاع
وارتدئ الإمكان بُرزد الإمتناع	قدرة موهوبة من ذي الجلال ^(٢)

٦- وقال المحقق الداماد رحمه الله - المتوفى سنة ١٠٤١هـ - متحدثاً عن المعصوم عليه السلام: «أن تكون نفسه المقدسة الربانية - لقوتها القدسية - قوية بهيئة فعالة ، كادت تكون متصرفة في العوالم الأسطقسية تصرف النفوس في أبدانها ، فتكاد هيولى عالم العناصر تطيعه بإذن الله تعالى ، فيكون بذلك ذا معجزات فعلية ، وأفاعيل خارجة عن طور العادة ، خارقة لضوابط مذهب الطبيعة .

ثم مرتبة الوراثة والوصاية تجري في كمال جوهر النفس ، واشتعال قوتها القدسية ، وشدة اعتلاقها واتصالها ، وتأكد علاقتها بذلك العالم مجرى مرتبة النبوة ، وتستن بسنتها ، وتتلو درجتها ، وتنوب عنها منابها»^(٣).

(١) المُجلّي (مسلك الأفهام) : ٣٠٤ .

(٢) الكشكول : ١ : ٣٥٩ .

(٣) الرواشح السماوية : ٦٢ .

٧- وقال الملا صدرا الشيرازي رحمه الله - المتوفى عام ١٠٥٠هـ - متحدثاً عن أصول المعاجز والكرامات عند أولياء الله تعالى: «فلا عجب من أن يكون لبعض النفوس قوة كمالية مؤيدة من المبادئ، فصارت كأنها نفس العالم، فكان ينبغي أن تؤثر في غير بدنها تأثيرها في يديها، فيطيعها هوى العالم طاعة البدن للنفس، فيؤثر في إصلاحها وإهلاك ما يفسدها أو يضرها»^(١).

٨- وقال الفيض الكاشاني رحمه الله - المتوفى سنة ١٠٩١هـ - في بيان صفات المستحق للنبوة: «وأن تكون قوته الحساسة والمحركة في القوة بحيث تؤثر في مادة العالم، بإزالة صورة والبأس أخرى، فيحيل الهواء إلى الغيم بإذن الله، ويحدث الأمطار والزلازل لأجل استهلاكه أمة فجرت وعتت عن أمر ربها ورسله، ويسمع دعاؤه في الملك والملكوت لعزيمة قوية، فيستشفى المرضى، ويستسقي العطشى، وتخضع له الحيوانات... فلا عجب من أن يكون لبعض النفوس قوة كمالية مؤيدة من عند الله عز وجل تؤثر في غير بدنها تأثيرها في بدنها، فتطيعها مادة العالم طاعة البدن للنفس»^(٢).

وقال في كتاب آخر: «الإنسان إذا بلغ إلى هذا المقام - أي: مقام بلوغ النفس غاية كمالها العقلي والعملي - يتصرف في الملك والملكوت، وتطيعه الموجودات كلها، بل تصير كلها أجزاء لذاته، وتكون قوية سارية في الجميع»^(٣).

٩- وقال العلامة المجلسي رحمه الله - المتوفى عام ١١١١هـ - : «وأنه تعالى جعلهم مطاعين في الأرضين والسموات، ويطيعهم بإذن الله كل شيء حتى الجمادات،

(١) الشواهد الربوبية: ١: ٣٤٣.

(٢) علم اليقين في أصول الدين: ١: ٣٥١.

(٣) عين اليقين: ١: ٢٨٨.

وأنهم إذا شاؤوا أمراً لا يردّ الله مشيئتهم ، ولكنهم لا يشاؤون إلا أن يشاء الله»^(١).

١٠ - وقال المقدّس السيّد عبد الله شبر رحمته الله - المتوفى سنة ١٢٤٢هـ - في وصف المعصوم عليه السلام : « وأن تكون قوّته الحساسة والمحرّكة في القوّة بحيث تؤثر في مادّة العالم ، بإزالة صورة والباس أخرى ، فيحيل الهواء إلى الغيم بإذن الله ، ويحدث الأمطار والزلازل لأجل استهلاك أمة فجّرت وعتت عن أمر ربّها ورسله ، وأن يُسمع دعاؤه في الملك والملكوت لعزيمة قويّة ، فيستشفى المرضى ، ويستسقي العطشى ، وتخضع له الحيوانات»^(٢).

١١ - وقال العالم الملا زين العابدين الكلبي رحمته الله - المتوفى سنة ١٢٨٩هـ : « ولأولياء الله القدرة التامة ، لهم التصرف في الأشياء بإذن الله تعالى ، يحيون ويميتون ، ويجعلون الأنثى رجلاً والرجل أنثى ، وصورة حيوان حيواناً ، وغير ذلك ، كما اتفق كلّ ذلك للأنبياء والأئمة عليهم السلام »^(٣).

١٢ - وقال المحقّق الكبير الشيخ الأشثاني رحمته الله - المتوفى سنة ١٣١٩هـ : « الملكات الثابتة للنبي صلى الله عليه وآله القائمة بنفسه الشريفة ، الموجبة لسلطنة تصرفه في الآفاق والأنفس ، واستحقاقه للرئاسة الكلّية الإلهيّة ، فإنّها باقية لا زوال لها أصلاً ببقاء نفسه المطمئنة في جميع عوالمه ، وكذا إذا كان المراد منها تصرفه الفعلي في الآفاق والأنفس ، وولايته على النفوس الخلقيّة ، فإنّ الولاية الحقّة المطلقة بالمعنى المذكور تنتقل إلى الوصي بعد ارتحال النبي صلى الله عليه وآله ، ومن الوصي إلى من بعده من الأوصياء عليهم السلام »^(٤).

(١) بحار الأنوار : ٢٥ : ٣٤٨.

(٢) حقّ اليقين في معرفة أصول الدين : ١٤٥.

(٣) أنوار الولاية : ٢٤٨.

(٤) بحر الفوائد : ٨ : ٢١٩.

١٣ - وقال الحجة المحقق السيّد محمد بحر العلوم رحمته الله - المتوفى سنة ١٣٢٦هـ: «ومن رشحات هذه الولاية (أي ولاية الله تعالى) ولاية النبي صلّى الله عليه وآله، وخلفائه المعصومين عليهم السلام بالولاية الباطنية، فإنّ لهم التصرف بها في الممكنات بأسرها من الذرة إلى الذروة بإذنه تعالى»^(١).

١٤ - وقال المحقق الشيخ محمد تقي الأصفهاني رحمته الله - المتوفى سنة ١٣٣٢هـ: «أنّ لهم الولاية الكلّية بالنسبة إلى كافّة الممكنات، وهذه الولاية محيطة بأمّ الكتاب واللّوح المحفوظ المشتمل على تمام العلوم، والولاية تستلزم العلم بمتعلّقها»^(٢).

١٥ - وقال المحقق الكبير، الشيخ محمد حسن المازندراني البارفروشي رحمته الله - المتوفى عام ١٣٤٥هـ: «فانظر رحمك الله - أيّها السالك العارف - إلى حال سيّد الموحّدين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث كان بعبادته، ورياضته، وصفاء قلبه، وتذكّره لله عزّ وجلّ، مجمع الأسرار الإلهيّة، ومفتاح خزائن العجائب الربويّة، وأبواب المدائن الإلهيّة، التي أودعها مبدعها نفوس الخلائق، وأسرار الحقائق الواقعيّة، حتّى صارت الدنيا بين يديه كالدرهم في يد الإنسان، لما جاز من ثمرات أسرار الإلهيّة والقدرة الربانيّة والقوى الملكيّة، كان ينطق بلسان الله، ويبطش بيد الله، ويمشي برجله، كما قال: (وبي يبصر، وبي ينطق، وبي يسمع، وبي يبطش)، وصار بذلك متصرفاً في عالم الجبروت والملكوت»^(٣).

١٦ - وقال العالم المجاهد الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (نضر الله مثواه): «فإنّ العبد إذا تحقّق بحقيقة الحقّ، وتخلّق بأخلاق الروحانيّين، غلبت

(١) بلغة الفقيه: ٣: ٢١٣.

(٢) العنايات الرضويّة: ٢١.

(٣) حديقة العارفين: ١٧٨.

عليه صفات الأرواح المجردة، وصار له السلطنة على العوالم المادية، يتصرف فيها كيف يشاء بمشيئة الله، فكما أنه (جل شأنه) يوجد المادة من غير مدة ولا مواد، ولا قوة ولا إعداد ولا استعداد، فكذلك وليه أو نبيه.

وبالجملة: فالوجودات المجردة أو العقول الفعالة ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾^(١) كما في لسان الشرع تمرّ على الزمان ولا يمرّ الزمان عليها، وتحكم على المادة ولا تحكم المادة عليها، والمادة التي تعلّقت بها كأجسامها العنصرية الشريفة مقهورة لروحها المجردة، ويجري عليها حكم التجرد فلا يعوقها عن الاتصال بالملا الأعلى فضلاً عن الأدنى عائق...

وبعد هذا كلّه أيّ مجال للاستنكار أو الاستبعاد في أن يكون في الكون قوى كامنة وأسرار خفية أطلع الله عليها أنبياءه وأوليائه، فيستطيع أحدهم أن ينقل بلحظة عرش بلقيس من سبأ (اليمن) إلى أورشليم (القدس)، أو تكون لأمير المؤمنين عليه السلام قوة طبيعية فضلاً عن القوة الروحانية يستطيع بها أن ينتقل من المدينة إلى المدائن في دقيقة واحدة؟!^(٢).

عوداً على بدء

وقد اتضح من خلال ما قدّمناه: أن مؤدّى اصطلاح الولاية التكوينية ليس حادثاً في كلمات الأعلام، وإنما خصوص هذا المصطلح هو المستحدث، والذي يقتضيه التتبّع القاصر، ونظنّ به ظناً قوياً: أن المؤسس الأوّل لهذا الاصطلاح، هو شيخ المحققين، ومفخرة الفقهاء والأصوليين، ونابغة الحكماء الإلهيين، الشيخ محمد حسين الـاصفهانى عليه السلام، فإنه أشار لهذا الاصطلاح في أرجوزته المباركة

(١) النازعات ٧٩: ٥.

(٢) جنة المأوى: ١٤٩.

حول المعصومين عليهم السلام في عدة مواضع ، من جملتها:

■ قوله في أمير المؤمنين عليه السلام :

وَأَنَّهُ لَكَغَبَةُ التَّوْحِيدِ قِبْلَةُ كُلِّ عَارِفٍ وَحِيدٍ
لِرُوحِهِ الْمُقَدَّسِ الْمَنِيعِ وَلَايَةُ التَّكْوِينِ وَالتَّشْرِيعِ^(١)

■ وقوله في حق الإمام الرضا عليه السلام :

لَهُ الْوَلَايَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ فِي سِرِّ ذَاتِهِ عَلَى الْبَرِيَّةِ
وَلَايَةُ التَّكْوِينِ وَالْإِبْدَاعِ أَكْرَمُ بِهَذَا الْمَلِكِ الْمُطَاعِ^(٢)

وقال عليه السلام في حاشيته على المكاسب: «النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لهم الولاية المعنوية ، والسلطنة الباطنية ، على جميع الأمور التكوينية والتشريعية ، فكما أنهم مجاري الفيوضات التكوينية ، كذلك مجاري الفيوضات التشريعية ، فهم وسائط التكوين والتشريع»^(٣).

وبالرغم من البحث المكثف في كلمات من تقدّم عليه من الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة ، ولّا أننا لم نعثر على هذا الاصطلاح إلا في كلماته الشريفة^(٤).

(١) الأنوار القدسيّة : ٢٤ .

(٢) المصدر المتقدم : ٨٢ .

(٣) حاشية المكاسب : ٢ : ٣٧٩ .

(٤) نعم يوجد هذا الاصطلاح في كلمات معاصره المحقّق النائيني رحمته الله في كتابه (المكاسب والبيع) : ٢ : ٣٣٢ ، بقلم تلميذه المعظم ، الفقيه الأصولي ، الشيخ محمد تقي الأملي رحمته الله ، وعليه : فشبّهة المؤسّس لهذا الاصطلاح - بحسب تتبعنا لما بين أيدينا من المصادر - تدور بين هذين العلمين المحقّقين : النائيني والأصفهاني رحمتهما الله ، وإن كانت إلى المحقّق الأصفهاني رحمته الله أقرب ؛ لكون الاصطلاح أقرب إلى ذوقه الفلسفي .

وقد يعبر عن هذا الاصطلاح بولاية التصرف^(١)، أو بولاية الإبداع، أو بولاية الإحداث، أو الولاية الباطنية كما تقدم، وكل هذه العناوين تشير إلى معنى واحد، ومعنون فارد، وهو: «سلطنة المعصومين عليهم السلام على جميع أجزاء الكون، إيجاداً وإعداماً».

(١) كما جاء ذلك في كلمات الشيخ المطهري رحمته الله في كتاب (الولاء والولاية): ٥٣.



البحث الثاني

حقيقة الولاية التكوينية ومفهومها

توجد لدينا في تفسير الولاية التكوينية خمسة احتمالات:

الاحتمال الأول: الولاية التكوينية نحو من أنحاء الإعجاز.

ويظهر هذا الاحتمال من كلمات بعض من يستدلّ على ثبوت الولاية التكوينية بثبوت المعاجز للأنبياء والأئمة عليهم السلام^(١)، كالسيد السبزواري رحمته الله، حيث يقول في مقام الاستدلال على ثبوت الولاية التكوينية: «وطريق إثبات ذلك ما تواتر عنهم من المعاجز في التكوينية»^(٢).

والمقدس السيد البهشتي رحمته الله حيث يقول: «المقصود من الولاية التكوينية هو إمكانية التصرف في عالم التكوين والوجود بإذن الله، كما كان يفعل عيسى عليه السلام من إحياء الموتى بإذن الله، والنفخ في تمثال الطير من الطين فيكون طيراً بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص، وكما في ردّ الشمس لأمر المؤمنين عليهم السلام ونحو ذلك، ويدخل في باب المعجزة الذي يكرّم الله المعصومين به، فتصدر منهم أحياناً؛

(١) وقلنا: يظهر ذلك؛ لاحتمال أنهم لا يريدون إثبات الولاية التكوينية عن طريق ثبوت المعاجز، بحيث يكون البرهان إتيّاً، وإنّما يريدون التنظير بمعاجز الأنبياء عليهم السلام والأولياء لإثبات إمكان الولاية التكوينية في حدّ نفسها، أو مقصودهم إثباتها في الجملة بناءً على كون الإعجاز نحواً من أنحائها.

(٢) مهذب الأحكام: ١٦: ٣٦٢.

ليكون دليلاً على صحّة نبوتهم أو إمامتهم»^(١).

وهو صريح كلام الشيخ البشير النجفي (دام ظلّه) في أجوبته على بعض المسائل العقائديّة، حيث يقول: «مقصود من يدعي الولاية التكوينيّة للأنبياء، أو الأئمة عليهم السلام: القدرة على التصرف بعنوان الإعجاز، حيث اقتضت الضرورة ذلك ونفي المقدرة منهم على ذلك يتنافى مع النصوص القرآنيّة الصريحة».

وقال (دام ظلّه) في إجابة أخرى: «إِنَّ مَنْ يدعي الولاية التكوينيّة إنّما يعني أنّ الله سبحانه قد منح القدرة والطاقة حسب المصلحة العليا ضمن النظام الكوني الأكمل لبعض عباده على تغيير وتبديل والتصرف في النظام الكوني السائد، على أن لا يخرج التصرف عن إطار المصلحة العليا، ويكون ذلك بعنوان الإعجاز بمفهومه وفرائضه، وضمن مقتضياته المفصلة كلّها في بحث معنى الإعجاز».

والذي يظهر من استدلال هؤلاء الأعلام على ثبوت الولاية التكوينيّة بالقرآن، من خلال المعاجز الثابتة للأنبياء والأئمة عليهم السلام: أنّهم يرون الولاية التكوينيّة إعجازاً، فإذا ثبت الإعجاز للأنبياء والأئمة عليهم السلام من القرآن والروايات المتواترة؛ ثبتت الولاية التكوينيّة لهم عليهم السلام بالضرورة.

ولمعرفة تماميّة هذا الاحتمال، أو عدم تماميته، لا بدّ أن نعود إلى مبحث الإعجاز في علم الكلام، لتعرّف على حقيقة الإعجاز، ومن خلاله نستطيع أن نقول إنّ الولاية التكوينيّة نحو من أنحاء الإعجاز أم لا؟

وقد ذكرت - في مظانّها - عدّة تعاريف لبيان حقيقة الإعجاز، ولكنّ أفضلها وأقواها - وإن كان ليس جامعاً بالدقّة - ما طرحه السيّد الخوئي رحمه الله في تفسير البيان، في بحث الإعجاز، حيث قال:

(١) مسائل وردود: ٣٥٨.

«الإعجاز هو: أن يأتي المدّعي لمنصب من المناصب الإلهية، بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره، شاهداً على صدق دعواه»^(١).

ومن خلال هذا التعريف نستطيع أن نستجلي حقيقة الإعجاز في علم الكلام، فنقول: إن حقيقة الإعجاز تركز على أمور ستة:

الأول: صدور الفعل الخارق في مقام التحدي.

الثاني: صدور الفعل الخارق لإثبات المنصب الإلهي.

وعلى ضوء هذين الأمرين فإنه لو صدر الفعل الخارق لنواميس الطبيعة، ولكن لا لإثبات منصب من المناصب الإلهية، كالنبوة والإمامة مثلاً، وفي غير مقام التحدي مع المنكرين للمنصب، فهو في نظر علماء الكلام لا يندرج تحت اصطلاح (الإعجاز) وإن كان فعلاً خارقاً للعادة، وإنما يعبر عنه بحسب الاصطلاح بـ (الكرامة)؛ لدلالته على كون صاحبه مكرماً عند الله تعالى.

الثالث: إمكان الدعوى عقلاً ونقلاً.

والمقصود من إمكانها عقلاً، هو: أن لا تكون مصادمة للبراهين العقلية، كما لو جاء شخص بفعل خارق للعادة، وادّعى أنه شريك الباري سبحانه وتعالى، فحيثُذ يحكم على دعواه بعدم الإمكان؛ لتصادمها مع البرهان العقلي الدال على نفي الشريك، ولا يكون الفعل الخارق المقترن معها إعجازاً.

وأما المقصود من إمكانها نقلاً، فهو: أن لا تكون الدعوى مصادمة للبرهان النقلي، كمن جاء بعد النبي ﷺ وادّعى النبوة مثلاً، فإن دعواه هذه مصادمة للدليل

(١) البيان في تفسير القرآن: ٣٥.

النقلي القطعي الدال على خاتمية النبي ﷺ لسلسلة الرسل والأنبياء، ومع مصادمتها للبرهان النقلي يحكم عليها بعدم الإمكان، فلا يكون الفعل الخارق للنواميس الطبيعية، والمقترن معها إعجازاً.

وعليه: فإذا لم تمكن الدعوى لا عقلاً ولا نقلاً، فحيث لا يكون المأتي به خرقاً للطبيعة من صغريات الإعجاز.

الرابع: خرق العادة ونواميس الطبيعة.

وعلى ضوء هذا المرتكز يتعرّض علماء الكلام إلى بحث لطيف، وهو: أن المعجز الخارق لنواميس الطبيعة، هل يكون خارقاً للمحالات العقلية؟ أم يكون خارقاً للمحالات العادية^(١) ليس إلا؟

والمحقق عندهم: أن الإعجاز لا يمكن أن يكون خارقاً للمحالات العقلية، التي هي من قبيل ارتفاع النقيضين واجتماع الضدين، وإنما الإعجاز يتعلق بخرق المحالات العادية، التي لا يمنع العقل من وقوعها، ولا يحكم باستحالتها، ولكنها بحسب العادة لا تتحقق في وعاء الخارج.

فمثلاً: إسرائ النبي ﷺ وعروجه من أرض مكة إلى السماوات العلى، لم يكن خارقاً للمحالات العقلية، وإنما كان خارقاً للمحالات العادية، والتي عبّر عنها المحقق الخوئي رحمه الله بالنواميس الطبيعية؛ إذ بحسب الناموس الطبيعي لا يستطيع

(١) المحالات العقلية هي: التي يحكم العقل بامتناعها؛ لانتهائها لاجتماع النقيضين أو ارتفاعهما، كأن يقال: الموجود الكذائي هو إنسان وغير إنسان، أو أنه لا بوجود ولا بغير موجود في الآن نفسه.

وأما المحالات العادية فهي: ما كانت بنظر العقل ممكنة، ولكنها لا تقع بحسب العادة؛ لكونها مخالفة للقوانين الطبيعية، نظير عدم احتراق الإنسان بالنار.

شخص في ظرف دقائق أن يعرج إلى السماوات السبع - وإن كان ممكناً بنظر العقل - ولكن النبي ﷺ بإقدار الله تعالى؛ اخترق تلك النواميس الطبيعية.

فالإعجاز خرق للمحالات العادية والنواتيس الطبيعية؛ ولذلك يعجز البشر عن الإتيان بمثل ما أتى به صاحب المعجزة.

وهنا بحث آخر عند علماء الكلام أيضاً، وهو: أن المراد من العجز البشري المأخوذ في حقيقة الإعجاز، هل هو:

١ - عجز خصوص الأمة التي بُعث إليها صاحب المعجزة؟

٢ - أم هو: عجز أهل زمانه مطلقاً، أي: المبعوث لهم وغيرهم؟

٣ - أم هو: عجز البشرية جمعاء، على مدى الزمان والمكان؟

والذي مال إليه بعض المحققين من المتأخرين هو الشق الثالث، فقال: إن دائرة الإعجاز ليست محدودة بزمن صاحب المعجزة، بل تتجاوزه وتتعداه إلى جميع المراحل الزمنية.

ومن هذا المنطلق - وغيره - ذهب بعضهم إلى أن المقصود من المسجد الأقصى في الآية المباركة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾^(١) ليس هو بيت المقدس الموجود في فلسطين، وإنما هو البيت المعمور الموجود في السماء؛ وذلك لكون إسرائ النبي ﷺ وعروجه من معاجزه، فلو كان الإسراء إلى بيت المقدس لما تحقق الإعجاز؛ وذلك لإمكان الإسراء من البيت الحرام إلى بيت المقدس في ليلة واحدة في مرحلتنا الزمنية الحاضرة، ومن هنا قال بعض الأعلام: إن (المسجد الأقصى) هو: البيت المعمور، لتبقى معجزة الإسراء معجزة حتى قيام الساعة؛ نظراً لعدم قدرة البشر

(١) الإسراء ١٧: ١.

على الوصول إليه أبد الدهر.

وفي هذه المسألة كلام طويل الذيل ، تعرّضنا له في رسالتنا: (هوية المسجد الأقصى في آية الإسراء) ، ولسنا بصدد نفيه أو إثباته في المقام.

الخامس: مطابقة الفعل الخارق للدعوى.

وأما إذا لم يكن هناك تطابق بين الفعل الخارق للعادة وبين الدعوى ، فهو ليس إعجازاً ، كما حدث لمسيمة الكذاب ، فإن ما صدر منه وإن كان خارقاً لنواميس الطبيعة ، إلا أنه لم يكن متطابقاً مع دعواه القدرة على الإشفاء والإبراء والإسقاء ونحو ذلك ، بل كان منافراً لها.

السادس: تزامن الفعل الخارق مع زمن الدعوى.

إذ لو تقدّم الإعجاز على زمن الدعوى ، لم يكن إعجازاً ، بل هو: (إرهاص) بحسب اصطلاح المتكلمين ، والظاهر أنه مأخوذ من الرهص الذي هو بمعنى تأسيس البنيان^(١) ، فمثلاً: انشقاق إيوان كسرى ، وتوقّف نار فارس عن الاتقاد عند ولادة النبي الأعظم ﷺ وكذا انشقاق جدار الكعبة عند ولادة أمير المؤمنين عليه السلام لا يسمّى إعجازاً ، وإن كان فعلاً خارقاً للعادة ؛ لعدم اقترانه مع زمن الدعوى.

ومن خلال هذه المرتكزات الستة ، التي أوضحناها ، يتّضح الفرق بين الإعجاز وبين الولاية التكوينية من زاويتين:

الزاوية الأولى: أن الإعجاز دائماً ما يكون مقترناً بالتحدي ؛ ولذلك أخذ فيه عجز البشر عن الإتيان بمثله ، بينما الولاية التكوينية ليس أعمالها مشروطاً بالاقتران بالتحدي.

(١) لسان العرب : ٧ : ٤٤.

الزاوية الثانية: أنَّ الإعجاز إنما يكون لإثبات منصب من المناصب الإلهية، كالنبوة والإمامة، وأما الولاية التكوينية: فإعمالها لا يكون - فقط - من أجل إثبات منصب من المناصب الإلهية، بل يُعمل المعصوم ولايته التكوينية، ولو لمصلحة من المصالح التي تعود على بعض الأشخاص، أو الموجودات الإمكانية.

ولا يفوتنا التنبيه على وجود نقطة التقاء بين الولاية التكوينية والإعجاز وهي: صدور الفعل الخارق للعادة عن كلا الطرفين.

والنتيجة: فإنَّ الولاية التكوينية ليست نحواً من أنحاء الإعجاز، بل الصحيح أنَّ الإعجاز نحوٌ من أنحاء الولاية التكوينية، وما يظهر من كلمات بعض علمائنا، كالشيخ النجفي، لا ينسجم مع معنى الإعجاز ومفهومه الكلامي، والله العالم بحقيقة الحال.

الاحتمال الثاني : الولاية التكوينية نحو من أنحاء الدعاء المستجاب .
وتقريبه أن يقال : إن ولاية المعصوم عليه السلام التكوينية ما هي إلا عبارة عن كلمات يدعو بها المعصوم عليه السلام لتحقيق فعل تكويني معين ، فيستجيب الله دعاءه ، ويتحقق ذلك الفعل في وعاء الخارج .
وهذا ما يظهر من كلمات بعض الأعلام ^(١) ، كالحجة المحقق الشيخ سلمان آل عبد الجبار القطيفي رحمته الله ^(٢) في بعض رسائله الشريفة ، حيث يستفاد منها أنه يرى الولاية التكوينية نحواً من أنحاء الدعاء المستجاب ^(٣) .

(١) أفاد السيد الخميني رحمته الله في كتابه الثمين (الأربعون حديثاً) : ٥٦٥ أن العلماء قد « جعلوا الكرامات والمعجزات من قبيل استجابة الدعاء ، وأن الحق سبحانه هو الفاعل لكل هذه الأمور » ، إلا أن ما أفاده رحمته الله لم يظهر لي من كلماتهم رغم التتبع الكثير .

(٢) هو : الحجة المحقق ، والعلامة المدقق ، سماحة آية الله الشيخ سليمان آل عبد الجبار القطيفي رحمته الله ، من مبرزى علماء القطيف وفقهائها العظام ، وقد انتقل منها إلى (مسقط) في عمان ، وصار فيها مرجعاً عاماً للفتيا والتقليد ، إلى أن توفي بها سنة (١٤٢٦هـ) تاركاً وراءه ثروة علمية - قل نظيرها - في الفقه والأصول والحكمة والكلام .

فلاحظ سرداً لمؤلفاته القيمة في كتاب : (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) : ١ : ٩٢ ، ٤٤٩ ، ٥١٢ ، و : ٥ : ١٠٤ ، ٢٦٣ ، و : ١ : ٨٩ ، ١٣٦ ، و : ١٠ : ١٨٢ ، ٢٥٥ ، و : ١٣ : ١١٦ ، ١٦١ ، ١٧٩ ، ٣٣٧ ، ٣٨٣ ، و : ١٤ : ٤٩ ، ٧٧ ، و : ٢٠ : ١١١ ، و : ٢٢ : ١٤ ، ٢٦٤ ، و : ٢٣ : ٥٠ ، ٨٣ ، و : ٢٤ : ٨٠ ، و : ٢٥ : ٦ ، و : ٢٦ : ٤١ ، ٧٤ .

(٣) قال رحمته الله في رسالته المسمّاة بـ (التفويض) : « وبالجملة واجب اعتقادنا أن الله هو الخالق ، الرازق ، المحيي ، المميت ، وأن الأئمة عليهم السلام يدعون الله تعالى فيخلق ، ويدعونه فيرزق » - المصدر : مجلة التراث ، العدد ٣ ، الصفحة ١٧٩ .

ويمكن الاستدلال لهذا الوجه بحديثين:

الحديث الأول: ما أورده ثقة الإسلام الكليني عليه السلام بسنده عن محمد بن يحيى ومحمد بن أحمد، عن محمد بن الحسن، عن القاسم النهدي، عن إسماعيل بن مهران، عن الكناسي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«خرج الإمام الحسن بن علي عليه السلام في بعض عُمره، ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته، فنزلوا في منهل من تلك المناهل تحت نخل يابس قد يبس من العطش، ففرش للحسن عليه السلام تحت نخلة، وفرش للزبير بحذاء تحت نخلة أخرى، قال: فقال الزبير ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه، فقال له الحسن عليه السلام: وَإِنَّكَ لَتَشْتَهِي الرُّطْبَ؟

فقال الزبير: نعم.

قال فرفع يده إلى السماء، فدعا بكلام لم أفهمه، فاخضرت النخلة، ثم صارت إلى حالها، فأورقت وحملت رطباً، فقال الجمال الذي أكلوا منه: سحر والله.

فقال الحسن عليه السلام: وَيْلَكَ، لَيْسَ بِسِحْرِ، وَلَكِنْ دَعْوَةُ ابْنِ نَبِيِّ مُسْتَجَابَةٍ.

قال: فصعدوا إلى النخلة فصرخوا ما كان فكفاهم»^(١).

وهذه الرواية - كما قرأناها - تشير إلى أن تصرفات المعصوم عليه السلام التكوينية، إحداثاً وإعداماً، إنما هي من سنخ الدعاء المستجاب، حيث رفع الإمام الحسن عليه السلام رأسه إلى السماء وتكلم بكلمات لم يفهما الزبير، فاخضرت النخلة، وامتلات رطباً ببركة دعائه المستجاب (صلوات الله وسلامه عليه).

الحديث الثاني: خبر الاحتجاج المروي عن أبي الحسن الدلال، قال: اختلف

(١) الكافي: ١: ٤٦٢، باب مولد الحسن بن علي عليه السلام، الحديث ٤. الوافي: ٣: ٧٥١،

جماعة من الشيعة في أَنَّ الله (عزَّ وجلَّ) فَوَضَّ إلى الأئمة عليهم السلام أن يخلقوا أو يرزقوا، فقال قوم: هذا محال، لا يجوز على الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عزَّ وجلَّ، وقال آخرون: بل الله عزَّ وجلَّ أقدر الأئمة عليهم السلام على ذلك، وفَوَضَّ إليهم فخلقوا ورزقوا، وتنازعوا في ذلك تنازعا شديداً.

فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر: محمد بن عثمان العمري عليه السلام، فتسألونه عن ذلك، ليوضح لكم الحق فيه، فإنه الطريق إلى صاحب الأمر (عجل فرجه)، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلّمت وأجابت إلى قوله.

فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته: «إِنَّ الله تعالى هو الذي خلق الأجسام، وقَسَمَ الأرزاق؛ لأنّه ليس بجسم، ولا حال في جسم، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، فأما الأئمة عليهم السلام فإنّهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق، إيجاباً لمسألتهم، وإعظاماً لحقهم»^(١).

وهذه الرواية هي الأخرى أيضاً، صريحة في أَنَّ تصرفات المعصوم التكوينية إنّما هي من سنخ الدعاء المستجاب.

وتحقيق المطلب: أَنَّ ما يفهم من خلال الآيات القرآنية وروايات أهل البيت عليهم السلام: أَنَّ الولاية التكوينية ليست نحواً من أنحاء الدعاء المستجاب، بل تفرق عنه، وإن كانت هناك ثمة نقطة التقاء بينهما.

أما نقطة الالتقاء فهي: تحقّق الفعل الخارق للعادة وحصوله في الخارج؛ إذ كما أَنَّ الدعاء المستجاب محقّق وموجب لحصول الفعل في الخارج، كذلك الولاية التكوينية محقّقة للفعل المذكور، وموجبة لحصوله في وعاء الخارج.

وأما نقطة الافتراق بينهما فهي: أَنَّ التصرف الناتج عن الولاية التكوينية يكون

(١) بحار الأنوار: ٢٥: ٣٢٩.

للمعصوم عليه السلام بالمباشرة - بإذن الله سبحانه وتعالى وإقداره - وأما في الدعاء المستجاب فالتصرف لا يكون للمعصوم عليه السلام ، وإنما يكون لله (سبحانه وتعالى) بواسطة الدعاء المستجاب للمعصوم عليه السلام ، وهذا المعنى هو ما نستفيدة من الآيات القرآنية وروايات المعصومين عليه السلام .

فمن الآيات القرآنية: قوله تعالى - على لسان نبيه عيسى (على نبينا وآله وعليه أفضل التحية والسلام) -: ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ... ﴾ (١).

بيان: أن الآية الشريفة واضحة الدلالة على أن التصرف التكويني بإحياء الأموات ، وإبراء الأكمه والأبرص ، ليس هو تصرف الله (سبحانه وتعالى) عن طريق عيسى عليه السلام ، وإنما هو تصرف مباشر من عيسى عليه السلام في الإبراء والإحياء بإذن الله تعالى ، ونكتة ذلك هي: إسناد الفعل إليه عليه السلام ؛ إذ الفعل لا يسند لغير الفاعل إلا مع التجوز ، ولا قرينة عليه في المقام .

وهذا ما أكد سيدنا عليه العلامة الطباطبائي رحمه الله في ذيل هذه الآية المباركة ، حيث قال: «وظاهر قوله: ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ... ﴾ ، أن هذه الآيات كانت تصدر عنه - أي: عن عيسى عليه السلام - صدوراً خارجياً بالمباشرة ، لا أنها تصدر عن الله عن طريق دعاء عيسى عليه السلام المستجاب» (٢).

وبهذا يتضح وجه التأمل في كلام السيد السبزواري رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية المباركة ، حيث قال: «وقد نُسبَ الإبراء إلى عيسى عليه السلام ﴿ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ﴾ ؛ لأنه المباشر في ذلك بدعائه وبركته ، والسبب في ظهور المعجزة

(١) آل عمران ٣: ٤٩ .

(٢) تفسير الميزان: ٣: ٢٠٠ .

على يديه ، وإن كان الجميع يستند إلى الله تعالى»^(١).

وحاصل كلامه ﷺ : أنَّ نسبة الفعل إنما كانت لعيسى عليه السلام ؛ لأنه كان المباشر بدعائه ، وإلا ففي الحقيقة : أنَّ فعل الإبراء لم يكن عن طريق عيسى عليه السلام ، بل كان من أفعال الله تعالى بالمباشرة .

ووجه المناقشة في كلامه ﷺ هو : أنَّ ما أفاده حمل الآية على خلاف ظاهرها ؛ وذلك لأنَّ مقتضى ظهور نسبة الفعل إلى شخص ما ، وإسناده إليه ، كونه هو الفاعل ، فمثلاً : عندما يقال : فلان أعطى ، أو تصدَّق ، أو أبرأ ، فظاهر النسبة كونه هو فاعل الإعطاء ، والتصدَّق ، والإبراء .

وبناءً على ذلك ، فحمل الآية على ظاهرها يقتضي نسبة الفعل إلى النبي عيسى عليه السلام بالمباشرة ، وما تفضَّل بذكره السيّد السبزواري رحمه الله حمل الآية على خلاف ظاهرها ، وحمل الآية على خلاف الظاهر لا يصحُّ إلا بعد استحالة حملها على ظاهرها لوجود محذور عقلي أو نقلي ، أو احتفافها بإحدى القرائن^(٢).

وبما أنَّه في المقام لا يوجد محذور عقلي أو نقلي من حمل الآية الشريفة على ظاهرها ، فيؤخذ بمقتضى الظهور ، ومقتضى ظاهر الآية هو : أن يكون الإبراء والإحياء صادرين من قِبَل عيسى عليه السلام بالمباشرة بإذن الله (سبحانه وتعالى)^(٣).

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ٥ : ٣٥٩ .

(٢) واحتمل بعض الأساتيد (دام عطاؤه) أنَّ (الباء) في قول السيّد السبزواري رحمه الله : (لأنه المباشر في ذلك بدعائه وبركته) للاستعانة ، فيكون الفعل صادراً عن نبي الله عيسى عليه السلام بمعونة الدعاء ، وبذلك يرجع كلامه إلى كلام العلامة الطباطبائي رحمه الله ، ولا ينفيه .

(٣) ومما ذكرناه يظهر وجه الخدشة في كلام بعض المعاصرين ، حيث يقول في كتابه (من وحي القرآن : ٦ : ٣١) : « وربما يجد القائلون بالولاية التكوينية الحجة الدامغة في هذه الآية الكريمة ، ولكننا نستوحي من كلمة ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ في هذه الآية ، أو كلمة : ﴿ بِإِذْنِي ﴾ »

ومن الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (١).

وهذه الآية صريحة في المطلوب؛ إذ لو قال شخص: بأن الآية القرآنية السابقة - كما هو المحتمل - لا يمكن الاستدلال بها على الولاية التكوينية؛ لأنها تتحدث عن معجزة النبي عيسى عليه السلام، والمعجزة - كما أوضحنا - أخص من الولاية التكوينية في الجملة، والأخص لا يستدل به على الأعم.

قلنا: هذه الآية المباركة لا محيص عن دلالتها على الولاية التكوينية، بنفس النكتة التي ذكرناها قريباً، من ظهور إسناد الفعل إلى نفس الفاعل في كونه هو الفاعل المباشر.

وهذه الآية المباركة ظاهرة في أن الولاية التكوينية فعل من أفعال المعصوم عليه السلام

» [المائدة ٥: ١١٠] أن دور عيسى كان دور الآلة التي تتحرك لتصنع شيئاً كهيئة الطير وتنفخ فيه، فيبعث الله فيه الحياة، وهكذا يضع يده على الأكمه والأبرص وعلى الميت، فتحدث العافية في الأولين، وتنطلق الحياة في الثالث من خلال إرادة الله. من هنا، فإن كلمة ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ لا تعني معناها الحرفي اللغوي، بل تعني معنى القوة التي تنطلق لتحقيق النتائج الحاسمة التي لا يملك عيسى عليه السلام أية طاقة خاصة به فيها. ولنا أن نعقب على ما ذكره هذا المعاصر بالإضافة لما ذكرناه أعلاه، فنقول: بعد أن كان إسناد الفعل ظاهراً في صدره عن نفس المُسند إليه، يكون قوله تعالى: ﴿ بِإِذْنِي ﴾ أو ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ تعبيراً عن دخالة الإذن الإلهي في الفعلية، إذ أن القدرة المذكورة وإن كانت ثابتة لأنبياء الله ورسوله وأوليائه عليهم السلام - كما أثبت ذلك القرآن الكريم - إلا أن قدرتهم عليهم السلام قدرة إعطائية، لكون قدرتهم عين الفقر والإضافة إلى الله تعالى، فلا يمكن أن تكون فعلية إلا بإذنه تبارك وتعالى.

بالمباشرة ، وليست فعلاً لله قد ظهر ببركة دعاء المعصوم عليه السلام فقط ، فقوله تعالى : ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُولَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ظاهران من خلال النسبة والإسناد في أنَّ الفعل كان فعلاً مباشرياً ، وهذا يعني : أنَّ الولاية التكوينية فعل مباشر من قبل المعصوم عليه السلام ، وليست كالدعاء المستجاب الذي تكون نتيجته من أفعال الله تعالى التي تظهر على يد المعصوم عليه السلام ببركة الدعاء^(١).

وما استفدناه من خلال الآيات القرآنية يمكن استفادته أيضاً من خلال الروايات الواردة عن المعصومين عليه السلام ، بنفس النكته السابقة ، فمثلاً : عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام ، قال : «إِنَّ اللَّهَ أَقْدَرْنَا عَلَى مَا نُرِيدُ ، وَلَوْ شِئْنَا أَنْ نَسُوقَ الْأَرْضَ بِأَزْمَتِهَا لَسَقْنَاهَا»^(٢).

وفي رواية أخرى عن عبدالرحمن بن الحجاج ، قال : «كنت مع أبي عبدالله عليه السلام وليس معنا أحد ، فقلت : يا سيدي ، ما علامة الإمام ؟ فقال عليه السلام : لو قال لهذا الجبل سر لسار». يقول عبدالرحمن : فنظرت والله إلى الجبل يسير^(٣).

وواضح جداً من خلال الروايتين -على ضوء النكته السالفة- أنَّ الإمام عليه السلام قد اعتبر قدرته التكوينية فعلاً مباشراً له ، فهو الذي يقول للجبل سر فيسير ،

(١) ومما ذكرناه يتضح وجه التأمل في كلام سيّدنا العلامة الطباطبائي (أعلى الله مقامه الشريف) حيث يقول : «الذي تتضمنه الآية أنه كان عنده علم من الكتاب ، وأنه قال : ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ ، ومن المعلوم مع ذلك أنَّ الفعل فعل الله حقيقة ، وبذلك كله يتحصل أنه كان له من العلم بالله والارتباط به ما إذا سأل ربه شيئاً بالتوجه إليه لم يتخلف عن الاستجابة ، وإن شئت فقل : إذا شاء الله سبحانه». تفسير الميزان : ١٥ : ٣٦٣.

(٢) بحار الأنوار : ٤٦ : ٢٤٠ ، الحديث ٢٣.

(٣) بحار الأنوار : ٤٧ : ١٠١ . الخرائج والجرائح : ٢ : ٦١٧.

وهو الذي يسوق الأرض فتساق له.

والحاصل: فإن الآيات القرآنية والروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام بمجموعها تدل على أن ولايتهم عليهم السلام التكوينية فعل مباشر لهم، وليست فعلاً لله تعالى يصدر في عالم التحقق ببركة دعائهم عليهم السلام.

وعلى هذا نقول: إن الولاية التكوينية عبارة عن فعل المعصوم عليه السلام وتصرفه في الكون بالمباشرة، وأما الدعاء المستجاب فهو عبارة عن فعل الله وتصرفه في الكون بواسطة دعاء المعصوم عليه السلام، وكم هو الفرق كبير وشاسع بين المعنيين. وبالنتيجة: فلا يمكن تفسير مفهوم الولاية التكوينية بأنها نحو من أنحاء الدعاء المستجاب.

عودة إلى أدلة الاحتمال الثاني:

ويبقى الكلام حول الروايتين المتقدمتين في صدر البحث، واستكشاف مدى دلالتهما على مدعى أصحاب هذا الاتجاه.

أما الرواية الأولى، فيمكن أن تناقش من جهتين:

الجهة الأولى: سند الرواية، فإنه وإن صحّحه شيخنا العلامة المجلسي رحمته الله ^(١) إلا أن الصحيح عدم صحّته، لوقوع بعض المجاهيل فيه، ومنهم: القاسم النهدي والكناسي.

الجهة الثانية: دلالة الرواية؛ إذ يمكن أن يقال: إن هذه الرواية تتحدّث عن قضية جزئية لها ظروفها ومقتضياتها الخاصة، فلا يمكن أن تستكشف منها قاعدة كلية، لتكون ضابطة عامة في تفسير جميع تصرفات المعصوم عليه السلام التكوينية.

(١) مرآة العقول: ٥: ٣٥٥.

وبعبارة أخرى: إن هذه الرواية غاية ما تدل عليه، هو: أن التصرف التكويني للإمام الحسن عليه السلام في خصوص هذه الواقعة، كان عن طريق الدعاء المستجاب، ولا دلالة لها على أن كل تصرفاته التكوينية، بل كل تصرفات المعصومين عليهم السلام تكون عن طريق الدعاء المستجاب.

وللإجابة عن سؤال قد يخطر في ذهن، وهو: أن الإمام عليه السلام إذا كانت له ولاية تكوينية، وقدرة على التصرف من غير طريق الدعاء المستجاب، فلماذا لم يستخدمها، وعدل عنها إلى أسلوب الدعاء؟

يمكن أن نجيب بأحد جوابين:

الجواب الأول: إن الإمام عليه السلام إنما لم يستخدم ولايته التكوينية بسبب الظروف الخاصة التي كانت تحكم الواقعة، كما يظهر ذلك من ذيل الرواية؛ إذ الإمام عليه السلام بعد أن دعا وعادت النخلة خضراء، وحملت الرطب، كما كانت قبل يسها، قال صاحب الكراء: ما هذا إلا سحر.

فقال له الإمام عليه السلام: **وَيْلَكَ، لَيْسَ بِسِحْرٍ، وَلَكِنْ دَعْوَةُ ابْنِ نَبِيِّ مُسْتَجَابَةٌ.**

فيفهم من ذلك: أنه قد كان في تلك الواقعة من يكبر عليه استخدام الإمام عليه السلام لولايته التكوينية، مما اضطر الإمام عليه السلام إلى العدول عن استخدامها إلى أسلوب الدعاء المستجاب.

الجواب الثاني: إن الاستفادة من النصوص الشرعية الكثيرة أن الدعاء في نفسه عبادة من العبادات، بل هذا الشدة وضوحه يكاد أن يكون من البديهيات، وبالتالي فحتى لو كانت للمعصوم عليه السلام ولاية تكوينية، فإن ذلك لن يمنعه من اللجوء إلى الله تعالى عن طريق الدعاء، تحقيقاً لواحدة من العبادات التي يحبها الله تعالى.

وأما الرواية الثانية: فهي مضافاً إلى ضعف سندها؛ لجهالة راويها (علي بن

أحمد الدلال القمي^(١) لا ظهور لها في المدعى؛ وذلك لأن نقطة النزاع بين الشيعة التي أوجبت رفع المسألة إلى الإمام عليه السلام هي: التفويض الاستقلالي للأئمة عليهم السلام، فأثبتها بعضٌ ونفاها آخرون، وكانوا يطلبون من الإمام عليه السلام حل هذا النزاع، فأجابهم الإمام عليه السلام بأن أمور الخلق والرزق لم تفوض إليهم عليهم السلام على نحو الاستقلال، بل الله (سبحانه وتعالى) هو خالق الأجسام، ومقسم الأرزاق على نحو الاستقلال.

أما الأئمة عليهم السلام: فإنهم لعظيم مقامهم عند الله سبحانه، متى ما طلبوا منه أمراً يتعلق بأمور الخلق أو الرزق فإنه يخلق ويرزق استجابة لطلبهم، وحينها ينسب الفعل إليه بلحاظ كونه (سبحانه وتعالى) هو: صاحب التدبير المطلق في أمور الرزق والخلق، وجميع أمور العالم متوقفة على إرادته (عز وجل) وتدبيره، حتى وإن كانت إفاضة تلك الأمور عن طريق الوساطة في الفيض وهم: محمد وآل محمد عليهم السلام.

والحاصل: فإن نسبة الأفعال المذكورة إليه تعالى (يسألون فيخلق، ويسألون فيرزق)، إنما هي بحسب اللحاظ المذكور، والذي كان من الضروري أن ينبّه عليه الإمام عليه السلام في إجابته، من أجل دفع توهم التفويض الاستقلالي الذي كان يعتقد به بعض الشيعة.

ولذلك يلحظ المتأمل في الرواية تأكيد الإمام عليه السلام على هذه النسبة في الرواية مرتين رغم اختصار الإجابة، فالمرّة الأولى في قوله: «إن الله هو الذي خلق الأجسام وقسم الأرزاق»، والمرّة الثانية في قوله: «يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق»، وما ذلك إلا لأجل التأكيد على فساد الاعتقاد بالتفويض الاستقلالي،

(١) مجهول الحال؛ إذ لم يُذكر له توثيق ولا تضعيف في علم الرجال.

وإثبات خالقية الله ورازقيته حتى في الموارد التي يتوسط فيها المعصومون عليهم السلام.
والخلاصة: فإن الرواية لا ظهور لها في المدعى، وإنما هي ظاهرة فيما ذكرناه
 من نفي التفويض الاستقلالي، وإثبات الفاعلية لله عز وجل في كل الموارد، حتى
 تلك التي تتحقق فيها الإفاضة بواسطة محمد وآل محمد عليهم السلام، ولو أغمضنا النظر
 عن هذه الجهة، فإن الرواية - كما ذكرنا - ضعيفة السند، فلا يصح الاحتجاج بها.
 وبهذا نخلص إلى أن الاحتمال الثاني أيضاً لبيان مفهوم الولاية التكوينية، وهو
 كونها نحواً من أنحاء الدعاء المستجاب، ليس وجهاً تاماً وصحيحاً على إطلاقه،
 وإن ذهب إليه بعض أجلاء علمائنا المحققين (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).

الاحتمال الثالث: الولاية التكوينية هي التفويض.

وهذا ما قد يستظهر - على تأملٍ - من كلمات بعض الأعلام ، كالمولى عبد الصمد الهمداني^(١) ، حيث يقول: «أيها العزيز ، قد ظهر من الأخبار المتقدمة أن أمر العالم فوّض للولاية»^(٢).

ولمعرفة تمامية هذا الرأي وعدم تماميته ، لا بد من تحقيق معنى (التفويض) وتنقيحه أولاً ، وينبغي الالتفات إلى أن التفويض الذي سنبحث عنه في المقام ليس هو التفويض المطروح في مباحث العدل ، والذي يتبنّاه المعتزلة في قبال الجبر الذي يتبنّاه الأشاعرة ، وليس هو التفويض بالمعنى الذي يثار في بحث الولاية التشريعية للأئمة عليهم السلام ، والذي أكّدت عليه مجموعة من النصوص والأخبار التي

(١) قال عنه العلامة الأكبر الشيخ الأمينى رحمته الله: «الفقيه المتكلم المولى عبد الصمد الهمداني ، نزيل كربلاء ، والشهيد بها سنة ١٢١٦هـ ، أحد أعلام الدين وحملة العلم ، فقيه ، محقق ، محدث ، حكيم ، متكلم ، لغوي ، مشارك في العلوم ، ماهر فيها ، زاهد ، عارف ، حسن المشرب والطريقة...».

إلى أن قال :

«وله كتاب (بحر المعارف) كتاب علمي ديني أخلاقي فلسفي عرفاني ، ينمّ كسابقه عن فضل جامع الغزير ، وعلمه المتدقّ - شهداء الفضيلة : ٢٨٦ .

أقول : وأمّا كتاب (حقيقة الإمامة في المدرسة العرفانية) الذي استفدت منه رأيه الشريف حول الولاية التكوينية ، فقد كتبت في أوائل صفحاته ما هذا نصّه :

«هذا الكتاب هو جزء من كتاب (بحر المعارف) للمؤلف ، وقد ترجمت مقاطعه الفارسية ، وحرّرت ، ليخرج تحت العنوان المذكور».

(٢) حقيقة الإمامة في المدرسة العرفانية : ١١٥ .

تقول: «إِنَّ اللَّهَ فَوَّضَ لِلْأُمَّةِ أَمْرَ دِينِهِ»^(١)، فَإِنَّ مَدَارَ الْبَحْثِ فِي الْمَقَامِ، هُوَ: التَّفْوِيزُ فِي الْأُمُورِ التَّكْوِينِيَّةِ، بَيْنَمَا ذَاكَ يَتَحَدَّثُ عَنِ التَّفْوِيزِ فِي خُصُوصِ الْأَفْعَالِ، وَمَا بَعْدَهُ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ فِي خُصُوصِ شُؤُونَ التَّشْرِيعِ.

وتوجد عندنا ثلاثة اتجاهات لبيان مفهوم التفويض:

الاتجاه الأول: التفويض الاستقلالي.

والمراد منه: أَنَّ الْبَارِئَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ فَوَّضَ لِلْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ (صلوات الله وسلامه عليهم) أُمُورَ الْعَالَمِ، كَالْخَالْقِيَّةِ وَالرَّازِقِيَّةِ وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، عَلَى نَحْوِ الْإِسْتِقْلَالِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ (سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى) أَمَدَّهُمْ بِذَلِكَ، وَتَرَكَ لَهُمُ الْأَمْرَ يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ كَيْفَ يَشَاءُونَ، وَلَا عِلَاقَةَ لَهُ بِذَلِكَ.

وَالنَّقْطَةُ الْمَهْمَةُ الَّتِي يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا هَذَا الْإِتْجَاهُ، وَيَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتُ إِلَيْهَا، هِيَ نَقْطَةُ (الْإِسْتِقْلَالِ)، وَهِيَ الْمَوْجِبَةُ لِلْحُكْمِ بِفُسَادِهِ وَبَطْلَانِهِ؛ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ عَلَى عَدَمِ إِمْكَانِ التَّفْوِيزِ الْإِسْتِقْلَالِيِّ، وَكَوْنِهِ شَرْكَاً.

وهو عبارة عن دليلين:

الدليل الأول: الدليل القرآني.

وتقريبه: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ أَكَّدَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ (سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى) لَهُ عِلَاقَةٌ تَامَّةٌ بِأُمُورِ الْعَالَمِ، كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ *

(١) وقد جمع بعضها ثقة الإسلام الكليني رحمه الله في كتابه الشريف الكافي - كتاب الحجة،

الباب ٥٢ - تحت عنوان: التفويض إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدين، كما

حفظ قسماً كبيراً منها شيخ القميين المحدث الأعظم الشيخ محمد بن الحسن الصفار رحمه الله في

كتابته الشريف بصائر الدرجات: الجزء ٨، الباب ٤، تحت عنوان: التفويض إلى رسول

الله ﷺ، والباب الخامس تحت عنوان: ما فوّض إلى رسول الله فقد فوّض إلى الأئمة عليهم السلام.

مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿١﴾ ،
فإن هذه الآيات الكريمة واضحة الدلالة على هيمنة الخالق سبحانه وتعالى على
الإنسان من البدو إلى الختم ، وأنه تحت قبضته وسلطانه أولاً وآخرأ .

وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ (٢) ، فإن هذه الآية توضح
أيضاً أن أمور الخلق مرتبطة به (عز وجل) ، فهو المدبر لها ، ولا يمكن لأحد - مهما
كان - أن يؤثر في أي شيء في الكون - مهما كان صغيراً وحقيقياً - إلا بإذنه تعالى .

ومن هذا القبيل قوله تعالى أيضاً : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ
ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (٣) .

وكذا قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ
تَشَاءُ ﴾ (٤) .

وقوله أيضاً : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (٥) .

وأمثال هذه الآيات من القرآن كثير ، ولسان الجميع يؤكد - إما منطوقاً أو
مفهوماً - على خطأ فكرة التفويض الاستقلالي .

الدليل الثاني : الدليل الفلسفي .

وحاصله : إنه قد ثبت في المعارف الإلهية : أن كل موجود إمكاني محتاج

(١) عبس : ٨٠ : ١٧ - ٢٢ .

(٢) يونس : ١٠ : ٣ .

(٣) البقرة : ٢ : ٢٥٥ .

(٤) آل عمران : ٣ : ٢٦ .

(٥) الدهر : ٧٦ : ٣٠ .

إلى الواجب (سبحانه وتعالى) في كل أن من أنات حياته ، كما هو مقتضى إمكانه ؛ إذ معنى إمكان الممكن هو تعلق ذاته بالغير ، بل هو عين التعلق ، لا شيء له التعلق ، وبالتالي فإنه لا يمكن أن يتحقق ذهنياً ولا خارجاً إلا بالغير ، وإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن القول بالتفويض الاستقلالي ؛ لأن حاصله : أن الله قد فوض الأمور إلى المعصومين عليه السلام ، وهو (سبحانه وتعالى) لا علاقة له بما يفعلون ويتصرفون في أمور الخلق ، بينما قام الدليل المبرهن عليه في علمي الفلسفة والكلام على احتياج الممكنات إليه تعالى في كل الأنات الزمانية ، وإلا يلزم أن يكون عين التعلق بالغير غير متعلق به .

ولبطلان هذا المعنى من التفويض نهى عنه الأئمة عليهم السلام وبينوا فسادَهُ ، وهو التفويض المقصود في بعض الروايات التي تنهى عن التفويض وتذمّ المفوضين ، كالرواية التي أوردها الشيخ الصدوق رحمته الله في كتابه (عيون أخبار الرضا عليه السلام) ، عن ياسر الخادم ، قال : « قلت للرضا عليه السلام : ما تقول في التفويض ؟

فقال : إن الله (تبارك وتعالى) فوض إلى نبيه صلى الله عليه وآله أمر دينه فقال : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ^(١) ، فأما الخلق والرزق فلا ، ^(٢) .

وفي رواية أخرى أوردها الشيخ الصدوق في نفس الكتاب ، عن أبي هاشم الجعفري (رضوان الله عليه) ، قال : « سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة ، فقال : الغلاة كفار ، والمفوضة مشركون ، من جالسهم أو خالطهم أو أكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زاوجهم أو تزوج إليهم أو آمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم ولو بشرط كلمة ، خرج من ولاية الله (عز وجل) وولاية

(١) الحشر ٥٩ : ٧ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٢٠٢ .

رسوله ﷺ وولايتنا أهل البيت»^(١).

وعلى ضوء ما أوضحناه يُعلم أنه لو تمّ استظهار أن الولاية التكوينية من قبيل التفويض - في كلمات بعض الأعلام - قطعاً ليس هذا النحو من أنحاء التفويض مقصوداً، لوضوح بطلانه ومحاذيره الفاسدة.

الاتجاه الثاني: التفويض الإفاضي المطلق.

وهو بمعنى: أن الله (سبحانه وتعالى) فوّض أمور العالم للمعصومين عليه السلام ولكن لا على نحو الاستقلال، وإنما على نحو الإفاضة الدائمة منه سبحانه وتعالى، فهم عليه السلام يتصرفون في أمور العالم بإمداد منه سبحانه وتعالى وتفويضه، فأمر الإحياء بيدهم، وأمر الخلق بيدهم، وأمر الإمامة بيدهم، وأمر الرزق بيدهم، بل كلّ أمور العالم بيدهم (صلوات الله وسلامه عليهم)، فهم المحيون والمميتون والرازقون وما شاكل ذلك. غاية الأمر أنهم لا يتصرفون في تلك الأمور استقلالاً، كما هو مفاد الاتجاه السابق، وإنما بإفاضة الله تعالى عليهم في كلّ آتات التصرف. وهذا المعنى لا محذور فيه ثبوتاً، وإنما نقطة الإشكال فيه عدم قيام الدليل عليه إثباتاً، بل قام الدليل على خلافه؛ لما ثبت آنفاً من خلال الروايات المتقدمة من عدم تفويض الأمور التكوينية للمعصومين عليه السلام بشكل عامّ ومطلق، كما هو مفاد رواية ياسر الخادم عن الرضا عليه السلام، قال: «فأما الخلق والرزق فلا».

ويستدل أصحاب هذا الاتجاه على مدّعاهم بما يظهر من بعض الروايات الشريفة، كما جاء في دعاء العديلة في حقّ مولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام: «الَّذِي بَقَائِهِ بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَيُؤَمِّنُهُ رُزْقُ الْوَرَى، وَبُجُودِهِ ثَبَّتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ»^(٢).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٢٠٣.

(٢) مفاتيح الجنان - دعاء العديلة: ١٢٩.

وكذلك ما جاء في الزيارة الجامعة: «يَكُنْ فَتَحَ اللَّهُ، وَيَكُنْ يَخْتِمُ، وَيَكُنْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَكُنْ يُنْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَيَكُنْ يُنْفُسُ الْهَمَّ، وَيَكْشِفُ الضُّرَّ»^(١).

وظاهر هذه النصوص: أنَّ أمور العالم بيدهم (صلوات الله وسلامه عليهم)، فأَي مانع من القول بأنهم هم الرازقون، والمحيون، والمميتون، على نحو التفويض الإفاضي لا الاستقلالي.

ولكنَّ الصحيح هو: عدم دلالة مثل هذه النصوص على التفويض بالمعنى المذكور، فإنَّ غاية ما تدلُّ عليه، هو: أنَّ المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم) هم الواسطة في الفيض، بمعنى أنَّه لا يوجد فيض إلهي في الكون: من رزق، وإحياء، وإماتة إلا بواسطتهم عليهم السلام، وهذا لا ربط له بالتفويض بالمعنى المذكور، لا من قريب ولا من بعيد، وبما ذكرناه يُوفق بين هذه النصوص الشريفة وتلك التي تنفي التفويض لهم عنهم عليهم السلام^(٢).

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٣٨٥.

(٢) ومما يجدر ذكره: أننا رغم مزيد الفحص والتتبع في كلمات الأعلام (أعلى الله كلمتهم) - وستوافيك كلمات أكثرهم في بداية البحث السادس - لم نجد مَنْ يفسر الولاية التكوينية بهذا النحو من التفويض، ومن هنا يظهر وهن ما أجاب به بعض المعاصرين عن السؤال التالي: (عند تحدّثكم عن الولاية التكوينية نجد أنكم تنتقدون هذه النظرية ربّما بشدّة، ولكنكم تعتقدون كما يعتقد الآخرون أنَّ الله منحهم قدرات خاصّة في ظروف معيّنة، أرجو إيضاح الأمر)، حيث قال جواباً عن هذا السؤال: «هذا يختلف عن ذاك: فإنَّ المراد من الولاية التكوينية هو أنَّ الله تعالى جعل لبعض عباده أمر إدارة الكون والتصرّف في شؤونه، وهذا يختلف عن المعجزات التي هي حدث طارئ واستثنائي يجريه الله تعالى على يد الأنبياء لغرض إثبات نبوتهم، فهو ليس حالة دائمة كما هو مدّعى القائلين بالولاية التكوينية التي ينافيها القرآن الكريم».

الاتجاه الثالث: التفويض الإفاضي المقيّد.

وهو بمعنى: أن الله (سبحانه وتعالى) منح المعصومين عليهم السلام قدرةً وولاية من خلالها يستطيعون التصرف في الأمور الكونية ولكن لا بشكل مطلق، بحيث لا يرزق ولا يميت غيرهم عليهم السلام، بل متى ما شاءوا، كإقذارهم على الإحياء والإماتة مثلاً، متى ما أرادوا ذلك، بحيث تكون قدرتهم قدرة إشائية، بمعنى أنهم عليهم السلام متى ما شاؤوا أن يتصرفوا في شيء من الأمور الكونية: إحياء، أو إماتة، أو رزقاً، أو خلقاً، فالأمر بيدهم (صلوات الله وسلامه عليهم).

والنقطة الفارقة بين هذا الاتجاه وسابقه: أن أصحاب الاتجاه السابق يقولون: إن جميع أمور الخلق قد فوّضت إلى المعصومين عليهم السلام بصورة دائمة ومطلقة، والمعصوم هو المتصرف فيها دون سواه، بينما أصحاب هذا الاتجاه يذهبون إلى أن الأمور الكونية وإن وُكّلت إلى المعصومين عليهم السلام بشكل فعلي ومطلق، بحيث تكون أزمة أمور الخلق - كالإحياء والرزق والإماتة - كلها بيدهم عليهم السلام، إلا أنهم لا يستفيدون من هذا التفويض إلا في بعض الأحيان، كما لو اقتضت المصلحة ذلك.

وبعبارة أوضح:

» وأصرّ على تفسير الولاية التكوينية بهذا المعنى في إجابة أخرى، حيث قال: «يراد بمصطلح الولاية التكوينية ما مفاده: أن الله تعالى قد أعطى الأئمة ولاية على تدبير شؤون الكون أو قسم منه للنبي محمد صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام».

ووجه الوهن في هذه الإجابة تفسيره للولاية التكوينية بـ (ولاية تدبير شؤون الكون وإدارته)، وهذا التفسير ظاهر في كون الولاية التكوينية من قبيل التفويض الاستقلالي، أو التفويض الإفاضي المطلق، وقد عرفت وستعرف من كلمات القائلين بالولاية التكوينية أنه لا يوجد من يقول بها بهذا المعنى، فهذا ادّعاء عليهم لا نفهم الهدف من ورائه.

إنَّ جهة الفرق بين الاتجاهين تكمن في استعمال المعصوم عليه السلام لولايته بشكل مطلق ، أو بنحو مقيد ، فأصحاب الاتجاه السابق يقولون : إنَّ أمر الرزق - مثلاً - قد فُوضَ إلى المعصوم عليه السلام بشكل مطلق ، بمعنى أنَّه هو الرازق مطلقاً بمدد الله تعالى ، بينما أصحاب هذا الاتجاه يقولون : إنَّ المعصوم عليه السلام ليس هو الرازق مطلقاً ، وإن كان قادراً على الرزق متى ما شاء وأراد ، وهكذا في جميع الأمور الكونية الأخرى ، كالإحياء والإماتة وما شاكلهما .

وبذلك يتضح : أنَّ الإطلاق والتقييد ليسا وصفين لنفس التفويض ؛ إذ التفويض فعلي ومطلق على كلا الاتجاهين ، غاية الأمر أنَّ الاتجاه السابق يصوِّر استفادة المعصوم عليه السلام بأنها استفادة مطلقة ، بينما هذا الاتجاه يفترضها استفادة مقيدة ، مع التحفظ على كون أصل التفويض مطلقاً غير مقيد .

والتفويض بهذا المعنى لا مانع منه ، ولا محذور فيه ، بل لعله هو المعنى الذي ينبغي أن تحمل عليه روايات أهل البيت عليهم السلام .

من قبيل رواية ابن سنان ، قال : كنت عند أبي جعفر الجواد عليه السلام فذكرتُ اختلاف الشيعة ، فقال : « إنَّ الله لم يزل فرداً متفرداً في الوجدانية ، ثمَّ خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهن السلام ، فمكثوا ألف دهر ، ثمَّ خلق الأشياء ، وأشهدهم خلقها ، وأجرى عليها طاعتهم ، وجعل فيهم ما شاء ، وفوض أمر الأشياء إليهم في الحكم ، والتصرف ، والإرشاد ، والأمر ، والنهي في الخلق ؛ لأنَّهم الولاة ، فلهم الأمر ، والولاية ، والهداية ، وهم أبوابه ، ونوابه ، وحجابه ، يحلّلون ما شاء ، ويحرّمون ما شاء ، ولا يفعلون إلّا ما شاء ، عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » ^(١) .

وكذلك أيضاً رواية أبي نعيم : محمد بن أحمد الأنصاري ، قال : « وجّه قومٌ

من المفوضة والمقصرة كامل بن إبراهيم المدني إلى أبي محمد العسكري عليه السلام. قال كامل: فقلتُ في نفسي أسأله: لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتي، وقال بمقالتني.

قال: فلما دخلت على سيدي أبي محمد عليه السلام نظرتُ إلى ثياب بيض ناعمة، فقلتُ في نفسي: وليُّ الله وحبَّته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان، وينهانا عن لبس مثله!! فقال متبسماً: يا كامل- وحسر ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن على جلده، فقال:- هذا الله، وهذا لكم.

فسلمتُ وجلستُ إلى بابٍ عليه سترٌ مُرخى، فجاءت الريح فكشفت طرفه، فإذا أنا بفتى كأنه فلقة قمر، من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: يا كامل بن إبراهيم، فاقشعررتُ من ذلك، وألهمت أن قلتُ: لبيك يا سيدي.

فقال: جئتُ إلى وليِّ الله، وحبَّته، وبابه، تسأله: هل يدخل الجنة إلا من عرف بمعرفتكَ، وقال بمقالتك؟

فقلت: إيَّيَّ والله.

قال: إذن والله يقلُّ داخلها، والله إنه ليدخلها قومٌ يقال لهم: الحقيقة.

قلتُ: يا سيدي، ومن هم؟

قال: قومٌ من حبَّهم لعلِّي عليه السلام يحلفون بحقه، ولا يدرون ما حقه وفضله، ثم سكت عليه السلام عني ساعة، ثم قال: وجئتُ تسأل عن مقالة المفوضة؟ كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشیئة الله، فإذا شاء شئنا، والله يقول: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١)، ثم رجع السترُ إلى حالته، فلم أستطع كشفه^(٢).

(١) الإنسان ٧٦: ٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥: ٣٣٦، الحديث ١٦.

وهذه الروايات قريبة الدلالة من تفويض أمور العالم إلى المعصومين عليهم السلام تفويضاً إشائياً، بمعنى كونهم عليهم السلام يستطيعون التصرف في قضايا الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، بما أقدرهم الله (سبحانه وتعالى) عليه، متى ما شاؤوا؛ لأن قلوبهم أوعية مشيئة الله (سبحانه وتعالى) وهذا هو الاتجاه الصحيح، الذي دلت عليه الروايات من بين الاتجاهات الثلاثة.

إشكال ودفع:

وقد أشكل على هذا المعنى بعض المعاصرين، حيث قال: «أما لو أراد القائلون بالولاية التكوينية: أن المعصوم عليه السلام يتمكن دائماً أن يفعل ما يريد، أي: لا يعجز عن شيء، فهذا خلاف صريح القرآن. يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسَافاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِبيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرؤه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً﴾ (١)، (٢).

وحاصل كلامه: أن هذه الآيات الشريفة تدل على أن المشركين عندما طلبوا من النبي الأعظم عليه السلام أن يتصرف في بعض الأمور الكونية، أجابهم النبي بأنه ما هو إلا بشر، فلو كان المعصومون عليهم السلام لهم القدرة على التصرف في الأمور الكونية متى ما شاؤوا وأرادوا، لما كان معنى لعدم استجابة النبي عليه السلام لطلبهم.

ولهذا الإشكال جذور في كلمات بعض المعاصرين، حيث يقول: «بل ربّما

(١) الإسراء ١٧: ٩٠ - ٩٣.

(٢) الإمامة وقيادة المجتمع: ١٢٧.

نجد الدليل على خلافها من خلال الآيات التي تدلّ على أنّ النبي لا يملك شيئاً من ذلك كلّ، وأنّ مهمّته الأولى والأخيرة هي الرسالة في حركتها في الإبلاغ والتبشير والإنذار وهداية الناس إلى سبل السلام في الطريق إلى الله، بل إنّ القرآن يؤكّد وجود عناصر الضعف البشري في ذات الرسول، ولكن في المستوى الذي لا ينافي العصمة، فنقرأ في سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرؤه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾^(١)، فنحن نلاحظ أنّ النبي ﷺ لم يتحدّث عن رفضه للمعجزات الاقتراحية التي يوجّهاها الناس الكافرون للأنبياء كوسيلة للتحدّي والتعجيز ممّا يرفضه الأنبياء، لأنّ مهمّة النبي ليست هي إشغال نفسه بتنفيذ هذه الطلبات التي لا معنى لها بعد إقامة الحجّة عليهم من قبله بل تحدّث عن أنّ ذلك لا يدخل في مهمّته الرسالية، كما أنّه لا يملك هذه القدرة باعتبار بشريّته التي تختزن في داخلها الضعف البشري.

وإذا كان بعض الناس يتحدّثون عن أنّ القائلين بالولاية التكوينية يؤكّدون أنّ النبي لا يختزن في مضمون بشريّته آية قدرة ذاتية، بل إنّ الله هو الذي يمنحه ذلك، فإنّنا نجيب أنّ النبي ﷺ إنّما كان يتحدّث عن الواقع الفعلي الذي تمثّله طاقته في دوره، فإنّ الله أعطاه الطاقة المرتبطة بحركيّة الرسالة في الناس، ولم يعطه الطاقة - حتّى بإذنه - لمثل هذه الطلبات الصعبة^(٢).

(١) الإسراء ٩٠: ٩٣.

(٢) من وحي القرآن: ٦: ٣١. ويستمرّ هذا المعاصر في إصراره على طرح فكرة الضعف

ولكن هذا الطرح ليس تاماً؛ إذ قد يناقش فيه من خلال ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: أن هذه الآيات الشريفة لا تدل بنحو الإطلاق على أن النبي ﷺ لا يستطيع التصرف في الأمور الكونية، وإنما هي تتحدث عن عدم قيام النبي ﷺ بالتصرف في الأمور الكونية في ظروف خاصة لا يحتاج فيها إلى ذلك.

وذلك لأن موقف القوم من النبي ﷺ كان موقفاً عنادياً، كما تحكي ذلك نفس الآية: ﴿وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى نُنَزِّلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَقْرُوهُ﴾، مما يعني أنهم كانوا في موقع المكابرة والعناد، وفي مثل هذه الحالة ستكون التصرفات التكوينية بالنسبة لهم عديمة الفائدة.

النقطة الثانية: إن الآيات المباركات تحكي أن القوم كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يقوم بالتصرف التكويني في المستحيلات الذاتية، التي لا يمكن أن يتعلق بها

» البشري عند الأنبياء ﷺ فيقول: «وتلتقي في آيات أخرى ببعض مظاهر الضعف البشري الفعلي للأنبياء، وذلك كما في قصة موسى الذي خرج من المدينة خائفاً يترقب، وكان يعيش الخوف من قتل فرعون وقومه له: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء ٢٦: ١٤]، والخوف في ساحة التحدي مع السحرة: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه ٢٠: ٦٧ و ٦٨]، ونجد ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام عندما دخل عليه الملائكة ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [الذاريات ٥١: ٢٨]. ونلاحظ ذلك في خطاب الله للنبي محمد ﷺ كيف يقدم نفسه للناس: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام ٦: ٥٠]، وقد ورد هذا المضمون في سورة هود في آية: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود ١١: ٣١]، فإن هذه الآية ظاهرة في تأكيد بشرية الرسول ﷺ، وبأن كل ما لديه إنما هو من الله سبحانه وتعالى يمنحه إياه بقدر حاجة الرسالة إليه في حركتها في الحياة». من وحي القرآن: ٦: ٣٣.

الإعجاز أبداً، كأن يأتي لهم بالله (سبحانه وتعالى) مع كونه من المستحيلات الذاتية والعقلية، التي لا يمكن تعلّق الإعجاز بها، كما أوضحناه من خلال بحثنا حول الاحتمال الأوّل الذي ذكرناه تفسيراً لحقيقة الولاية التكوينية؛ ولذلك فإنّ النبيّ الأعظم ﷺ لم يستجب لطلبهم؛ لعدم إمكانه في حدّ ذاته.

النقطة الثالثة: إنّ التأمّل في صياغة الآيات القرآنية يكشف عن أنّ القوم إنّما طلبوا ما طلبوا من النبيّ ﷺ بما هو بشر، لا بما هو مرتبط بالله (سبحانه وتعالى) من خلال منصبه الإلهي، وإلا لو كان طلبهم منه بما هو كذلك لاختلفت الصياغة، كما نبّه على ذلك صاحب الميزان ^(١)، فعوض قولهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ﴾ كانوا سيقولون مثلاً: لن نؤمن لك حتّى تسأل ربّك أن يفجر لنا كذا؛ ولأنّ طلبهم منه ﷺ كان بما هو بشر، لذلك فإنّ النبيّ ﷺ أجابهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا﴾، أي: بما أنّي بشر لا ارتباط لي بالله (سبحانه وتعالى)، فلا قدرة لي على الإتيان بمثل هذه الأمور.

والخلاصة: فإنّ الآية لا دلالة فيها على أنّ النبيّ ﷺ مطلقاً لا يستطيع التصرف في الأمور الكونية متى ما أراد، بل الآية ناظرة إلى وضع خاص لا يجدي فيه التصرف التكويني، إمّا لمكابرة قريش، وإمّا لطلبهم ما هو مستحيل بذاته، وإمّا لتركيزهم على الجنبه البشرية، ولو نوقش في هذه النقاط الثلاث بمخالفتها للظاهر، فسيأتي منا بيان ما يمكن الخدشة به في الإشكال المذكور، ويكون أكثر ملائمة لظاهر النصّ القرآني ^(٢).

وبما ذكرناه ظهر عدم ورود هذا الإشكال، فيبقى المعنى الثالث من معاني التفويض معنى صحيحاً وتاماً، ولا يرد عليه محذور لا في مقام الثبوت ولا الإثبات.

(١) تفسير الميزان: ١٣: ٢٠٣.

(٢) لاحظ الصفحة: ١٦٥، ٣٣٤.

عودة على بدء:

وبعد أن عرضنا الاتجاهات الثلاثة في توجيه حقيقة التفويض ، نعود إلى محور البحث ، وهو: هل أن الولاية التكوينية - مفهوماً - نحو من أنحاء التفويض ، أم لا ؟ والصحيح: أن الولاية التكوينية ناشئة عن التفويض ، ولكنها ليست هي التفويض ؛ إذ التفويض من قبيل الجعل ، بينما الولاية التكوينية من قبيل المَجْعول ، ولا يصح تفسير المَجْعول بالجعل في مقام التعريف ، حتى ولو قلنا بكون الفرق بينهما اعتبارياً ، وللتوضيح نقول: (الإمامة) - مثلاً - من جملة المجعولات الإلهية: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾^(١) ، ولكننا عندما نريد استجلاء حقيقتها ، وتحديد مفهومها ، لا يصح تعريفها بأن نقول: الإمامة: جعل إلهي ، من غير إضافة أي قيد آخر ؛ لأن ذلك لن يكون تفسيراً للإمامة (المَجْعول) بحسب المفهوم ، وإنما هو تفسير لها بحسب المنشأ والجعل ، وهذا لا يجدي نفعاً في مقام التعريف وإيضاح المفاهيم ؛ إذ كما أن الإمامة جعل إلهي ، كذلك النبوة والرسالة أيضاً وسائر المجعولات الإلهية ، تكوينية كانت أم تشريعية ، فيبقى مفهوم الإمامة لو اقتصرنا على تعريفها بـ (الجعل الإلهي) على ما هو عليه من الغموض والإبهام ، مع أن الغرض من التعريف ليس إلا كشف حقيقة المعروف أو تمييزه عما سواه كلاً أو بعضاً ، ولذلك ذكروا أن من جملة شرائط التعريف - كما هو مقرر في علم المنطق - أن يكون المعروف أجلى وأوضح من المعروف .

والكلام هو الكلام بالنسبة إلى التفويض والولاية التكوينية ، فالتفويض التكويني - هنا - عبارة عن: جعل الله (سبحانه وتعالى) أئمة الأمور ومقاليد الكون بيد المعصومين عليهم السلام ، والولاية التكوينية عبارة عن: المَجْعول ، وبالتالي فلا يصح

(١) البقرة ٢: ١٢٤ .

تفسير الولاية التكوينية بأنها تفويض من غير إضافة قيد آخر.

وبهذا يتضح لدينا: أن تفسير الولاية التكوينية بالتفويض ليس على تمامه، وإن كنا نقبل التفويض بالمعنى الثالث، ولكنه لا يصح أن يكون تفسيراً للولاية التكوينية، بل الصحيح هو: عدم قصر الولاية في مقام التعريف على التفويض، وإن كانت ناشئة عنه.

ويتأكد الإشكال فيما لو بنينا على ما بنى عليه جماعة من المحققين عليه السلام من كون الولاية التكوينية من لوازم ذوات المعصومين عليه السلام النورية؛ إذ التفويض من سنخ القضايا الجعلية، واللوازم الذاتية لا تقبل أن تُجعل بالجعل التأليفي^(١)، فلا يتجه تفسير الولاية التكوينية بالتفويض إطلاقاً.

الولاية التكوينية من مقتضيات الذوات النورية للمعصومين عليه السلام:

وجدير بنا هنا أن نقف عند ما أشرنا إليه من كون الولاية التكوينية لازماً ذاتياً للوجود النوري للمعصوم عليه السلام، وقبل الخوض في ذلك ينبغي عرض كلمات

(١) الجعل قسمان:

الأول: الجعل البسيط، ويراد به: جعل الشيء، أو فقل: الجعل المتعلق بمفعول واحد.
الثاني: الجعل المركب، ويراد به جعل شيء لشيء، أو فقل: الجعل المتعلق بمفعولين، ويعبر عنه بالجعل التأليفي أو التركيبي.

وقد التزموا بأنّ ذاتيات الشيء لا يمكن جعلها له بالجعل التركيبي، كما لا يمكن رفعها عنه أيضاً، أمّا لا يمكن رفعها للزوم التفكيك بين الشيء ولوازمه، وهو من المحالات، وأمّا لا يمكن جعلها: فلائها ما دامت ذاتية فهذا يعني أنّ الذات لا تتحقّق إلّا بها.

وعليه فمتى ما تحقّقت الذات فإنّه لا يمكن جعل ذاتياتها لها؛ إذ الفرض أنّها منجعله بجعلها، ولذا لا يصحّ جعل الإنسان إنساناً أو حيواناً أو ناطقاً، وإنّما تجعل هذه الذاتيات بنفس الجعل البسيط، ومن هنا اشتهر عن ابن سينا قوله: «ما جعل الله المشمشة شمشة، ولكن أوجدها».

الأعلام المصروفة بذلك.

فمن جملة من اختار كون الولاية التكوينية من لوازم ذوات المعصومين عليه السلام النورية: شيخ المحققين الأصفهاني رحمته الله حيث قال: «إلا أن هذه الولاية [أي الولاية على التكوين والتشريع] غير الولاية الظاهرية التي هي من المناصب المجعولة، دون الأولى التي هي لازم ذواتهم النورية، نظير ولايته تعالى، فإنها من شؤون ذاته تعالى لا من المناصب المجعولة، بنفسه لنفسه»^(١).

وأفاد رحمته الله في كتاب آخر قائلاً: «إن الولاية العامة للإمام عليه السلام على وجهين: فتارة ولاية باطنية معنوية لازمة لذاته القدسية، وبها له السلطان على التصرف في العالم، وهذه غير مجعولة تشريعاً، بل مجعولة تكويناً بجعل وجوده عليه السلام»^(٢).

وكذلك أيضاً المحقق الأعظم الميرزا النائيني رحمته الله، حيث قال: «وهذه المرتبة من الولاية التكوينية مختصة بهم، وليست قابلة للإعطاء إلى غيرهم؛ لكونها من مقتضيات ذواتهم النورية، ونفوسهم المقدسة، التي لا يبلغ إلى دون مرتبتها مبلغ»^(٣).

وقد تبعهما في ذلك تلميذهما المعظم الشيخ محمد تقي الأملي رحمته الله حيث قال: «وهذه المرتبة مجعولة لهم بالجعل التكويني البسيط، بمعنى أنها لازم وجودهم الغير المنفك عنهم، وقد تقرّر في محله أن لوازم الشيء غير قابلة لأن يتعلّق بها الجعل المركّب، بل الجعل المركّب في عرض قد بدا مفارقاً لا غير بالجعل المؤلف انطقاً، فجعل تلك المرتبة لهم هو بجعل وجوداتهم النورية الشريفة،

(١) حاشية المكاسب: ٢: ٣٧٩.

(٢) الأصول على النهج الحديث: ٥٣ و ٥٤.

(٣) المكاسب والبيع: ٢: ٢٣٢.

كما أنَّ مرتبة الولاية الختمية من النبوة، بل أصل النبوة أيضاً كذلك، فإنه (سبحانه) ما جعل سيّد المرسلين ﷺ حاكماً بالجعل المؤلف تكويناً وتشريعاً، بل جعل وجوده الشريف، ولازم تلك المرتبة من الوجود أن يكون فاتحاً لما استقبل وخاتماً لما سبق^(١).

واختار ذلك المحقق السيّد المروّج ﷺ أيضاً، حيث جاء في كلامه: «[الولاية التكوينية... هي من لوازم ذواتهم النورية، وليست من المناصب المجعولة]^(٢). وسئل سيّدنا الأستاذ المعظم المحقق السيّد محمد صادق الروحاني (دام ظلّه) السؤال التالي: «هل ولاية أهل البيت ﷺ التكوينية من المقامات الذاتية للمعصومين ﷺ، أم من المقامات العرضية؟

فأجاب (دامت بركاته): «إن كان المراد من كون الولاية التكوينية مقاماً ذاتياً: أنَّ المعصومين ﷺ يمتلكونها بأنفسهم استقلالاً، فهذا مقطوع بطلانه، وإن كان المراد كونها ثابتة لهم ﷺ بمقتضى خلقهم النورية، فهي من ذاتياتهم بهذا اللَّحَاط، فهذا صحيح ولا إشكال فيه»^(٣).

إذا عرفت ذلك، فإنَّ المراد من كون الولاية التكوينية للمعصومين ﷺ من مقتضيات ذواتهم النورية: أنَّهم ما دامت ذواتهم قد خلقت من نور الله تعالى، ونور الله علمه وقدرته وحكمته وسائر صفات ذاته، فلازم هذا أن يكون العلم والحكمة والعصمة والقدرة التكوينية من مقتضيات ذواتهم، ومجعولة بنفس جعلها لا بجعلٍ تركيبِي.

(١) مصباح الهدى: ١٠: ٣٧٠.

(٢) هدى الطالب: ٦: ١٥٢.

(٣) أجوبة المسائل: ١: ٥٧.

ويشهد لذلك تفريع الروايات الشريفة لصفات المعصومين عليهم السلام الملكوتية على خلقتهم من نور الله تعالى ، ومنها: معتبرة محمد بن مسلم ، قال : «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهُمْ مِنْ نُورِهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَهُمْ عَيْنُ اللَّهِ النَّاطِرَةِ ، وَأُذُنُهُ السَّامِعَةِ ، وَلِسَانُهُ النَّاطِقُ فِي خَلْقِهِ بِإِذْنِهِ»^(١).

(١) الإمامة والتبصرة: ١٣٢.

الاحتمال الرابع: الولاية التكوينية وساطة الفيض.

وهذا الاحتمال يظهر من كلمات غير واحد من الأعلام (قدّس الله أسرارهم):
منهم: سماحة آية العظمى، مفخرة العلم والتقى، الفقيه المحقق، والأصولي المدقق، السيّد محمد هادي الميلاني (طاب ثراه) حيث يقول: «الولاية التكوينية من حيث الإفاضة مخصوصة بالله تعالى، ومن حيث الوساطة في الفيض مخصوصة بالمخلوق بجعل الله تعالى، والوساطة في الفيض هي إحدى الأسباب الموجودة في عالم التكوين»^(١).

وقال في موضع آخر: «الولاية التكوينية قسمان: قسم عبارة عن كون الشخص مجرى الفيض للكائنات في الجملة، وهو ثابت لعموم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، والقسم الآخر - وهو الولاية التكوينية الكلية - عبارة عن كون الشخص مجرى الفيض بالنسبة لجميع عالم الإمكان، وهذا ثابت للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، وقد ورد عنهم ما يدلّ على ثبوته لهم بما يفوق حدّ التواتر، وحاشاهم أن ينطقوا بخلاف الواقع، إذ هم الصادقون المصدّقون، وهذا واضح لكلّ من راجع كتب الحديث المعتمدة الواردة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام.

مضافاً إلى أنّ الأدلة العقلية الدالة على المقام المذكور غير قابلة للردّ، وإنكاره - بنظر المذهب الجعفري - يُعدّ نقصاً^(٢).

(١) ديدگاههای علمی آیه عظمی میلانی: ٢٧٢.

(٢) المصدر المتقدم: ١٣٩.

ومنهم: الأستاذ الشهير، والفيلسوف الخبير، سماحة آية الله الشيخ صدرا البادكوبي (أعلى الله درجته)، حيث يقول: «وهنا بحث آخر، وهو: هل يكون للإمام عليه السلام الولاية التكوينية، أم لا؟ وبعبارة أخرى: هل يكون واسطة في الفيض أم لا؟ إذا كان له هذه الولاية فهو قادر بإذن الله على التصرف في الأرض والسماء»^(١).

وهذا المسلك في تفسير الولاية التكوينية هو الظاهر من كلمات المحقق البارع، سماحة آية الله السيد محمد حسين الطهراني (طيب الله مثواه)، حيث يقول: «ومعنى الولاية التكوينية: أن رسول الله صلى الله عليه وآله - حقاً - هو الواسطة والحجاب بين العبد وربّه، وأن جميع الفيوضات تفاض من الله على العباد - كالحياة والعلم والقدرة وغيرها - بواسطته، حيث يمثل مرآة الحق، وهو في مقام الولاية وبدون واسطة»^(٢).

وقال تحت عنوان: (دلالة «إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم» على الولاية التكوينية) ما هذا نصّه: «وَبِكُمْ تُنْبِتُ الْأَرْضُ أَشْجَارَهَا، وَبِكُمْ تُخْرِجُ الْأَشْجَارُ أَثْمَارَهَا، وَبِكُمْ تُنْزِلُ السَّمَاءُ فَطْرَهَا وَرِزْقَهَا، وَبِكُمْ يَكْشِفُ اللَّهُ الْكَرْبَ، وَبِكُمْ يُنْزِلُ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ تُسَبِّحُ اللَّهُ الْأَرْضُ الَّتِي تَحْمِلُ أَبْدَانَكُمْ، وَتُسْتَقِلُّ جِبَالُهَا عَلَى مَرَاسِيهَا. إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ، وَتَصْدُرُ مِنْ يُوتِيَكُمْ، وَالصَّادِرُ عَمَّا فَصَلَ مِنْ أَحْكَامِ الْعِبَادَةِ»^(٣).

(١) هداية الأصول: ٣: ٢٧٨.

(٢) معرفة الإمام: ٥: ٩٧.

(٣) كامل الزيارات: ٣٦٥، باب ٧٩، الحديث ٢. الكافي: ٤: ٥٧٥، الحديث ٢. من

لا يحضره الفقيه: ٢: ٥٩٤، الحديث ٣٢٠٢. تهذيب الأحكام: ٦: ٥٤، الحديث ١

و: ١٠٣، الحديث ٢. وسائل الشيعة: ١٤: ٤٩٠، الحديث ١. بحار الأنوار: ٩٨: «

ومن الجليّ في هذه الفقرات أنّ المراد بتأثير النفوس القدسيّة لأئمة الدين (سلام الله عليهم أجمعين) في الكائنات، يعني كونها واسطة فيض الرحمة الإلهيّة، وأنّ نفوسهم مرآة ونافذة لتلقّي الرحمة من مقام العزّ الإلهي، وبثّها ونشرها في عالم الإمكان^(١).

وحتى تتّضح الصورة كاملة حول هذا الاحتمال لا بدّ أن نقف عنده من خلال عدّة محاور:

المحور الأوّل: بيان المقصود من الواسطة في الفيض.

هناك خمسة مصطلحات مترابطة، لا بدّ من بيانها جميعاً حتى يتّضح المقصود من مصطلح (الواسطة في الفيض)، وهي:

المصطلح الأوّل: المبدأ الفياض، ويراد به: الله (سبحانه وتعالى)، فهو المفيض الذي يرجع إليه كلّ فيض، ولذا يُعبّر عنه بأنّه مبدأه، وبما أنّ الفيض الذي يصدر منه لا يمكن إحصاؤه لعدم محدوديّته، لذلك لا يُعبّر عنه بالمفيض فحسب، بل يُعبّر عنه بـ (الفيّاض) بصيغة المبالغة.

المصطلح الثاني: الإفاضة، وهي تعني: الإيجاد والإعطاء، وكلاهما -بناءً على تغايرهما- فعّالان من أفعال الله تعالى، كالخالقيّة والرازقيّة.

ومن الجدير بالذكر: أنّ الإفاضة منه تعالى شأنه ليست على نحو التوليد، بحيث يصدر شيء منه وينفصل عنه، كما يحصل في انفصال الندى عن البحر رغم كونه مفاضاً منه، بل الإفاضة تعني صدور المُفاض من المُفيض بحيث لا ينقص من كماله شيء إذا صدر عنه، ولا يزيد في كماله شيء إذا رجع إليه،

» ١٥١، الحديث ٣ و: ٣٧٠، الحديث ١٤.

(١) معرفة المعاد: ٣: ١١٤.

وهذا أشبه بوقوع الظل من ذي الظل.

المصطلح الثالث: الفيض، والمراد منه: العطاء الإلهي، وهو يصدق على جميع ما سوى الله تعالى، إذ أن كل شيء سواء (تعالى) ممكن بالذات، لانحصار الوجوب بالذات به (تعالى شأنه)، وبما أن كل ممكن له ماهية تستوي نسبتها إلى الوجود والعدم، فإنه يحتاج في وجوده إلى علة يجب بها وجوده فيوجد، وليست هذه العلة إلا الواجب بالذات (تعالى شأنه)، وهذا يعني أنه هو الذي يفيض عنه وجود كل ذي وجود من الماهيات الممكنة، وليس هو مفيضاً لوجود غيره فحسب، بل هو مفيض لكل آثاره القائمة به^(١).

المصطلح الرابع: المستفيض، ويراد به: المتلقى للفيض الإلهي من الموجودات الممكنة، وجدير بالذكر أن كل موجود من الموجودات يتلقى من الفيض بمقدار استعداده، إذ أن الفيض الإلهي مطلق لا انقطاع ولا حد له ﴿وَإِن كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(٢)؛ ضرورة أن منع الفيض إما أن يرجع إلى الجهل أو إلى البخل أو إلى العجز، وكل ذلك ممتنع عليه تعالى، وعليه فإن المانع عن تجلي الفيوضات الإلهية ليس من ناحية الفاعل (تبارك وتعالى)، وإنما هو من ناحية القصور في قابلية القابل.

المصطلح الخامس: الواسطة في الفيض، ويراد بها: الموجود الذي لا يصل الفيض إلى بقية الموجودات الإمكانية إلا بواسطته.

ويعبر عن (الواسطة في الفيض) - والتي نعتقد أنها منحصرة بمحمد وآل

(١) لا يخفى أن الإفاضة والفيض متحدان بالذات، ولكنهما متفاوتان بالاعتبار، فمن حيث قيام الصادر الفاضل بالماهية يسمى فيضاً، ومن حيث قيامه بالجاعل قيام الفعل بالفاعل يسمى إفاضة.

(٢) الإسراء ١٧: ٢٠.

محمد (عليهم آلاف التحية والسلام) - بتعبيرات مختلفة ، منها: (الوجود المنبسط) و (الفيض المقدس) و (النفس الرحماني) و (الرق المنشور) و (الهيكل الإمكانى) و (الرحمة الفعلية).

المحور الثاني: تحليل حقيقة الوساطة في الفيض .

لا يخفى أنَّ مسألة الوساطة في الفيض تكاد أن تكون من المسلّمات عند أعلام الطائفة (أنار الله برهانهم) ، ولم أعر على مَنْ ينكرها ممّن يعتدّ بقوله^(١) ، وإنّما اختلفوا في كيفية تحليل حقيقة الوساطة في الفيض على أحد وجوه ثلاثة:

(١) من جملة القائلين بها: المحقّق الآخند رحمته في كفاية الأصول: ٣٧٨ ، والمحقّق الشيخ محمد تقى الأصفهاني المعروف بـ (آغا نجفي) رحمته في العنايات الرضوية: ٢١ ، والمحقّق الآخند الملا زين العابدين الكلبي رحمته في أنوار الولاية: ٣٥٢. والمحقّق العراقي رحمته في نهاية الأفكار: ٣: ١٨٩ ، والمحقّق الشيخ الأصفهاني رحمته في حاشية المكاسب: ١: ٣٩ ، والمحقّق المشكيني رحمته في حاشية الكفاية: ٣: ٥٠٣ ، والسيد الحكيم رحمته في حقائق الأصول: ٢: ٢١٣ ، والسيد الخوئي رحمته في مصباح الفقاهة: ٥: ٣٣ ، والسيد الخميني رحمته في كتاب البيع: ٣: ٢١ ، والسيد الميلاني رحمته في محاضرات في فقه الإمامية - الخمس: ٢٧٣ ، والسيد البجنوردي رحمته في منتهى الأصول: ٢: ٢١٠ ، والسيد السبزواري رحمته في مواهب الرحمن: ٣: ٧٦ ، والشيخ محمد علي الأراكي رحمته في كتاب البيع: ٢: ١٥ ، والميرزا هاشم الأملي رحمته في المعالم المأثورة: ٥: ١١٨ ، والسيد المروج رحمته في هدى الطالب: ٦: ١٣٦ ، والشيخ الوحيد الخراساني (دام ظلّه) في الحقّ المبين: ٩٥.

وفي قبال هؤلاء الأعلام (أعلى الله كلمتهم ، وأنار برهانهم جميعاً) يرى السيد محمد حسين فضل الله في كتابه (نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية): ٧٠: أنَّ فكرة الوساطة في الفيض (بعيدة عن صفاء العقيدة التوحيدية) ، و (مخالفة لظواهر آيات القرآن الكريم) ، وفي ذلك اتّهام جريء لهؤلاء الأعلام - الذين شيدوا معالم الدين ، وأرسوا دعائم التوحيد - بعدم صفاء عقيدتهم التوحيدية ، فاعجب لما تقرأ ، وما عشت أراك الدهر عجباً.

الوجه التحليلي الأول: أن تتلقّى الواسطة الفيض الإلهي بشكل مباشر، ومنها يجري الفيض لبقية الموجودات الإمكانية، بحيث يكون المبدأ الفيّاض هو (ما منه الوجود) وواسطة الفيض هو (ما به الوجود). ويراد بالأول: مَنْ يفيض عنه الوجود بذاته واستقلاله، وهو منحصر بواجب الوجود (تعالى شأنه)، ويراد بالثاني: مَنْ يكون مجرّئ للفيض، بحيث يمرّ منه فيض الوجود إلى غيره من الموجودات، وهو منحصر بغيره تعالى.

ويمكن تشبيه الواسطة في الفيض - على مسامحة في التعبير - بالأنبوب الرئيسي الذي يستلم المياه من مصدرها، وبدوره يوصلها إلى جميع النقاط، كما ويُمكن تقريب فكرة الواسطة في الفيض بكوكب الشمس، فإنّه من مجاري فيض الحياة والنماء والصحة لكثير من الموجودات، بحيث لولا أشعته - التي جعلها الله تعالى مصدراً للنمو والحياة والشفاء من كثير من الأمراض - لتوقّف نمو الكثير من الموجودات الإمكانية.

ويظهر هذا الوجه من كلام عدّة من الأعلام، منهم: العلامة المجلسي (أعلى الله درجته)، حيث يقول: «فهم المادة القابلة لجميع الفيوضات، وكلّ فيض يفيض عليهم أولاً وبالذات، ثمّ يسري بفضل وجودهم إلى غيرهم، كلّ بحسب استعدادة.. وهذا معنى الشفاعة الكبرى، حيث أفيضت وتفاض جميع الخيرات والكمالات بهم إلى الخلق من الأزل إلى الأبد»^(١).

ومنهم: شيخ المحققين الأصفهاني (طيب الله تربته الزكية)، حيث يقول: «ومما ذكرنا يظهر أنّ كيفية ولاية النبي ﷺ والأئمة (صلوات الله عليهم) وسلطتهم المعنوية على جميع الموجودات من هذا القبيل، نظراً إلى أنّهم وسائط

(١) عين الحياة: ١: ٢٢٢.

الفيض ومجاريها، وفي رتبة فاعل ما به الوجود لا ما منه الوجود، وبهذا الاعتبار بهم يتحرك المتحرّكات وتسكن السواكن»^(١).

ومنهم: أستاذ أساتذتنا، المحقق السيّد محمد هادي الميلاني (أعلى الله درجته)، كما يظهر من كلماته المتقدّمة، ومن قوله أيضاً: «وهم الواسطة والمجرى للفيض الإلهي، بحيث أنّ فيض الوجود يستقل من تلك الذوات الطاهرة ويصل - بإذن الله - إلى غيرهم، وهذا يسمّى بـ (الفاعل ما به الوجود) وهو يختلف عن (الفاعل ما منه الوجود) الذي هو بمعنى الخالق والموجد، الذي ينحصر في ذات الله تعالى، إذ الخلق مختصّ به جلّت أسماؤه، وعلى سبيل المثال: فالشمس واسطة في إنبات الزرع ونموّ الأجسام، فهي (ما به الوجود) والموجد هو الله فحسب»^(٢).

ومنهم: الفقيه المقدّس السيّد السبزواري (أعلى الله مقامه)، حيث يقول: «كونهم واسطة الفيض والبركات التي تنزل عليهم، ثمّ منهم إلى غيرهم»^(٣).

ويظهر هذا أيضاً من كلمات المرجع الولائي الأكبر، الشيخ الوحيد الخراساني (دامت بركات وجوده الشريف)، حيث يقول: «هذا مع قطع النظر عمّا ثبت بالبرهان من أنّ الإنسان الكامل - وهو خليفة الله في كلّ زمان - واسطة الفيض في عالم التكوين، وأنّ الله سبحانه هو من منه الوجود، وخليفته وحجّته من به الوجود، وبه ينزل الغيث، وبه يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبه ينفسّ الهمّ ويكشف الضرّ، وللكلام عن مقام العباد الذي لا يسبقونه بالقول وهم

(١) حاشية المكاسب: ١: ٣٩ و ٤٠.

(٢) محاضرات في فقه الإمامية (كتاب البيع): ٥: ٣٢.

(٣) مواهب الرحمن: ٤: ١٨٤.

بأمره يعملون ، وأنهم ولاية الأمر في التكوين والتشريع مجال آخر^(١).

دليل الوجه الأول:

وأصحاب هذا الوجه لا يقولون: يكون مقام الوساطة في الفيض مقاماً تشريفاً فحسب ، بل يرونها أحد الأسباب اللابديّة التي بُني عليها عالم التكوين ، ووجه ضرورتها يتّضح من خلال الالتفات إلى ثلاث جهات:

الجهة الأولى: إنّ الفيض الإلهي لا يقبل الانقطاع ، إذ أنّ المبدأ الفيّاض - كما تقدّم - هو الجواد المطلق والمعطي الكريم ، الذي لا تزيده كثرة العطاء إلاّ جوداً وكرماً ، كما يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ، بل العقل قاضٍ بذلك بالضرورة ، باعتبار أنّ منع الفيض إمّا أن يرجع إلى الجهل أو إلى البخل أو إلى العجز ، وكلّ ذلك ممتنع عليه تعالى ، فيمتنع أن يمسّ البخل ساحة سخائه وجوده وكرمه.

الجهة الثانية: إنّ كلّ ما سوى الله (سبحانه وتعالى) من الموجودات الإمكانية في غاية الاحتياج لفيض المبدأ الفيّاض (تعالى شأنه) ؛ إذ أنّ كلّ ما سواه مفتقرٌ إليه ، بل هو عين الفقر والتعلّق به ، كما يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾^(٢).

الجهة الثالثة: إنّ الممكنات لا طاقة لها ولا قابليّة عندها لتلقّي الفيض الإلهي بالمباشرة ، ويمكن تقريب ذلك بأحد بيانين:

البيان الأول: إنّ الفرق بين الواجب (سبحانه وتعالى) والممكن: أنّ الواجب لا حدّ له إلاّ أنّه لا حدّ له ، وهو فوق ما يتناهى بما لا يتناهى ، وهذا يقتضي عدم

(١) مقدّمة في أصول الدين : ٤٧١.

(٢) فاطر ٣٥ : ١٥.

محدودية فيضه وعدم تنافيه ، بينما الممكن - مهما بلغ من الكمال - فهو منقطع متناهٍ محدودٌ ، وإذا كان الأمر هكذا فمن الواضح جداً أنَّ المحدود لا يمكن أن يستوعب الفيض اللا محدود ، والمتناهي يستحيل أن يستوعب العطاء اللامتناهي . ويمكن تقريب ذلك بمثالٍ حسي ، وهو الكأس الصغير فيما لو أراد أحد الأشخاص أن يفرغ فيه قارورة ماء ذات سعة كبيرة ، فإنه من الواضح أنَّ الكأس الصغير لا يمكن أن يستوعب القارورة الكبيرة ، لأنه محدودٌ بحدٍّ معين ، وماء القارورة فوق سعة حدوده ، فلا قابلية له لاستيعاب ماء القارورة كله .

البيان الثاني : إنَّ المستفيض الممكن المخلوق ينتمي إلى عالم النقص ، بل إلى أدنى عوالم النقص ، وهو عالم الماديات والشهوات ، بينما الفيض الإلهي ينتمي إلى عالم الكمال المطلق ، وباختصار : فإنَّ الفيض الإلهي كمالٌ مطلقٌ والمخلوق نقصٌ مطلقٌ ، ومن البديهي أنَّ النقص المطلق لا يتحمل الكمال المطلق .

ويمكن تقريب هذا البيان بمثالٍ حسيٍّ أيضاً ، وهو : النباتات الضعيفة الصغيرة والبحر الهادر الكبير ، فإنَّ النباتات الصغيرة تمثل أدنى مراتب الضعف والنقص ، بينما البحر الهادر يمثل - في قبالها - أعلى مراتب القوة والكمال ، وعليه فلو أنك قمتَ بغرسها في بستان بجانب البحر ، ثمَّ قمتَ بهدم جدار البستان الملاصق للبحر ، وفتحتَ عليها مياه البحر الهادر بصورة مباشرة ، لأبدتها بل أبدتَ البستان كله في ظرف لحظة ، وما هذا إلا لأنَّ الضعيف الناقص لا قابلية له لتلقي الفيض القويِّ الكامل بصورة مباشرة .

ومن خلال هذين البيانيين يتضح : أنَّ مسألة عجز الموجودات الإمكانية عن تلقي الفيض الإلهي بطريق مباشر ، لا تعود إلى عجز الفاعل (سبحانه وتعالى) ، وإنما ترجع إلى قصور القابل ؛ لمحدودية ذاته ونقصها ، وهذا نظير مسألة هل أنَّ

الله تعالى قادرٌ على جعل الدنيا في بيضةٍ من غير أن تصغر الدنيا أو تكبر البيضة ؟ فإن الامتناع فيها ليس لعجز في الفاعل (سبحانه وتعالى) ، وإنما هو لقصورٍ في القابل ، إذ أن نفس البيضة لا استعداد لها - على صغرها - أن تكون ظرفاً مستوعباً للدنيا بسعتها ، لنقصٍ فيها لا لعجز في القادر المطلق (تعالى شأنه) .

الوحي شاهدٌ على قصور الممكنات عن تقبل الفيض المباشر :

ويمكن استيضاح فكرة قصور المستفيض عن تلقي الفيض من المبدأ الفيّاض بمسألة الوحي الإلهي ، وحتى يتم الاستيضاح لا بد من ذكر مقدمتين :

المقدمة الأولى : وجه الحاجة إلى بعث الأنبياء ﷺ .

ومحصّل الكلام فيها : أن الله (سبحانه وتعالى) لما خلق الخلق لم يخلقهم عبثاً ، وإنما خلقهم لغرض يعود لهم ؛ لأن ساحة ذي الجلال منزّهة عن العبث ، وهذا الغرض هو وصولهم إلى الكمال ، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(١) ، فإن العبادة هي أداة الوصول إلى مستهى الكمال الممكن .

ومن الواضح أن الإنسان وحده ليس بإمكانه أن يحقق هذا الغرض ، إذ كيف له أن يدرك أن عبادة الله تعالى تتحقّق بالحجّ تارة وبالصيام تارة أخرى وبالصلاة تارة ثالثة ، كما أنّها لا تتحقّق فجراً إلا بصلاة ركعتين ، بينما تتحقّق ظهراً بصلاة أربع ركعات ، وهكذا ، ممّا يعني أن الإنسان لو ترك وحده لم يتجاوز نقطة الصفر .

وهذا ما فرض بعثة الأنبياء والرسل والأوصياء ﷺ ، فإنّه بعد أن كان من الممتنع عليه تعالى أن يتّصل بخلقه بشكل مباشر ؛ لذا لزم أن يهيء مَنْ يكون واسطة بينهم وبينه ، وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام حين سأله الزنديق : من

(١) الذاريات ٥١ : ٥٦ .

أين أثبت الأنبياء والرسل ؟

حيث أجابه بقوله: «إِنَّا لَمَّا أَثَبَّنَا أَنَّ لَنَا خَالِقًا، صَانِعًا، مُتَعَالِيًا عَنَّا وَ عَن جَمِيع مَا خَلَقَ... لَمْ يَجْزْ أَنْ يُشَاهِدَهُ خَلْقُهُ وَلَا يُلَامِسُوهُ، فَيُبَاشِرَهُمْ وَيُبَاشِرُوهُ، وَيُحَاجُّهُمْ وَيُحَاجُّوهُ، ثَبَّتَ أَنَّ لَهُ سَفَرَاءَ فِي خَلْقِهِ يُعَبِّرُونَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ، وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ، وَمَا بِهِ بَقَاؤُهُمْ، وَفِي تَرْكِهِ فَنَآؤُهُمْ»^(١).

ولو لم يرسل الله تعالى أنبياء ورسلاً لنقض غرضه (سبحانه وتعالى عن ذلك)؛ إذ أن غرضه من إيجاد الخلق جميعاً ليس إلا الوصول إلى الكمال، وبما أنه تعالى يعلم بعدم إحاطة عباده بطرق الكمال، فإنه لو تركهم سدى من غير أن يعرفهم بطرق الكمال بواسطة رسله، لم يتحقق غرضه من إيجادهم، وبذلك يكون ناقضاً لغرضه، فيكون فعله عبثاً ولغواً، وحاشا ساحتَه المقدسة اللّهُو واللّعب والعبث.

المقدمة الثانية: فلسفة عدم الوحي المباشر للخلق جميعاً.

قد يقول بعضهم: إن ما ذكر في ثنایا المقدمة السالفة لا يعين لزوم إرسال الرسل والأنبياء ﷺ، لوجود خيار آخر، وهو أن يوحى الله تعالى إلى كل شخص بالمباشرة كما أوحى إلى سائر الحجج والأنبياء ﷺ.

ولكن الصحيح عدم إمكان ذلك؛ لالعجز في الفاعل تعالى، بل لقصور في القابل، وسره المرتبط بما نحن فيه: أن الوحي نوع من أنواع الفيض الإلهي، والفيض الإلهي لا يقوى كل أحد على تحمّله، وفي القرآن الكريم والروايات المطهرة ما يشهد بذلك، فلنقف هنا عند بعضها.

وأول ما نلتقي به قوله تعالى مخاطباً النبي الأعظم ﷺ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا

(١) الكافي: ١: ١٦٨.

ثَقِيلًا ﴿^(١)﴾، حيث وصف القول الملقى للنبي ﷺ بالثقل، فكيف هو يا ترى هذا الثقل الذي يتحمّله النبي ﷺ من أجل أن يوصل إلينا وحي السماء؟! إن القرآن الكريم يجيب عن هذا التساؤل فيقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ^(٢)، وهو بهذا يكشف عن حقيقة مذهلة، وهي: أن الجبل الصلب الذي يتحدّى السيول الجارفة لا يستطيع أن يتحمّل نزول آية من القرآن الكريم عليه، ولو نزلت عليه لتصدّع من خشية الله تعالى.

وليس هذا أثر الوحي فحسب، بل هو أشدّ من ذلك، كما يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ﴾ ^(٣)، فعند حصول حالة الوحي تكاد أن تصيب السماوات حالة من الرجفان والتفطر.

وعن هذه الحقيقة تتحدّث الروايات الشريفة أيضاً، فمنها: ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أراد الله أن يوحى بأمر تكلم بالوحي، فإذا تكلم بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا وخرّوا سجّداً» ^(٤).

والمذهل أن القرآن الكريم عندما يتحدّث عن السماء يصفها: ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ

(١) المزمل: ٧٣: ٥.

(٢) الحشر ٥٩: ٢١.

(٣) الشورى ٤٢: ٣ - ٥.

(٤) الدر المنثور: ٥: ٢٣٦.

خَلْقاً أَمْ السَّمَاءِ بَنَاهَا»^(١)، وفي الوقت نفسه يحدثنا -وتحدثنا الروايات- عن عدم قدرتها على تحمّل الوحي، ممّا يلفت أنظارنا إلى أن ثقل الوحي -الذي كان يتحمّله قلب أشرف الكائنات ﷺ- كان بهذا المستوى من الثقل الذي لا تتحمّله السماء مع ما هي عليه من استحكام بنائها، والجبال مع ما هي عليه من قوتها وصلابتها.

وممّا ينبّه على ثقل الوحي قول أمير المؤمنين عليه السلام مصوراً حالة النبي ﷺ حين نزوله عليه: «فقد نزلت عليه وهو على بغلته الشهباء، وثقل عليها الوحي، حتّى وقف، وتدلّى بطنها حتّى رأيت سرّتها تكاد تمسّ الأرض، وأغمي على رسول الله ﷺ»^(٢). ومن مجموع هذه الشواهد القرآنيّة والروائيّة نستطيع أن نفهم مدى ثقل الوحي.

وجديرٌ بالذكر أنّ تلك الإغماء التي كانت تعترى رسول الله ﷺ لم تكن تعتريه حين نزول الوحي عليه من طريق جبرائيل عليه السلام، وإنّما كانت تحدث له حين كان يصل إليه الوحي بشكل مباشر.

فعن زرارة، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلَت فداك، الغشية التي كانت تصيب رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي؟ فقال: ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلّى الله له»^(٣).

وبهذا يتبيّن زيف ما تصوّره مدرسة الخلاف من حالة الخوف التي كانت تعترى النبي ﷺ حين نزول جبرائيل عليه السلام، نظير ما يرويه البخاري في صحيحه عن عائشة من أنّ النبي ﷺ حين نزل الملك عليه رجف فؤاده، ودخل

(١) النازعات ٧٩: ٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ١٨: ٢٧١.

(٣) بحار الأنوار: ١٨: ٢٥٦.

على خديجة بنت خويلد عليها السلام وهو يقول: زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروح^(١).

وقد أكدت الروايات كثيراً على زيف ذلك ، ومنها: قول الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن الغشية التي كانت تأخذ النبي صلى الله عليه وآله : أكانت تكون عند هبوط جبرائيل ؟

فقال : لا ، إن جبرائيل عليه السلام إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله لم يدخل عليه حتى يستأذنه ، فإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد ، وإنما ذلك عند مخاطبة الله عز وجل إياه بغير ترجمان وواسطة^(٢).

ومن خلال جميع ما ذكرناه ظهر لنا جيداً: أن الوحي -بما هو فيض إلهي- لا يمكن أن يفاض على أي أحد ، بل لا بد أن تكون لدى المستفيض قابلية واستعداداً لتلقيه ، إذ أن أشرف الكائنات وسيدهم صلى الله عليه وآله إذا كان هذا هو حاله حين نزول الوحي عليه ، فما بالك بمن دونه من الممكنات ؟! ولذا حتى الأنبياء عليهم السلام كانوا يتفاوتون في كيفية تلقي الوحي ، كما يشير لذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ ﴾^(٣).

وما هذا -بحسب الظاهر- إلا لتفاوت المراتب ، كما يتضح ذلك لمن يقارن بين قوله تعالى متحدثاً عن النبي صلى الله عليه وآله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى^(٤) ، وبين قوله عندما يتحدث

(١) صحيح البخاري : ١ : ٣.

(٢) بحار الأنوار : ١٨ : ٢٦٠.

(٣) الشورى : ٤٢ : ٥١.

(٤) النجم : ٥٣ : ٨ - ١١.

عن النبي موسى ﷺ: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١)، فهنا نبي الله موسى ﷺ رغم كونه مدعواً من قبل الله تعالى لمناجاته، إلا أنه لم يتلقَ الوحي إلا من خلال الصوت الذي خلقه الله تعالى في الشجرة، بينما رسول الله الأعظم ﷺ يتجلى الله تعالى له، ويوحى له ما يشاء بالوحي المباشر.

المحصلة النهائية:

ومن كل ما ذكرناه ننتهي إلى ما ابتدأنا به من أن المخلوق لا قدرة له على تحمّل الفيض الإلهي بالمباشرة، وقد استشهدنا بالوحي كمفردة من مفردات الفيض التي تؤكد على أن الفيض الإلهي لا يمكن أن يتحمّله كل مخلوق بالمباشرة، لأن المخلوق ناقص محدود بينما الفيض الإلهي كمال غير محدود، والمحدود لا قابلية له لاستيعاب اللامحدود، وهذا ما ينهينا إلى القول بلزوم وجود واسطة في الفيض بين المبدأ الفياض والمستفيض، تكون لها القابلية لتلقي الفيض بشكل مباشر، ومنها يجري الفيض إلى غيرها، بأن تكون هذه الواسطة ذات جنبتين: إحداهما: جنبه ملكوتيّة نوريّة تتحمّل الفيض المطلق، والثانية: جنبه بشريّة، تتمكّن من خلالها من إيصال الفيض إلى الموجودات الناقصة المحدودة، وهذا هو أحد وجوه التعبير عن المعصومين ﷺ بأنهم «أولياء النعم»^(٢)، كما في

(١) القصص ٢٨: ٣٠.

(٢) ومن جميع ما ذكرناه وسنذكره من أن الواسطة في الفيض هي مقتضى النظام الأصلح، يتّضح وجه الخدشة في قول بعض المعاصرين: «إذا كان الله سبحانه وتعالى قد رتب الكون كله من أصغر ذرة إلى أكبر ذرة بشكل دقيق ليس فيه أي خلل، فأية حاجة للوليّ بالمعنى المذكور؟! فإذا قلنا إن الأنبياء ﷺ هم أولياء الكون، وأولياء النعم، والأئمة ﷺ أيضاً أولياء الكون وأولياء النعم، فذلك يعني الإيمان بالنقص في هذا الخلق، مع أنه ليس «

الزيارة الجامعة الكبيرة الواردة عن الإمام الهادي عليه السلام .

إشكالٌ ودفعٌ :

ولكن قد يقال : إن ما ذكر لا يكفي لإثبات ضرورة وجود الواسطة في الفيض ، وذلك لوجود خيار آخر يمكن أن تحل به المشكلة المتقدمة من غير أن نحتاج إلى افتراض واسطة الفيض ، وهو : أن يفيض الله (تعالى شأنه) فيضه على كل مستفيض بمقدار ما عنده من الاستعداد ، من غير أن تتوسط واسطة بينه وبين المستفيض .

إلا أن هذا الخيار قد منعه القائلون بلا بدئية الواسطة ، وبنوا على عدم إمكان المصير إليه ، منطلقين من إحدى قواعد ثلاث :

القاعدة الأولى : قاعدة السخية بين العلة والمعلول .

ومعنى هذه القاعدة : أن المعلول لا يمكن أن يصدر من أي علة ، بل لا بد أن تكون هناك مناسبة خاصة وجهة مسانحة بين العلة والمعلول ، ولولا هذه المناسبة والرابطة التكوينية للزم أن يصدر كل شيء من كل شيء ، فيصدر الإحراق من الثلج ، ويصدر التثليج من النار ، وهكذا ، وهذا اللازم واضح البطلان ، وبما أنه باطل فالملزوم - وهو عدم السخية - مثله ، فيكون نقيضه - وهو وجود السخية بين العلة والمعلول - صحيحاً ، ونظراً لشدة وضوح هذا البرهان فقد قيل بأن هذه القاعدة من القضايا القريبة إلى البداهة ، وسيأتي الكلام حولها .

القاعدة الثانية : قاعدة (أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد) .

وهذه القاعدة وإن ذكرت لها مجموعة من الأدلة ، إلا أن أقواها قاعدة السخية بين العلة والمعلول ، فهي متفرعة عليها ؛ إذ مع اعتبار المسانحة بين العلة

والمعلول يلزم أن يكون المعلول واحداً فيما لو كانت العلّة واحدة ، وهذا يعني أنّ الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد .

ومن هنا قيل -بناءً على تعميم هذه القاعدة للفاعل المختار- إنّ الكثرة في الخارج والمعاليل الكثيرة لم تصدر عن الواحد من جميع الجهات ، والبسيط من كلّ الحيثيّات (تعالى شأنه) بشكل مباشر ، بل ليس الصادر من ذاته الأحديّة بالمباشرة إلا العقل الأوّل فقط ، وهو مرتبة العقل المحمّدي أو الحقيقة المحمّديّة ، والتي أشار إليها النبيّ الأعظم ﷺ بقوله : « إنّ أوّل ما خلق الله نوري »^(١) ، وهذا العقل وإن كان واحداً ولم يصدر إلا عن الواحد ، إلا أنّه لمّا كان ممكناً ومعلولاً وحادثاً ومتعدّد الجهات والحيثيّات اعتبرت فيه ثلاث جهات :

الأولى : جهة وجوبه الغيري ، وهي الثابتة له من حيث نسبته إلى علّته .

والثانية : جهة وجوده الإمكاناني ، وهي الثابتة له من حيث ذاته ووجوده .

والثالثة : جهة ماهيّته الإمكانيّة ، وهي الثابتة له من حيث ماهيّته وحقيقته .

وبلحاز كلّ واحدةٍ من هذه الجهات والحيثيّات صدر نحوّ من الفيض الإلهي ، وبهذا تحقّقت الكثرة في الخارج على تفصيل مذكور في محلّه^(٢) .

فهي من خلال الجهة الملكوتيّة تتّصل بالخالق تعالى ، وتتلقّى الفيض منه ، ومن خلال الجهة المملكيّة تتّصل بالمخلوق ، ويجري منها الفيض إليه ، ولا تتوفّر هاتان الجهتان إلا في الموجودات النوريّة التي أعدها الله تعالى لأداء دور الوساطة في الفيض تحقيقاً لغرضه من إيجاد العالم ، وإلى ذلك يشير الإمام الصادق عليه السلام بقوله :

(١) بحار الأنوار : ١٥ : ٢٤ .

(٢) لاحظ على سبيل المثال : (الفردوس الأعلى) للشيخ كاشف الغطاء عليه السلام : ٧١ .

«إِنَّا لَمَّا أَثَبْنَا أَنَّ لَنَا خَالِقًا، صَانِعًا، مُتَعَالِيًا عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ... لَمْ يَجْزْ أَنْ يُشَاهِدَهُ خَلْقُهُ وَلَا يَلَامِسُوهُ؛ فَيُبَاشِرَهُمْ وَيُبَاشِرُوهُ، وَيُحَاجُّهُمْ وَيُحَاجُّوهُ، ثَبَتَ أَنَّ لَهُ سَفَرَاءَ فِي خَلْقِهِ يُعَبِّرُونَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ، وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ وَمَا بِهِ بَقَاؤُهُمْ وَفِي تَرْكِهِ فَنَاءُؤُهُمْ.. وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ ﷺ وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ... غَيْرَ مُشَارِكِينَ لِلنَّاسِ - عَلَى مُشَارَكَتِهِمْ لَهُمْ فِي الْخَلْقِ وَالتَّرْكِيبِ - فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ»^(١).

فتدل هذه الرواية الشريفة على أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ﷺ لَهُمْ جَهَنَان، بِإِحْدَاهُمَا - وهي جهة الخلقة والتركيب - يشاركون الناس، وبالجهة الأخرى - وليست إِلَّا الجهة الملكوتية - لا يشاركون الناس في شيء من أحوالهم، فهم من خلال هذه الجهة الملكوتية يتصلون بالله تعالى، ويتلقون فيضه، ومن خلال الجهة الملكية البشرية يتصلون بالخلق.

ومن هنا نفهم فلسفة خلق النبي الأعظم والأئمة الهداة ﷺ من نور الله تعالى، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ مَجْرَدَ تَكْرِيمٍ وَتَشْرِيفٍ لَهُمْ فَحَسَبَ، بَلْ هُوَ مِنْ أَجْلِ تَأْسِيسِ الْجَنِبَةِ الْمَلَكُوتِيَّةِ فِي ذَوَاتِهِمْ، وَالتِّي يَتَّصِلُونَ مِنْ خِلَالِهَا بِالْخَالِقِ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)، وَيَتَلَقَّوْنَ بِهَا الْفَيْضَ الْإِلَهِيَّ، حَتَّى يَوْصِلُوهُ بِدَوْرِهِمْ إِلَى بَقِيَّةِ الْمَوْجُودَاتِ الْإِمْكَانِيَّةِ.

وإلى هذا يشير النبي ﷺ حين سَأَلَهُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ ﷺ: أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ؟

فأجابه بقوله: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير^(٢).

ولعل روايات عالم الأنوار تلفت إلى هذا المعنى كثيراً حين تربط بين وجودهم

(١) الكافي: ١: ١٦٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٥: ٢٤.

النوري والفيض الإلهي ، كرواية محمد بن مسلم ، عن الإمام الصادق عليه السلام : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ مِنْ نُورِهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَهُمْ عَيْنُ اللَّهِ النَّاطِرَةُ ، وَأُذُنُهُ السَّامِعَةُ ، وَلِسَانُهُ النَّاطِقُ فِي الْخَلْقِ بِأُذُنِهِ .. فَهُمْ يَمَحُو اللَّهُ السَّيِّئَاتِ ، وَبِهِمْ يَدْفَعُ الضِّيمَ ، وَبِهِمْ يُنْزِلُ الرَّحْمَةَ ، وَبِهِمْ يَحْيِي مَيِّتًا ، وَيَمِيتُ حَيًّا .

قلت : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، مَنْ هُمْ ؟

قال : الأوصياء ^(١) .

القاعدة الثالثة : قاعدة إمكان الأشرف .

ومحصّلها : أنَّ ممكن الوجود ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : الممكن الأشرف ، ويراد به الموجود الأكمل .

وثانيهما : الممكن الأخس ، ويراد به الموجود الأدنى .

ومن الجدير بالذكر أنَّ الأشرفية نسبية ، إذ كلما كان الموجود أجمع للكمالات كان هو الأشرف بالنسبة إلى جميع ما سواه ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُ أَقْلٌ جَامِعِيَّةٌ لِلْكَمَالَاتِ كَانَ هُوَ الْأَدْنَى بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ ، وَالْأَشْرَفُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ دُونَهُ فِي الْجَامِعِيَّةِ ، وَهَكَذَا .

وعلى ضوء فهمنا للفرق بين القسمين ، فإنَّ معنى قاعدة إمكان الأشرف : أنَّه مع إمكان وجود الموجود الأكمل فإنَّه يكون أسبق وجوداً من الموجود الأخس في تسلسل العوالم الوجودية ، بل من وجود الثاني يُستكشف وجود الأول سابقاً عليه ، وقد ذكر بعض الحكماء : أنَّ هذا بديهي في الجملة ، فإنَّ النور الذي يكون أقرب إلى النير لا شك في كونه أشدَّ من الأبعد منه ، ومن وجود النور البعيد يُستكشف وجود النور القريب .

(١) الإمامة والتبصرة : ١٣٢ .

وقد برهنوا على هذه القاعدة: بأنَّ الموجود الأشرف - الذي يمكن وجوده - لو لم يوجد موجد قبل الموجود الأخسّ ، للزم نسبة إمّا العجز عن إيجاد الأشرف إلى الموجد ، وإمّا الجهل به ، وإمّا البخل فيما لو كان الموجد قادراً على إيجاد عارفاً به ، ومع ذلك امتنع عن إيجاد ، ومن الواضح أنّ كلّ هذه المحاذير ممتنعة على واجب الوجود (سبحانه وتعالى) ومستحيلة عليه .

ومن هنا ذهب بعض الأعلام (طيّب الله ثراه) ^(١) في مسألة هل أنّ الروح روحانيّة الحدوث أم جسمانيّة ؟ إلى كونها روحانيّة الحدوث ^(٢) ، وتمسّك لإثبات ذلك بقاعدة الأشرف ، إذ أنّ الروح - بالإضافة إلى الجسم - تمثّل الموجود الأشرف ، والجسد يمثّل الموجود الأدنى ؛ إذ هي مجمع الصفات والملكات الفاضلة ، وأمّا الجسد فما هو إلّا مجرد آلةٍ وقالبٍ لها ، وعليه فبمقتضى قاعدة إمكان الأشرف لا بدّ وأن يتقدّم وجود الروح على وجود الجسد .

ومن منطلق هذه القاعدة رفض بعض الأعلام (أعلى الله درجته) ^(٣) نظريّة الارتقاء الداروينيّة ، والتي تذهب إلى كون الإنسان مرتقياً من حيوان آخر ، حيث قال : « صريح الكتب السماويّة وفي مقدّماتها القرآن العظيم ، وجميع الفلاسفة الإلهيّين من المسلمين وغيرهم ، على بديع صنع الله في الإنسان ، وأنّه مخلوق حادث خلقه الله تعالى من الطين بهذه الهيئة المتميّزة عن سائر المخلوقات استقلالاً ، من دون أن يكون مرتقياً من مخلوق آخر - نباتاً أو حيواناً - وتقتضي

(١) وهو الحجّة المجاهد الشيخ محمّد جواد الجزائري في كتابه الجليل : فلسفة الإمام الصادق عليه السلام : ١٤٩ .

(٢) تعرّضنا للمسألة مفصّلاً في كتابنا (قبسات من رسالة الحقوق) : ٨٤ .

(٣) هو الفقيه الكبير ، والمفسّر الخبير ، والعارف الحكيم ، سماحة آية الله العظمى ، السيّد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله .

ذلك قاعدة (إمكان الأشرف) التي أسسها الفلاسفة في سلسلة الخليقة ، فإن أقرب الموجودات إليه تعالى وأشرفها لديه لا بدّ وأن يقع في سلسلة الفيوضات الإلهية الأول فالأول عند نزول الفيض منه (عزّ وجلّ) حتّى يصل المستفيض إلى أدنى مرتبة الحضيض ، إذ لا ريب في أنّه تعالى كامل بذاته وصفاته وفعله ، فلا يتصوّر نقص في جهة من جهاته (عزّ وجلّ)»^(١).

ومن منطلق هذه القاعدة أيضاً نفهم فلسفة السلسلة الطولية للعوالم الوجودية ، حيث بدأها الله تعالى بعالم الأنوار الذي لم يكن يتواجد فيه إلّا نور محمّد وآله عليه السلام فقط ، ثمّ خلق عالم الأرواح ، والمعبر عنه بعالم الذرّ وعالم الظلال وعالم الصور وعالم الأشباح وعالم المثال ، ثمّ خلق عالم الأجسام والمعبر عنه بعالم الدنيا وعالم المادّة وعالم العناصر وعالم الكون والفساد ، وما منشأ هذا التسلسل الوجودي إلّا قاعدة إمكان الأشرف ؛ إذ أنّها تقتضي أن يكون الموجود الأكمل والأشرف - الممكن وجوده بحسب الفرض - هو الأقرب إلى منبع الوجود ؛ لذلك تحقّق أولاً عالم الأنوار الذي هو العالم الأكمل ، ثمّ صدر العالم الذي يتلوه في الكمال ، ثمّ صدر العالم الأدنى ، فهذا التسلسل الوجودي قد اقتضته هذه القاعدة .

وعلى ضوء هذه القاعدة انتهى غير واحد من الأعلام (أعلى الله كلمتهم) إلى ضرورة وجود الوساطة في الفيض ، كما يظهر ذلك من كلمات شيخ المحقّقين الأصفهاني (طيّب الله تربته) ، حيث يقول : «الوساطة في الفيض .. بنحو العلّة الفاعلية : أي فاعل ما به الوجود ، لا ما منه الوجود ، فلمّا تقرّر في محلّه من وساطة العلوم الطولية من الفواعل الجبروتية والملكوّية لعالم الملك والطبيعة بمقتضى قاعدة الإمكان الأشرف»^(٢).

(١) مواهب الرحمن : ١ : ١٩٩ .

(٢) نهاية الدراية : ٣ : ٤١٨ .

وتقريب التمسك بقاعدة إمكان الأشرف في المقام يتوقف على بيان مقدمات

ثلاث:

المقدمة الأولى: إن هناك فرقاً بين اصطلاح (فاعل ما منه الوجود) واصطلاح (فاعل ما به الوجود)، فالأول يراد به: الموجد للمعلول ومعطيه الوجود بذاته، أو فقل: مَنْ يكون المعلول أثره ومقتضاه، وهو منحصر بواجب الوجود تعالى شأنه، والثاني يراد به: «مَنْ يباشر الفعل الذي يُفاض على الوجود، ويكون مجرى فيضه بحيث يمرّ فيض الوجود منه إلى غيره»^(١)، وهو منحصرٌ بغيره تعالى.

المقدمة الثانية: إن هنالك طولية في سلسلة العوالم، حيث تبدأ بعالم

(١) ممّا يجدر ذكره: ضرورة التمييز بين اصطلاح (ما به الوجود) واصطلاح (فاعل ما به الوجود)، فالثاني يراد به ما ذكرناه في المتن، والأول يراد به: «كل ما له نحو دخل في الوجود بأيّ نحوٍ من أنحاء الدخل»، كما يستفاد ذلك من كلمات سيّد الأساطين السيّد البروجردي (طاب ثراه) حيث يقول: «(به الوجود) وهو إمّا يكون بوجوده دخيلاً في تحقّق المعلول، أو بعده، أو بوجوده وعدمه، فالأول الشرط، والثاني المانع، والثالث المُعَدّ، ولا يخفى: أنّ المقصود من كون العدم دخيلاً هو: مضادة وجود المانع وممانعته للوجود، ولما كان كذلك يقال: إنّ عدمه دخيل، وإلا فليس العدم دخيلاً حقيقة في شيء، كما أنّ المراد من كون العدم والوجود دخيلين في المُعَدّ - مثل الأقدام لتحقّق الكون على السطح، فإنّها بوجودها وعدمها تكون مُعَدّة - هو أنّ الحركة بوجودها الاستمراري مُعَدّة، لا أنّ العدم دخيل، وفي الحقيقة أنّ الشرط إن كان من قبيل الحركة يقال له: المُعَدّ، ويمكن إرجاع غير السبب إلى الشرط، والأمر سهل». لمحات الأصول: ١١٨.

ومع ذلك فإنّ مصطلح (ما به الوجود) قد يُراد به في بعض الاستعمالات: خصوص الفاعل، لا مطلق ما له الدخّل في المعلول، كما أشار لذلك العلامة الطباطبائي في بداية الحكمة: ١١٢.

الجبروت ، فعالم الملكوت إلى عالم الناسوت إلى أن تنتهي إلى قوة القوى والهيولى الأولى.

وبيان ذلك: أنه بعد تجاوز المرتبتين الوجوديتين المعبر عنهما بـ (الهاهوت) و (اللاهوت) ، حيث تشير الأولى إلى وجود ذات الله تعالى ، وهو الوجود المستقل غير المحدود بقطع النظر عن الصفات ، وتشير الثانية إلى وجوده تعالى مع أخذ صفاته الكمالية التي هي عين ذاته.

بعد تجاوزهما ، فإن سلسلة العوالم الوجودية تكون على النحو التالي:

الأول: عالم الجبروت ، والمعبر عنه بعالم العقول أيضاً ، وهو الوجود المتأخر عن ذات الله وصفاته.

الثاني: عالم الملكوت ، وهو عالم النفوس الكلية.

الثالث: عالم الناسوت ، وهو عالم الطبيعة والمادة.

ولهذا العالم - كما يذكر العلماء - مرتبتان ، يعبر عن إحداهما بـ (مرتبة الفعلية) وعن الأخرى بـ (مرتبة القوة والاستعداد) ، والمراد من الأولى: صور العناصر والمركبات ، نحو: المعادن والنباتات والحيوانات والإنسان ، والتي يظهر كل واحد منها في حد خاص ، ويكون له أثر مخصوص ، والمراد من الثانية: مادة المواد والهيولى الأولى مما ليس له كمال وفعلية إلا حيثية تقبل الفعلية ، فتقبل جميع الصور بفعل الحركة والتغيير ، وهي أدنى موجود في العالم ؛ لأنها واقعة في حاشية الوجود وحدّ عدم ، كما يقولون.

وهذه العوالم عوالم طولية ، والمتأخر منها أدنى رتبة من المتقدم ، وسرّ هذه الطولية - كما أوضحناه سابقاً - هو أشرفية العالم السابق على اللاحق ، فيلزم تقدمه عليه بمقتضى قاعدة إمكان الأشرف ، كما سبق وأن أوضحناه.

المقدمة الثالثة: إن المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام - كما هو صريح الروايات

القطعية- يتمون بوجوداتهم النورية إلى أول العوالم الوجودية ، وهو عالم العقول ، والمعبر عنه بعالم الجبروت .

وبمقتضى هذه المقدمات الثلاث يقال : إن كل عالم بالنسبة لما دونه من العوالم الوجودية يكون من قبيل فاعل (ما به الوجود) ، لكونه ممرّ الفيض إليه ، ولولاه لما ناله فيض الوجود بمقتضى قاعدة إمكان الأشرف ، وهذا يعني أن واسطة المعصومين عليهم السلام في الفيض من قبيل فاعل (ما به الوجود) ؛ إذ أن أول العوالم الوجودية يتمثل في وجوداتهم ، وبما أنه لولاه لم يتحقق شيء من العوالم - بمقتضى قاعدة إمكان الأشرف - ولم يشم رائحة الوجود ، فهذا يعني أنهم واسطة الفيض بالمعنى المذكور ، ووساطتهم لازمة بمقتضى القاعدة المذكورة .

الوجه التحليلي الثاني : أن حقيقة الوساطة في الفيض هي كون الوساطة علة غائية لما سواها من الموجودات الإمكانية ، فإن كون شيء علة غائية لوجود غيره يقتضي أن لا يصل الفيض الإلهي إلى المستفيض إلا بسببه ، إذ لولاه لم يتحقق المستفيض ولم يصله الفيض ، لما قالوه : من أن العلة الغائية هي : ما لأجلها تصدر الحركة من الفاعل ، بل هي إحدى علتَي الوجود^(١) .

وهذا الوجه يختلف عن سابقه اختلافاً كلياً ، فإن ذاك يصور الوساطة في الفيض مجرى حقيقياً للفيض ، بحيث يتلقاه أولاً ، ومنه يجري إلى غيره ، بينما هذا لا يصوره كذلك ، وإنما يصوره مجرد سبب لوصول الفيض للمستفيض ، من غير أن يكون من مجاريه ، وهذا نظير البستاني الذي يغرس مجموعة من

(١) إن التقسيم الرباعي للعة وإن كان لا يخفى ، إلا أن الذي قد يخفى هو المميز بينها ؛ إذ اثنتان منها من علل الوجود ، وهما : العلة الفاعلية والعة الغائية ، بينما اثنتان منها من علل القوام ، وهما : المادة والصورة ، وهذا ما يسترعي الالتفات .

النباتات ، ويهتم برعايتها وسقيها ، فإن الغاية له ليست إلا الحصول على الثمرة الجيدة أو الورود الجميلة ، وهذا ما يحركه نحو سقي جميع النباتات المجاورة لنباتاته الصغيرة من أجل تحقيق هدفه وغايته ، ولولا الثمرة الجيدة التي يطمح إليها لم يصل فيضه لغيرها ، فتكون واسطة الفيض بالنسبة لها من غير أن تكون من مجاريه .

وقد أشار شيخ المحققين الأصفهاني (طيب الله ثراه) إلى هذا الوجه ، حيث قال : « وأما واسطة الأنبياء والأوصياء (عليهم أفضل التحية والثناء) للنعم والآلاء ، سواء كانت بمعنى فاعل ما به الوجود ، بأن يكونوا مجاري فيض الوجود أولاً وبالذات ، أو بمعنى العلة الغائية ، بأن يكونوا الغاية المقصودة من الوجود والإيجاد »^(١).

وبنى عليه الشيخ المقدس الأراكي (طيب الله تربته) صريحاً ، حيث قال : « وبالجملة فالثابت من مذهب المتشريعة ليس بأزيد من كونهم عللاً غائية لإفاضة المفيض الحقيقي ، مع كونهم بمعزل عن الإفاضة رأساً »^(٢).

الوجه التحليلي الثالث : أن حقيقة الوساطة في الفيض هي كون الوساطة شرطاً^(٣) لقابلية ما سواها من الموجودات الإمكانية للفيض الإلهي .

(١) نهاية الدراية : ٣ : ٤١٠ .

(٢) كتاب البيع : ٢ : ١٦ .

(٣) ذكروا : أن العلة التامة مركبة من أجزاء ثلاثة ، وبانتفاء أحدها تنتفي العلة التامة ، وهي :

١ - المقتضي ، وهو : الذي بذاته يقتضي التأثير في مقتضاه .

٢ - الشرط ، وهو : الذي يصحح فاعلية المقتضي (الفاعل) ، أو يتم قابلية

(المقتضى) القابل .

٣ - عدم المانع ، وهو : الذي له دخل في فعلية المقتضي .

وبعبارة أخرى: إنَّ الموجود الذي لولاه لم تكن للمستفيض قابلية لتلقي الفيض من المبدأ الفياض، يسمَّى واسطة في الفيض لدخاله في قابلية القابل.

ويمكن توضيح الفكرة وتقريبها بالمثال الذي أفاده أستاذنا المحقق السيّد الشمس (دامت بركات وجوده)، وهو بعض الأدوية التي تصيّر الأجزاء الباطنية من جسم الإنسان قابلة لتصويرها من خلال الأشعة، فإنها شرط لصيرورة الأجزاء الباطنية ذات قابلية للتصوير، إذ لولاها لم تكن الأجزاء قابلة للتصوير^(١).

ولم أعرف مَنْ فسّر مقام الوساطة في الفيض بهذا المعنى إلا سماحة سيدي الأستاذ الشمس (دام ظلاله الوارفة) كما استفدته منه بالمشافهة، واطّلعْتُ عليه مؤخراً في كلمات الفقيه الراحل، الشيخ محمّد أمين زين الدين (طيب الله ثراه) حيث يقول: «ومنتهى ما يصل إليه الأمر - إذا أردنا أن نعبر عن ذلك بالتعبير الاصطلاحي - أن يكونوا (صلوات الله عليهم) شروطاً لقابلية القابل، لا علّة

» وحتى يتّضح المقصود منها جيّداً، لا بدّ من إلقاء الضوء على جهة التأثير في كلّ واحدٍ منها، فيقال: إنَّ تأثير المقتضي في مقتضاه بمعنى ترشّحه منه، بحيث يكون منه الأثر والوجود، كالنار بالنسبة للإحراق، فإنَّ الإحراق يترشّح من النار، وهي فاعل ما منه الوجود والأثر.

وأما تأثير الشرط فهو إمّا بمعنى تصحيحه لفاعلية المقتضي وتأثيره أثره، حيث إنَّ النار لا تؤثر في الإحراق بدون مماسّة النار للجسم المحترق، وإمّا بمعنى تتميمه لقابلية القابل، نظير الأدوية التي لا يمكن أن تكون لأجزاء الجسم الباطنية قابلية تصويرها إلاّ بها، ومما ذكرناه يتّضح أنَّ الشرط بنفسه ليس مؤثراً في المقتضى، إذ التأثير يختصّ بالمقتضى فقط، ولكن لولاه لا يمكن للمقتضى أن يؤثر أثره.

وأما تأثير عدم المانع فإنّما هو بلحاظ أنَّ وجوده يزاحم المقتضى في تأثيره، وقد أوضحنا معنى دخالة العدم في بعض الحواشي القريبة، فليراجع.

(١) مشكاة الأصول: ١: ١٥٢.

فاعليّة ، ولا علة غائيّة ، بل ولا شروطاً لفاعليّة الفاعل»^(١).

المحور الثالث: عرض أدلة الوساطة في الفيض.

وسوف نستعرض من خلال هذا المحور ما استدلّ أو يمكن الاستدلال به على ثبوت مقام الوساطة في الفيض للمعصومين عليهم السلام ، مع محاولة استنطاقه لمعرفة المعنى الذي يثبته الدليل من المعاني الثلاثة المتقدمة.

وبما أنّ الأدلة مختلفة اللسان ، لذلك سوف نقسمها إلى ثلاث طوائف ، وكلّ طائفة منها تشتمل على عدّة من الروايات الشريفة ، كما سيّضح.

الطائفة الأولى: ما دلّت على تنزّل الفيض بهم عليهم السلام.

وهي روايات كثيرة جداً ، ولكننا نكتفي بذكر بعضها:

الأولى: معتبرة محمد بن مسلم ، وقد رواها الشيخ الصدوق رحمته ، عن أبيه عليه السلام ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيوب ، عن أبان بن عثمان ، عن محمد بن مسلم ، قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ الله عزّ وجلّ خلقاً خلقهم من نوره ورحمته من رحمته لرحمته ، فهم عينُ الله الناظرة ، وأذنه السامعة ، ولسانه الناطق في خلقه بإذنه ، وأمناؤه على ما أنزل من عذر أو نذر أو حجة ، فبهم يمحو السيئات ، وبهم يدفع الضيم ، وبهم يُنزّل الرحمة ، وبهم يحيي ميتاً ، ويميتُ حياً ، وبهم يتبلي خلقه ، وبهم يقضي في خلقه قضيتّه.

قلت: جُعِلت فداك ، مَنْ هؤلاء؟

قال: الأوصياء»^(٢).

(١) بين السائل والفقهاء: ٩٦.

(٢) التوحيد: ١٦٧ ، وكلّ الرواة الواقعيين في سند الرواية ابتداءً بالشيخ الصدوق (طيّب

الثانية: ما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة، عن الإمام علي الهادي عليه السلام: «يَكُنْ فَتَحَ اللَّهُ، وَيَكُنْ يَخْتِمُ، وَيَكُنْ يُنْزِلُ الْغَيْثَ، وَيَكُنْ يُنْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَيَكُنْ يُنْفُسُ الْهَمَّ، وَيَكْشِفُ الضُّرَّ»^(١).

الثالثة: ما رواه الشيخ الصدوق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: حَدَّثَنَا سعد بن عبد الله، قال: حَدَّثَنَا أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ لأُمير المؤمنين عليه السلام: اكتب ما أُملي عليك.

فقال: يا نبي الله، أَتَخافُ عَلَيَّ النسيان؟

فقال ﷺ: لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا ينسبك، ولكن اكتب لشركائك.

قال: قلت: وَمَنْ شِرْكَائِي، يا نبي الله؟

قال: الأئمة من ولدك، بهم تسقى أمتي الغيث، وبهم يُستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء، وبهم ينزل الرحمة من السماء، وهذا أولهم، وأومى بيده إلى الحسن بن علي عليه السلام، ثم أومى بيده إلى الحسين عليه السلام، ثم قال: الأئمة من ولده»^(٢).

الرابعة: ما عن محمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن إسماعيل، عن الحسين

«الله ثراه» وانتهاءً بمحمد بن مسلم عليه السلام ثقة أجلاء، لا تشوب وثاقة أحدهم شائبة، فالرواية من حيث السند معتبرة، وهذا يغنينا عن البحث في أسانيد الأدلة اللاحقة المتّحدة معها مضموناً.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ٣٠٨.

(٢) الأمالي: ٤٨٥، وليس يوجد في سند هذه الرواية مَنْ يمكن أن يُغمز فيه سوى أبي الطفيل (عامر بن واثلة) بتهمة الكيسانية، ولكن نسبته إليها إمّا غير صحيحة، وإمّا أنه قد تراجع عنها، وهذه الرواية المروية عنه بسند معتبر تُعدّ واحداً من الشواهد على عدم اعتقاده بعقيدة الكيسانية، كما لا يخفى.

ابن الحسن ، عن بكر بن صالح ، عن الحسن بن سعيد ، عن الهيثم بن عبدالله ، عن مروان ابن صباح ، قال : « قال أبو عبدالله عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا ، فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا ؛ وَصَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صُورَنَا ؛ وَجَعَلَنَا عَيْنَهُ فِي عِبَادِهِ ، وَلِسَانَهُ النَّاطِقَ فِي خَلْقِهِ ، وَيَدَهُ الْمَبْسُوطَةَ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَوَجْهَهُ الَّذِي يُؤْتِي مِنْهُ ، وَبَابَهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ ، وَخُزَّانَهُ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ ؛ بِنَا أَثْمَرَتِ الْأَشْجَارُ ، وَأُيْنَعَتِ الثَّمَارُ ، وَجَرَّتِ الْأَنْهَارُ ؛ وَبِنَا يَنْزِلُ غَيْثُ السَّمَاءِ ، وَيَنْبُتُ عُشْبُ الْأَرْضِ ؛ وَبِعِبَادَتِنَا عَبْدَ اللَّهِ ، وَلَوْ لَا نَحْنُ مَا عُبِدَ اللَّهُ » ^(١).

الخامسة : ما رواه فرات الكوفي بسنده عن الحسين بن عبدالله بن جندب ، قال : « أخرج إلينا صحيفة ، فذكر أن أباه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام : جُعِلَتْ فداك ، إني قد كبرت وضعفت وعجزت عن كثير مما كنت أقوى عليه ، فأحبب - جُعِلَتْ فداك - أن تعلمني كلاماً يقربني من ربي ، ويزيدني فهماً وعلماً .

فكتب إليه : قد بعثت إليك بكتاب فاقرأه وتفهمه ، فإن فيه شفاء لمن أراد الله شفاه ، وهدى لمن أراد الله هداه ، فأكثر من ذكر بسم الله الرحمن الرحيم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، واقرأها على صفوان وآدم .

قال علي بن الحسين عليه السلام : إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَمِينُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، فَلَمَّا قَبِضَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ أَمْنَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، عِنْدَنَا عِلْمُ الْبَلَايَا وَالْمَنَایَا وَأَنْسَابُ الْعَرَبِ وَمَوْلِدُ الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاهُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَبِحَقِيقَةِ النِّفَاقِ ، وَإِنْ شِيعَتُنَا لَمَكْتُوبُونَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ ، أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ ، يَرُدُّونَ مَوَارِدَنَا ، وَيَدْخُلُونَ مَدَاخِلَنَا ، لَيْسَ عَلَى مَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ غَيْرُنَا وَغَيْرِهِمْ ، إِنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذِينَ بِحِجْزَةِ نَبِينَا وَنَبِينَا أَخَذَ بِحِجْزَةِ رَبِّهِ ، وَإِنَّ الْحِجْزَةَ النُّورَ ، وَشِيعَتُنَا

(١) الكافي : ١ : ١٤٤ . بصائر الدرجات : ١٠٥ ، الحديث ٩ و ١٣ . الوافي : ١ : ٤١٩ ،

أخذين بحجزتنا ، مَنْ فارقنا هلك ، وَمَنْ تبعنا نجا ، والجاحد لولايتنا كافر ، وشيعتنا وتابع ولايتنا ومتبعنا وتابع أوليائنا مؤمن ، لا يحبنا كافر ، ولا يبغضنا مؤمن ، مَنْ مات وهو محبنا كان حقاً على الله أن يبعثه معنا . نحن نور لمن تبعنا ، ونور لمن اقتدى بنا . مَنْ رغب عنا ليس منا ، وَمَنْ لم يكن منا فليس من الإسلام في شيء . بنا فتح الله وبنا يختمه ، وبنا أطعمكم الله عشب الأرض ، وبنا آمنكم الله من الغرق في بحركم ، وبنا نفعمكم الله أنزل الله في حياتكم وفي قبوركم وفي محشركم ، وعند الصراط وعند الميزان وعند دخولكم الجنان»^(١).

السادسة : ما رواه محمد بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « نحن جنب الله ، ونحن صفوة الله ، ونحن خيرة الله ، ونحن مستودع مواريث الأنبياء ، ونحن أمناء الله ، ونحن وجه الله ، ونحن آية الهدى ، ونحن العروة الوثقى ، وبنا فتح الله وبنا ختم ، ونحن الأولون ونحن الآخرون ، ونحن أخيار الدهر ونواميس العصر ، ونحن سادة العباد وساسة البلاد ، ونحن النهج القويم والصراط المستقيم ، ونحن علة الوجود وحجة المعبود ، لا يقبل الله عمل عامل جهل حقنا ، ونحن قناديل النبوة ومصابيح الرسالة ، ونحن نور الأنوار وكلمة الجبار ، ونحن راية الحق التي مَنْ تبعها نجا وَمَنْ تأخر عنها هوى ، ونحن أئمة الدين وقائد الغر المحجلين ، ونحن معدن النبوة وموضع الرسالة وإلينا تختلف الملائكة ، ونحن سراج لمن استضاء والسبيل لمن اهتدى ، ونحن القادة إلى الجنة ، ونحن الجسور والقناطر ، ونحن السنام الأعظم ، وبنا ينزل الغيث ، وبنا ينزل الرحمة ، وبنا يدفع العذاب والنقمة .

فَمَنْ سمع هذا الهدى فليتنفد قلبه حبنا ، فإن وجد فيه البغض لنا والإنكار لفضلنا فقد ضلّ عن سواء السبيل ، لأننا حجة المعبود ، وترجمان وحيه ، وعيبة علمه ، وميزان قسطه ، ونحن فروع الزيتون ، وربائب الكرام البررة ، ونحن مصباح المشكاة التي

(١) تفسير فرات الكوفي : ٢٨٣ و ٢٨٤ . ورواها علي بن إبراهيم القمي في تفسيره ، عن أبيه ، عن ابن جندب ، وهو سند قليل الوسائط ، ورواته ثقة .

فيها نور النور ، ونحن صفوة الكلمة الباقية إلى يوم الحشر المأخوذ لها الميثاق والولاية من الذر^(١)

السابعة: ما رواه الشيخ الكليني عليه السلام ، عن عدة من الأصحاب ، عن أحمد بن محمد ، عن القاسم بن يحيى ، عن جده الحسن بن راشد ، عن الحسين بن ثوير ، عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة جده سيد الشهداء الحسين عليه السلام ، قال : «وَبِكُمْ تُنْبِتُ الْأَرْضُ أَشْجَارَهَا ، وَبِكُمْ تُخْرِجُ الْأَشْجَارُ أَثْمَارَهَا ، وَبِكُمْ تُنْزِلُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا وَرِزْقَهَا . وَبِكُمْ يَكْشِفُ اللَّهُ الْكَرْبَ ، وَبِكُمْ يُنْزِلُ اللَّهُ الْغَيْثَ ، وَبِكُمْ تُسَبِّحُ اللَّهُ الْأَرْضُ النَّبِيَّ تَحْمِلُ أَبْدَانَكُمْ ، وَتَسْتَقِلُّ جِبَالَهَا عَلَى مَرَاسِيهَا . إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ ، وَتَصْذَرُّ مِنْ يُّوْتِكُمْ ، وَالصَّادِرُ عَمَّا فَصَلَ مِنْ أَحْكَامِ الْعِبَادِ»^(٢).

الثامنة: ما رواه جابر بن يزيد الجعفي ، قال : «قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : لأي شيء يحتاج إلى النبي صلى الله عليه وآله والإمام ؟

فقال : لبقاء العالم على صلاحه ، وذلك أن الله عز وجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام . قال الله عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وآله : النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون ، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون ، يعني بأهل بيته الأئمة الذين قرن الله عز وجل طاعتهم بطاعته ، فقال :

(١) بحار الأنوار: ٢٦: ٢٥٩ و ٢٦٠.

(٢) كامل الزيارات: ٣٦٥ ، باب ٧٩ ، الحديث ٢ . الكافي: ٤: ٥٧٥ ، الحديث ٢ . من لا يحضره الفقيه: ٢: ٥٩٤ ، الحديث ٣٢٠٢ . تهذيب الأحكام: ٦: ٥٤ ، الحديث ١ و: ١٠٣ ، الحديث ٢ . وسائل الشيعة: ١٤: ٤٩٠ ، الحديث ١ . بحار الأنوار: ٩٨: ١٥١ ، الحديث ٣ و: ٣٧٠ ، الحديث ١٤ .

(٣) الأنفال: ٨: ٣٣ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(١)، وهم المعصومون المطهرون الذين لا يذنبون ولا يعصون، وهم المؤيدون الموفقون المسددون، بهم يرزق الله عباده، وبهم تعمر بلاده، وبهم ينزل القطر من السماء، وبهم يخرج بركات الأرض، وبهم يمهّل أهل المعاصي ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب، لا يفارقهم روح القدس ولا يفارقونه، ولا يفارقون القرآن ولا يفارقهم صلوات الله عليهم أجمعين^(٢).

التاسعة: ما ورد عن الناحية المقدسة في الزيارة الرجبية المعروفة، حيث جاء فيها: «أَنَا سَائِلُكُمْ وَأَمْلِكُكُمْ فِيمَا إِلَيْكُمْ التَّفْوِيضُ، وَعَلَيْكُمْ التَّغْوِيضُ؛ فَبِكُمْ يُجَبَّرُ الْمَهِيضُ، وَيُشْفَى الْمَرِيضُ، وَعِنْدَكُمْ مَا تَزْدَادُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَقْضَى»^(٣).

وقفة عند مضامين الطائفة الأولى:

والظاهر من مجموع هذه الروايات: أنَّ السادة المعصومين عليهم السلام لهم نحو دخالة في وصول الفيض الإلهي إلى المستفيض، إذ أنَّها جميعاً قد استخدمت حرف (الباء)، فقالت: بكم كذا، وبكم كذا، وليس يخفى ظهور الحرف المذكور - في مثل المقام - في السببية، بحيث يكون ما بعدها سبباً لما قبلها، فلا قصور في هذه الطائفة من الروايات من ناحية دلالتها على أصل الوساطة في الفيض، ولكنها غير ظاهرة في بيان حقيقتها، وأنَّها هل هي على نحو فاعل ما به الوجود، أم على نحو شرط القابل، أم على نحو العلة الغائية؟ وإن كانت دلالتها على الأخير أبعد من دلالتها على الأولين، إذ أنَّ الحرف المناسب لإفادة الغاية هو (اللام) لا (الباء)،

(١) النساء ٥٩: ٥٩.

(٢) علل الشرائع: ١: ١٢٣ و ١٢٤.

(٣) مصباح المستهجد: ٨٢١. المزار الكبير: ٢٠٣ - ٢٠٥. مصباح الزائر: ٤٩٣. إقبال الأعمال: ٣: ١٨٣. بحار الأنوار: ٩٩: ١٩٥.

فكان ينبغي لأجل إيصال هذا المعنى أن تستخدم الروايات الشريفة ما يفيد الغائية ، فتقول: لكم ينزل الله الغيث ، ولكم تنبت الأرض أشجارها ، وهكذا ، ولكن عدولها عن استخدام هذا الحرف إلى استخدام حرف الباء يجعل هذا المعنى أبعد عن مفادها من المعنيين الأولين .

فيدور المقصود منها بين المعنيين الأولين ، والظاهر أن المعنى الأول أكثر ظهوراً من المعنى الثاني ، بضميمة ما يذكره البلاغيون من ظهور إسناد الفعل إلى فاعل معين في كونه مباشراً له ، وليس مجرد سبب من أسبابه ، فيقتضي ذلك أن تكون الوساطة في الفيض على نحو فاعل ما به الوجود ، كما هو مختار المحقق الأصفهاني (أعلى الله مقامه الشريف) ^(١).

الطائفة الثانية: ما دلت على أن الخلق صنائعهم ﷺ .

وهذه الطائفة عبارة عن خمس روايات:

(١) ومن الغريب جداً ما يعلقه بعض المعاصرين على هذه الروايات حيث يقول: «بأن هذه الروايات .. على وزان قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ - الأنفال ٨: ٣٣ - ، فإن الله رفع العذاب عن أمة محمد ﷺ بسبب كونه فيهم وموجوداً معهم ، وهذا لا يدل إلا على مدى الرحمة الإلهية التي اختص بها هذه الأمة ، ولا يثبت شيئاً زائداً للمعصوم إلا كونه سبباً لهذا الفيض الإلهي العميم ، لا بأنه واسطة في الفيض » . نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية : ٧٦ .

ووجه الغرابة: أنه قد جمع بين الالتزام بسببية النبي ﷺ للفيض - بمقتضى الآية القرآنية - وإنكار الوساطة في الفيض في الآن نفسه ، مع أنه من الواضحات جداً أن انتفاء السبب يقتضي انتفاء المسبب قهراً ، وهذا يقتضي وساطة السبب للمسبب جزماً . اللهم إلا أن يكون مقصود هذا المعاصر أن السببية لا تثبت الوساطة في الفيض على نحو فاعلية ما به الوجود فقط ، ولكن المشكلة أن إطلاق النفي في كلامه يأبى عن هذا التوجيه ، لظهوره في نفي مبدأ الوساطة في الفيض نفياً مطلقاً ، وعلى ضوء جميع المسالك في تحليل حقيقتها .

الرواية الأولى: ما أوردها الشريف الرضي رحمه الله في كتابه الشريف نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي قوله: «فإننا صنائع ربنا ، والناس بعد صنائع لنا» ^(١).

الثانية: ما نقلها السيّد المرعشي (أعلى الله درجته) عن أحمد بن حنبل والديلمي ، عن رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله ، قال: «كنت وعليّ نوراً بين يدي الرحمن ، قبل أن يخلق عرشه بأربع عشر ألف عام ، فلم يزل يتمحّض في النور حتّى إذا وصلنا إلى حضرة العظمة في ثمانين ألف سنة ، ثم خلق الله الخلائق من نورنا ، فنحن صنائع الله ، والخلق كلّهم صنائع لنا» ^(٢).

الثالثة: رواية المعالم: عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «قبل آدم بأربعين ألف عام ، فلم نزل تتمحّض في النور ، حتّى إذا وصلت إلى حضرة العظمة في ثمانين ألف سنة ، ثم خلق الله الخلائق من نورنا ، فنحن صنائع الله ، والخلق كلّهم صنائع لنا» ^(٣).

الرابعة: ما رواه الشيخ البرسي (طاب ثراه) عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «أول ما خلق الله نوري ، ثم فتق منه نور عليّ ، فلم نزل نتردّد في النور حتّى وصلنا حجاب العظمة في ثمانين ألف سنة ، ثم خلق الخلائق من نورنا ، فنحن صنائع الله ، والخلق من بعد صنائع لنا ، أي: مصنوعين لأجلنا» ^(٤).

الخامسة: ما رواها شيخ الطائفة الطوسي (أعلى الله مقامه) بسنده عن إمام العصر والزمان عليه السلام: «ونحن صنائع ربنا ، والخلق بعد صنائعنا» ^(٥).

(١) نهج البلاغة: ٣: ٣٢. الاحتجاج: ١: ٢٦٠.

(٢) شرح إحقاق الحق: ٥: ٢٤٦.

(٣) اللّمْعة البيضاء: ٦٤. الخصائص الفاطميّة: ٢: ٦٠٩ ، وممّا يجدر ذكره أنّ الرواية

لم تنقل مسندة عن النبي صلى الله عليه وآله ، ولكن سياقها ظاهر في روايتها عنه.

(٤) مشارق أنوار اليقين: ٥٧.

(٥) الغيبة: ٢٨٥.

وقفه عند مضامين الطائفة الثانية:

وابتداءً لا بدّ من الالتفات إلى أنّ جميع الروايات الخمس لا سند لها، ما خلا الرواية الرابعة، على أنّ سندها غير نقي عن الإشكال، لوقوع عدّة من المجاهيل فيه، كما أنّ الأولى وإن كانت من نصوص كتاب نهج البلاغة، إلّا أنّنا -وفقاً لما عليه التحقيق عند أعلام المتأخرين- لا نلتزم بصحّة كلّ مروياته.

وأما دلالتها: فلا يخفى أنّ لها ثلاثة أسنة:

اللسان الأوّل: «والناس بعد صنائع لنا» - كما هو نصّ نهج البلاغة - ولا ظهور

لهذا النصّ في الوساطة في الفيض، بل هو محتمل لأحد ثلاثة احتمالات:

الاحتمال الأوّل: ما أفاده المولى الشيخ محمد صالح المازندراني (أعلى الله

درجته)، ومحصّله: أنّ المراد بالصنع هو صنع التربية لا صنع الخلق والإيجاد،

حيث قال: «ومراده ﷺ: أنّ مَنْ طلب العلم والحكمة وأسرار الشريعة فليرجع إلينا

وليسأله عنّا، فإنّا مواردّه، والناس بتعليمنا يعلمون، ويهدايتنا يهتدون»^(١).

وتبعه في ذلك المحقّق الشيخ أبو الحسن الشعراني (أعلى الله مقامه) حيث

علّق في الهامش بقوله: «وأما قوله: صنائع ربّنا فالصنيع ليس بمعنى المخلوق، بل

الخاصّ بالتربية والعناية، وصنيعك من ربّيته، وعلمته، وأحسنّت إليه، وعنيت

بمصالحه من خواصّك ومواليك وأولادك وغيرهم».

الاحتمال الثاني: ما أفاده المرجع الديني الكبير، الشيخ التبريزي (أعلى الله

درجته)، ومحصّله: أنّ المصنوع بمعنى الخادم المطيع، وقد تحدّث عنه بقوله:

«أي: نحن مطيعون لما أمر الله سبحانه، حيث أنّ الصانع لشخص -أي: الخادم له-

يطيعه، والناس يجب عليهم إطاعتنا، حيث أنّ للأئمة ﷺ الولاية على الناس

(١) شرح أصول الكافي: ٢: ٢١٠.

فيما يأمرُون وينهون عنه»^(١).

الاحتمال الثالث: ما أفاده الحجّة الشيخ المظفر (طيّب الله ثراه) من حمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على التعليل الغائي، وقد أوضح هذا بقوله: «وتحليله أن يقال: إنّ الله تعالى شأنه لما أحبّ أن يُعرف خلق الخلق ليُعرف، ولما أحسّ البشر أن لهم خالقاً خلقهم، ومصوراً أوجدهم، أرادوا أن يعرفوه، وكيف بعد أن أوصلهم الحسّ إلى وجود الخالق لهم لا تندفع نفوسهم إلى عرفانه، والمعرفة أساس الاتّصال بين الخالق والمخلوق، فكان ظهوره جلّ وعزّ أكشف للسرّ وأجلى للغشاء، ولما استحال ظهوره تعالى بنفسه لزم أن يظهر لعباده بصفاته، ولقصور العقول عن الإحاطة بعالي تلك الصفات، ولتقريب الأمر إليهم عن كثب، خلق لهم بشراً منهم يمثل لهم تلك الصفات السامية لذاته تعالى بما اتّصفوا به من جميل الخصال.

وهل - يا ترى - خلق خلقاً أفضل في الصفات، وأجمل في الخصال من نبينا الأكرم وأوصيائه الأمناء؟! فكانوا أحقّ البشر في أن يمثلوا صفاته القدسيّة، ولولا هؤلاء لما حصل الغرض من خلق الخلق، لعدم معرفتهم به تلك المعرفة المطلوبة، بدون أن يكونوا ممثّلين لصفاته، فلذا كان خلق الخلق لأجل أولئك الذين مثّلوه، ليحصل بذلك عرفانه، فكان الناس الصنائع لأجلهم»^(٢).

والذي يظهر أنّ الاحتمال الأوّل هو الأقرب، وذلك لقرينتين:

القرينة الأولى: سياق النصّ؛ إذ أنّ الفقرة المذكورة واردة في جواب أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية، حين بعث له خطاباً يدّعي فيه تقديم غير أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) صراط النجاة: ٢: ٦٢١.

(٢) علم الإمام: ٣٠.

عليه ، وأن فلاناً وفلاناً أفضل الناس في الإسلام ، فردّ عليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله في جملة ما قال :

«وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزَكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةٍ ، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَمَجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ . فَدَعِ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرِّمِيَّةُ ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا ، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا»^(١).

ومفاد كلامه عليه السلام : أنه لا وجه لإعمال المقارنة بيني وبين غيري ممّن تقدّم عليّ ، بعد أن كانت لي من الفضائل ما لا يمكن لغيري مجاراتي في واحدة منها ، ولكن تمنعني من سردها وبيانها كراهة تزكية المرء لنفسه ، وهذا ما يفرض عليك الابتعاد عمّن مالت به الرميّة - وهو مثل يُضرب لمن اعوجّ غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه - ولزوم اتّباعي والأخذ بهدائي ، إذ أني وآلي الكرام قد اختارنا الله واصطفانا وعلمنا وربّانا ، فنحن صنائع الله تعالى^(٢) ، ولأننا صنائعه فنحن الذين نربّي الناس ونعلمهم ونهديهم ، كما ربّانا الله تعالى وعلمنا ، فهم صنائعنا .

القرينة الثانية : مفردة «الناس» الواردة في النصّ ، فإنّها قرينة أخرى على أنّ المراد بالصنعة صنعة التربية ؛ إذ لو كان المراد بها صنعة الخلقة والإيجاد ، وكون المعصومين عليهم السلام واسطة الفيض الإلهي ، لم يكن وجه لتخصيص «الناس» بالذكر ، بل كان ينبغي إبدالها بمفردة «الخلق» لإفادة صنعة الإيجاد .

اللّسان الثاني : «والخلق كلّهم صنائع لنا» - وهذا هو لسان الروايات الثانية والثالثة والرابعة - واختلافه عن اللّسان السابق بتجرّده عن القرينتين المتقدّمتين ،

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٣٢ .

(٢) وهذا نظير قوله تبارك وتعالى مخاطباً نبيّه موسى عليه السلام : ﴿وَاضْطَنَفْتُكَ لِنَفْسِي﴾ طه

وعلى هذا فهو يحتمل احتمالين:

الاحتمال الأول: أن تكون اللام في قوله ﷺ: «لنا» للغاية، فيكون معنى النص أن محمداً وآله ﷺ هم الغاية لصنع المصنوعات، وهذا نظير ما جاء في الحديث القدسي خطاباً للنبي الأعظم ﷺ: «خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي»^(١).

الاحتمال الثاني: أن تكون اللام في قوله ﷺ: «لنا» للتعليل، وهي: ما تفيد السببية، سواء سببية ما قبلها لما بعدها أم العكس، فيكون معنى النص أن محمداً وآله المعصومين ﷺ أحد أسباب صنع الخلق، وبما أن سببيتهم ليست على نحو فاعل ما منه الوجود، فتكون إما بمعنى فاعل ما به الوجود، وهو المعنى الأول للوساطة في الفيض، وإما بمعنى شرط القابل، وهو المعنى الثالث للوساطة في الفيض، كما تقدم إيضاحه.

اللسان الثالث: «والخلق بعد صنائعنا» - وهذا هو لسان الرواية الخامسة - واختلافه عن اللسان الأول من جهة تعبيره بمفردة «الخلق» دون مفردة «الناس»، واختلافه عن اللسانين السابقين من جهة تجرّده عن حرف «اللام»، وعلى هذا فهو يحتمل احتمالاً واحداً فقط، وهو الوساطة في الفيض، بمعنى فاعل ما به الوجود؛ إذ أن الحمل على العلة الفاعلية - بمعنى فاعل ما منه الوجود - ممتنع إثباتاً، وتؤكد هذا الحمل قرينة المقابلة بين شقي الرواية، حيث قالت: «ونحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعنا»؛ إذ من المقطوع به أن العلاقة في صدر الرواية بين الصنائع والرب من قبيل علاقة المفعول بالفاعل، فكذا الظاهر من ذيلها، والأول فاعل ما منه الوجود، والثاني فاعل ما به الوجود.

الطائفة الثالثة: ما دلت على أنّ الخلق مخلوقون لأجلهم ﷺ.

وهي روايات مستفيضة، بل متواترة ولو تواتراً إجمالياً، ونظراً لذلك فقد استغنينا عن النظر في أسانيدھا، وتتبع أحوال رواتها.

فمنھا: ما جاء في الحديث القدسي خطاباً للنبي الأعظم ﷺ: «يا عبدي أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي، وعزتي وجلالي، لولاك ما خلقت الأفلاك. مَنْ أَحَبَّكَ أَحَبَّتْهُ وَمَنْ أَبْغَضَكَ أَبْغَضَتْهُ»^(١).

وفي الحديث القدسي -المعروف بحديث المعراج-: «فلولاكم ما خلقت الدنيا والآخرة، ولا الجنة ولا النار»^(٢).

وفي الحديث القدسي خطاباً للملائكة الكرام: «هذا نور من نوري، أصله نبوة، وفرعه إمامة، أمّا النبوة فلمحمد عبدي ورسولي، وأمّا الإمامة فلعليّ حجّتي ووليّي، ولولاهما ما خلقت خلقي»^(٣).

وعن رسول الله الأعظم ﷺ: «يا عليّ، لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا تكون أفضل من الملائكة»^(٤).
وعنه ﷺ: «ولولانا لم يخلق الله الجنة والنار، ولا الأنبياء، ولا الملائكة»^(٥).

وعن جابر الجعفي، عن الإمام الباقر ﷺ، قال: «يا جابر، إنّنا من الله بمكان ومنزلة رفيعة، فلولا نحن ما خلق الله تعالى سماءاً ولا أرضاً، ولا جنة ولا ناراً،

(١) بحار الأنوار: ١٥: ٢٨.

(٢) بحار الأنوار: ٣٦: ٣٠٢.

(٣) علل الشرائع: ١: ١٧٤.

(٤) علل الشرائع: ١: ٥.

(٥) بحار الأنوار: ٣٦: ٣٣٧.

ولا شمساً ولا قمرأً، ولا جنياً ولا إنسياً»^(١).

وأمثال هذه الروايات - كما ذكرنا - كثير جداً.

وهذه الطائفة من الروايات تحتل معنيين:

المعنى الأول: بيان الغاية من الخلق، وأن الله تعالى قد أوجد جميع الموجودات في عالم الملك والملكوت لأجل محمد وآل محمد ﷺ.

المعنى الثاني: بيان شرط القابل، بمعنى أنه لولا وجود محمد وآل محمد لم يوجد الله تعالى شيئاً من الموجودات، لنقص في قابليتها لا يتمم إلا بوجودهم ﷺ.

ويمكن تقريب ذلك بأن يقال: إن «لولا» في مثل المقام حرف يتضمن معنى الشرط، ويفيد امتناع وجود الجواب لوجود الشرط^(٢)، كما في قوله (تبارك وتعالى): ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٣)، حيث يستفاد منه امتناع اللبث في بطن الحوت - وهو الجواب - لوجود التسبيح، وهو الشرط.

وعليه: فعندما يقول النص - مثلاً -: يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، يُستفاد منه أن امتناع عدم خلق الأفلاك - والمساوق لوجوب وجودها بالغير - إنما هو لتحقيق الشرط، وهو وجود محمد وآل محمد ﷺ، ولولا وجودهم لم يمتنع

(١) نوار المعجزات: ٢٦٧.

(٢) المراد من الشرط معناه الأدبي، وهو: «ما لا يمكن تحقق غيره إلا بعد تحققه»، والشرط الأدبي أعم من الشرط الفلسفي، لأنه يشمل ويشمل كل أجزاء العلة، كالعلة الغائية.

(٣) الصافات ٣٧: ١٤٣ و ١٤٤.

عدم الوجود الكوني ، وشرطيّتهم ﷺ يمكن تصوّرها على نحوين :

النحو الأوّل : أن تكون من قبيل الشرط المتّم لقابليّة القابل ، لا من قبيل الشرط المصحّح لفاعليّة الفاعل ، لكون الفاعل (تعالى شأنه) كمالاً مطلقاً لا نقص يشوبه .

النحو الثاني : أن تكون من قبيل العلة الغائيّة ، وهي : «الدخيلة في ترجيح إعمال القدرة لجانب الإيجاد أو الإمساك» ، فإنّ هذه العلة أيضاً ممّا يمتنع تحقّق المعلول ما لم تتحقّق .

ولعلّ الاحتمال الثاني أرجح الاحتمالين ، إذ يوجد هنالك أسلوبان ينبغي التمييز بينهما :

الأسلوب الأوّل : أن يرتبط الشرط الأدبي بالفعل ، كأن يقال : «لولا اقتراب الجسم من النار لما أحرقته» .

الأسلوب الثاني : أن يرتبط الشرط الأدبي بنتيجة الفعل ، كأن يقال : «لولا الجفاف لما احترق الخشب» .

ولا شك أنّ الأسلوب الأقرب للتعبير عن شرط القابل هو الأسلوب الثاني ، دون الأسلوب الأوّل ، وبما أنّ روايات هذه الطائفة - كما يظهر لمن دقّق فيها - قد ربطت الشرط بنفس الفعل ، لا بنتيجته ، كما في «لولاك لما خلقت الأفلاك» ، فهذا ممّا يباعدّها عن الحمل على شرط القابل ، ويعيّن حملها على التعليل الغائي .

نتيجة البحث حول الروايات :

والذي انتهينا إليه من جميع ما ذكرناه : أنّ المعتبر من الروايات المذكورة - على مختلف طوائفها - لا يستفاد منه تفسير الوساطة في الفيض إلّا على نحو فاعل مابه الوجود ، أو على نحو العلة الغائيّة ، والظاهر أنّه لا مانع من الالتزام بوساطتهم ﷺ

للفيَض بكلا المعنيين ، فهم العلة الغائية لفعل (فاعل ما منه الوجود) ، وهم أيضاً مجرى الفيض و (فاعل ما به الوجود) ^(١).

وأما كونهم شرط قابلية القابل فهو وإن أمكن ثبوتاً ، إلا أن الأدلة قاصرة عنه إثباتاً ^(٢).

(١) ولعل هذا الذي ذكرناه هو ما انتهى إليه المحقق الخوئي رحمته ، حيث قال : « وبهم الوجود ، وهم السبب في الخلق ؛ إذ لولاهم لما خُلِقَ الناس كلهم ، وإنما خُلِقُوا لأجلهم ، وبهم وجودهم ، وهم الوسطة في الإفاضة » . مصباح الفقاهة : ٥ : ٣٣ .

(٢) ومن جميع ما ذكرناه يظهر ومن ما طرحه بعض المعاصرين في كتابه (نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية) لنفي فكرة الوساطة في الفيض ، حيث قال : « وأما الحديث عن كون الأنبياء والأولياء وسطاء في الفيض ، فهو حديث مخالف لظواهر آيات القرآن ، لأنها تتحدث عن إفاضة الله النعمة على عباده ، وعن الرزق الذي ينزله عليهم ، وعن العافية التي يسبغها عليهم ، وعن الهداية التي يلقيها في عقولهم ، والتي ظاهرها أن لا توسط لأحد فيها بينه وبين عباده ، بل يتحقق الفيض الإلهي في كل الأمور بالوسائل الطبيعية التي أودعها في الحياة بشكل مباشر ، فلا دخل لأحد من عباده مهما كانوا قريبين منه في عملية الإفاضة .

وإليك بعض الآيات القرآنية التي تؤكد الفكرة ، قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص ٣٨ : ٧٥] ، فهذه الآية واضحة الدلالة على أن الله تعالى قد خلق الخلق بيديه ، وهو كناية عن مباشرته للخلق دون وسائط من غيره ، لأن من المعلوم تنزّهه تعالى عن كل عوارض الجسميّة .

وهكذا ، فإن ظاهر غير واحدة من الآيات القرآنية ، أنه تعالى هو الذي يباشر الخلق والرزق وإنزال الغيث ، وغير ذلك من الظواهر التكوينية ، وتجاوز هذا الظاهر يحتاج إلى دليل وهو مفقود .

وقال تعالى في آية أخرى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ »

المحور الرابع: علاقة الوساطة في الفيض بالولاية التكوينية.

مرّ علينا من خلال ما سبق: أنّ بعض الأعلام قد تبنى تفسير (الولاية التكوينية) بالوساطة في الفيض، وهنا نريد أن نفهم وجه العلاقة بين الولاية التكوينية

﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد ١٣: ١٦].

وقال سبحانه أيضاً: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف ٧: ١٢].

وفي آية أخرى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان ٣١: ٣٤].

ونقرأ أيضاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف ٧: ٥٤]، إلى غير ذلك من الآيات التي تؤكد الفيض المباشر بما ينفي الوسائط إلا الوسائط التكوينية.

وفي ضوء ذلك، فإننا نرفض محاولات تأويل القرآن الكريم أو إخضاعه في ظواهره البينة الواضحة، لبعض التعقيدات الفلسفية التي أثارها البعض في تفكيرهم الفلسفي التجريدي، انتهى.

ولا أظنّ القارئ - بعد الإلمام بما عرضناه - بحاجة إلى تعليقي على هذا الكلام، إذ أنّ كلّ الآيات الكريمة التي حاول الاستناد إليها لنفي فكرة الوساطة في الفيض تتحدّث عن فعل فاعل ما منه الوجود، وليست تتحدّث عن فعل فاعل ما به الوجود، وإذا كانت بصدد الحديث عن الأوّل، فمن الواضح أنّه منحصر بالله تعالى، كما قد أوضحناه.

ثمّ إنّّه لا يخفى على كلّ عارف بأساليب اللغة العربية والقرآن الكريم أنّ تعدّد الإسناد ليس عزيزاً فيها، وقضية الإمامة في القرآن الكريم تكفي مثلاً لذلك، حيث أسندت الإمامة تارة لله تعالى وتارة لملائكة الموت، ممّا يعني أنّ إسناد الفيض إلى الله تعالى لكونه فاعل ما منه الوجود، لا يتنافى مع إسناد الواسطة الفيض لكونه فاعل ما به الوجود.

والوساطة في الفيض ، بحيث يصحّ تفسير الأولى بالثانية ، والذي نحتمله وجهاً للعلاقة: أن كون المعصومين عليهم السلام واسطة للفيض ، يعني أن لا فيض يصل إلى المستفيض إلا بواسطتهم ، وإذا كانت وساطة الفيض بمعنى أنهم عليهم السلام مجاري الفيض وفاعل ما به الوجود ، كما أثبتته الأدلة ، فهذا يقتضي بالضرورة ولايتهم التكوينية على المستفيض ، لأنهم في رتبة الفاعل .

والى ذلك أشار شيخ المحققين الأصفهاني (طيب الله ثواه) حيث قال: «ومما ذكرنا يظهر أن كيفية ولاية النبي صلى الله عليه وآله والأئمة (صلوات الله عليهم) ، وسلطتهم المعنوية على جميع الموجودات من هذا القبيل ، نظراً إلى أنهم وسائط الفيض ومجاريها ، وفي رتبة فاعل ما به الوجود لا ما منه الوجود ، وبهذا الاعتبار بهم يتحرك المتحرّكات وتسكن السواكن»^(١).

إلا أن غاية ما يثبت هذا المقدار هو ارتباط الوساطة في الفيض بالولاية التكوينية ، وكون الثانية ناشئة عن الأولى ، وهذا لا يصحّ تفسير الولاية التكوينية بالوساطة في الفيض ، كما لا يخفى ؛ إذ المنشأ غير الناشئ منه ، فلا يصحّ تفسير أحدهما بالآخر .

(١) حاشية المكاسب : ١ : ٣٩ و ٤٠ .

الاحتمال الخامس: الولاية التكوينية فعل طبيعي للمعصوم عليه السلام.

بعد أن ثبت لدينا أن حقيقة الولاية التكوينية ليست هي: الإعجاز ولا الدعاء المستجاب ولا التفويض ولا الوساطة في الفيض، نقول: إن الولاية التكوينية بحسب الحقيقة والمفهوم، هي: قدرة المعصوم عليه السلام الطبيعية على التصرف في الأمور الكونية بتفويض من الله (سبحانه وتعالى) في وقت التحدي وغيره من الأوقات.

وهذا ما يستفاد من روايات أهل البيت عليهم السلام، وهي في غاية الكثرة، ولكن سوف نكتفي بذكر بعضها تيمناً:

منها: ما رواه محمد بن الحسن الصفار، قال: حدثني أحمد بن محمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن مثنى الحنّاط، عن أبي بصير^(١)، قال: «دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام وقلتُ لهما: أنتما ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم.

(١) الرواية معتبرة سنداً؛ إذ يرويه محمد بن الحسن الصفار، وهو الثقة الثبت، عن أحمد بن محمد، وهو: إما (ابن خالد)، أو (ابن عيسى)، بقرينة رواية محمد بن الحسن الصفار، وكلاهما ثقتان، عن علي بن الحكم، وهو: ثقة جليل القدر، عن مثنى الحنّاط، و«لا بأس به» كما قال ابن فضال، بل ثقة لرواية ابن أبي عمير عنه، وعنه قال المحقق الخوئي رحمته الله في المعجم: ١٤: ١٨٥: «المثنى الحنّاط.. يحتمل انطباقه على ابن راشد، وابن عبد السلام، وابن الوليد المتقدمين، ولكن مع ذلك يحكم بوثاقته بهذا العنوان (مثنى الحنّاط)، وقد ورد في سند كثير من الروايات». عن أبي بصير، وهو: إما (ليث بن البختري) أو (يحيى بن القاسم الحذاء الأسدي)؛ لعدم معرفتيه غيرهما بهذه الكنية، وكلاهما ثقتان، كما نبّه على ذلك المحقق الخوئي رحمته الله في معجم رجال الحديث: ٢١: ٤٧.

قلت: فرسول الله وارث الأنبياء؟ عَلِمَ كُلُّ مَا عَلِمُوا؟ قال لي: نعم.

فقلت: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى، وتبرؤا الأكمه والأبرص؟

قال: نعم، يا ذن الله. ثم قال لي: ادن مني يا أبا محمد، فمسح يده على عيني ووجهي، وأبصرت الشمس، والسماء، والأرض، والبيوت، وكل شيء في الدار. قال: أتحب أن تكون هكذا، ولك ما للناس، وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت، ولك الجنة خالصاً؟

قلت: أعود كما كنت. قال: فمسح على عيني، فعدت كما كنت.

قال علي: فحدثت به ابن أبي عمير، قال: أشهد أن هذا حق، كما أن النهار حق^(١).

ويمكن تأييد هذه الرواية بعدة نصوص أخرى:

منها: ما عن سماعة بن مهران، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الدنيا تمثل للإمام في مثل فلقه الجوز، فما يعرض لشيء منها، وإنه ليتناولها من أطرافها، كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء، فلا يعزب عنه منها شيء»^(٢).

ومنها: رواية ابن شهر آشوب، قال: «أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر، ففرع إلى علي عليه السلام أصحابه، فقع علي عليه السلام على تلعة، وقال: كأنكم قد هالكم، وحرّك شفتيه، وضرب الأرض بيده، ثم قال: ما لك اسكني، فسكنت»^(٣).

ومنها: ما عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «يا جابر، ما سترنا عنكم أكثر مما أظهرنا

(١) بصائر الدرجات: ٦: ٢٨٩، الباب ٣، الحديث ١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥: ٣٦٧، الحديث ١١.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٢: ٣٦٢.

لكم... إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَقْدَرَنَا عَلَى مَا تُرِيدُ ، فَلَوْ شِئْنَا أَنْ نَسُوقَ الْأَرْضَ بِأَزْمَتِهَا لَسُقْنَاهَا»^(١).
ومثل هذه الروايات كثيرٌ جداً، والمستفاد منها: أنَّ الولاية التكوينية عند المعصوم عليه السلام عبارة عن: قدرة طبيعية أعطاه الله إياها للتصرف في الأمور الكونية في وقت التحدي وغيره، كما أعطاه القوة والقدرة على الأكل والشرب والنوم والمشي وسائر الأمور الطبيعية.

ولعلَّ ما اخترناه هو ما عناه سيّدنا الأستاذ الروحاني (دامت إفاداته الشريفة) بقوله: «الولاية التكوينية - أي: ولاء التصرف التكويني - والمراد بها: كون زمام أمر العالم بأيديهم، ولهم السلطنة على جميع الأمور بالتصرف فيها، كيفما شاؤوا، إعداماً وإيجاداً، وكون عالم الطبيعة منقاداً لهم لا بنحو الاستقلال، بل في طول قدرة الله تعالى وسلطته واختياره، بمعنى أنَّ الله تعالى أقدرهم وملكهم، كما أقدرنا على الأفعال الاختيارية»^(٢).

وعلى ضوء ما ذكرناه على مدى الأبحاث والاحتمالات المتقدمة، يصحّ لنا تعريف الولاية التكوينية - مفهوماً وحقيقة - بأنها: «قدرة المعصوم عليه السلام على التصرف في الأمور الكونية، إيجاداً وإعداماً، على خلاف القوانين الطبيعية، بتفويض من الله سبحانه وتعالى، في وقت التحدي وغيره من الأوقات»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ٤٦ : ٢٤٠.

(٢) منهاج الفقاهاة: ٤ : ٢٦٨.

(٣) والغريب من بعض المعاصرين أنَّه رغم إقراره بأنَّ مراد القائلين بالولاية التكوينية هو ما ذكرناه، حيث قال: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لَهُمُ الْوَلَايَةَ عَلَى الْكَوْنِ ، بِمَعْنَى أَنَّ زِمَامَ أَمْرِ الْعَالَمِ التَّكْوِينِي بِأَيْدِيهِمْ ، وَلَهُمُ السُّلْطَةُ التَّامَّةُ عَلَى جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ بِالتَّصَرُّفِ فِيهَا كَيْفَمَا شَاءُوا إِعْدَاماً وَإِجَاداً ، وَلَهُمْ أَنْ يَنْقُلُوا الشَّمْسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَنْ يَزِيلُوا الْجِبَالَ» .
نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية: ٢١.

» إلا أنه في موضع آخر - حيث كان في مقام تبريره لشدة انتقاده لمسألة الولاية التكوينية - فسّر الولاية التكوينية بأنها (إدارة شؤون الكون) ، فحينما سئل السؤال التالي : « بعد تحدّثكم عن الولاية التكوينية ، نجد أنكم تنتقدون هذه النظرية ربّما بشدة ، ولكنكم تعتقدون كما يعتقد الآخرون ، أن الله منحهم قدرات خاصّة في ظروف معيّنة ، أرجو إيضاح الأمر ؟ » .

فأجاب : « هذا يختلف عن ذلك ، فإن المراد من الولاية التكوينية هو أن الله تعالى جعل لبعض عباده أمر إدارة الكون والتصرّف في شؤونه ، وهذا يختلف عن المعجزات التي هي حدث طارئ واستثنائي يجريه الله تعالى على يد الأنبياء لغرض إثبات نبوتهم » . المصدر المتقدّم : ٩٨ و ٩٩ .

وقال في موضع آخر : « يراد بمصطلح الولاية التكوينية ما مفاده : إن الله تعالى قد أعطى الأئمة ولاية على تدبير شؤون الكون ، أو قسم منها ، للنبي محمد ﷺ وآله عليهم السلام ، وقد ذهب فريق من العلماء إلى القول بها والاعتقاد بصحتها ، فيما ذهب فريق آخر إلى القول بطلانها ، والأقوى عندنا هو القول بطلانها » . المصدر المتقدّم : ٧٧ .

ومن الواضح أن المسافة شاسعة جداً بين تفسير الولاية التكوينية - الذي نسبته للقائلين بها - وتفسيرها الذي برّر به شدة انتقاده لها ، ممّا يثير علامة استفهام ملحّة جداً حول وجه الخلط بين التفسيرين .

البحث الثالث

العلّة الفاعليّة للولاية التكوينيّة



بناءً على ما نقّحناه في البحث السابق من كون الولاية التكوينية عبارة عن: قدرة المعصوم عليه السلام على التصرف التكويني ، ينبغي البحث حول هذه القدرة للمعصوم ، هل هي خاضعة لقانون العلّة والسببية ؟ أم هي خاضعة للقدرة والسلطنة الإلهية على الكائنات ؟

ولبيان ذلك نحتاج أن نبحث - أولاً - بحثاً كبروياً حول المحرك وراء الظواهر الكونية ، وهنا عندنا اتجاهان :

الاتجاه الأول :

ما عليه مشهور الفلاسفة والحكماء ، ومفاده : أنّ المحرك وراء الظواهر الكونية هو قانون العلّة ؛ وذلك لأنّ جميع ما في الكون مبنيّ على قانون العلّة والسببية ، وما من ظاهرة إلا ومن وراءها سببٌ وعلةٌ في نظام التكوين .

وقرّبوا ذلك بالقانون العقلي ، الذي ينصّ على استحالة الترجّح من غير مرجّح ، حيث يقولون : إنّ كلّ الكونيات الموجودة في عالم التكوين موجوداتٌ إمكانيّة ، والمقصود من الموجودات الإمكانية : الموجودات التي يكون الوجود والعدم بالنسبة لها على حدّ سواء ، في قبال وجود الواجب (سبحانه وتعالى) ووجود الممتنع .

فالإنسان - مثلاً - بما هو إنسان ، يكون الوجود والعدم بالنسبة له على حدّ

سواء ، وبالتالي فوجوده في الخارج يعني رجحان أحد طرفيه ، وهو طرف الوجود في قبال طرف العدم ، وهذا الرجحان إما أن يكون بمرجح أو بغير مرجح ، فإن كان بغير مرجح ، فهو مستحيل ، بحسب البرهان العقلي ؛ لأنه ترجح من غير مرجح ، فيتعين - حيثئذ - وجود المرجح لتحقيق (الإنسان) في الخارج ، كظاهرة كونية من بين ملايين الظواهر الكونية في الوجود ، وليس هناك مرجح لوجود الظاهرة الكونية إلا علة وجودها ، فيلزم القول : بأن الظواهر الكونية وليدة العلل والأسباب التي أوجدها الله (سبحانه وتعالى) في الكون وفق نظام الأسباب والمسببات .

الاتجاه الثاني :

ما أثاره بعض المحققين المتأخرين ^(١) على سبيل الاحتمال والفرض ، ومفاده : أن من الممكن تصوّر أن الظواهر الكونية ليست خاضعة لقانون العلية ، وإنما هي خاضعة للإرادة الإلهية .

وتقريب ذلك : أن من جملة الظواهر الكونية : (النار محرقة) ، وهي تعني على ضوء الاتجاه الأول : أن الإحراق من ذاتيات النار ، بمعنى : أن الله تعالى خلق النار ، وجعلها علة للإحراق ، وعليه : فالإحراق ظاهرة كونية ، وعلتها هي : النار .

ولكن هذه الظاهرة على ضوء الاتجاه الثاني تعني : أن الإحراق ليس وليد قانون العلية ، بمعنى : أن الله تعالى قد جعل النار علة للإحراق ، بل إن الباري (سبحانه وتعالى) اقتضت حكمته وسلطنته أنه كلما وجدت النار وتحققت الملاقاة بينها وبين شيء آخر ، فإنه (تبارك وتعالى) يخلق الإحراق مقارناً لوجود النار ، بحيث

(١) تُسب هذا الرأي إلى السيد الصدر رحمته كما في كلمات بعض تلامذته في كتابه (الإمامة

لا يكون الإحراق - كظاهرة كونية - وليداً لمبدأ العلّية وقانون السببية ، بل هو : وليد المشيئة الإلهية .

وبعد بيان هذين الاتجاهين لتفسير المحرّك وراء الظاهرة الكونية ، يتسنى لنا أن نقول : إنّ المشهور عند علمائنا (رضي الله عنهم) : أنّ الظواهر الكونية خاضعة لقانون العلّية ، وأنّ الله تعالى خلق الكون على نظام الأسباب والمسبّبات ، فجعل لكلّ شيء سبباً .

وهذا ما يستفاد من القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام ، فالقرآن الكريم في العديد من آياته دائم التنبيه على وجود وسائط وأسباب في عالم الوجود ، كقوله تعالى : ﴿لِلّٰهِ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) ، وقوله تعالى في مقابل ذلك : ﴿فَتَبَارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢) ، ممّا يعني وجود الوسائط بالنسبة إلى ظاهرة (الخلق) كظاهرة كونية .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَاللّٰهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾^(٣) في مقابل قوله تعالى : ﴿أَنْ أَغْنَاهُمْ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ﴾^(٤) للتأكيد على وجود سبب آخر للغنى ، كظاهرة كونية ، وهو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .

وأيضاً قوله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾^(٥) وفي قبale قوله سبحانه وتعالى : ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٦) ، ممّا يؤكّد وجود الوسائط في عالم الأرزاق ، الذي

(١) الرعد ١٣ : ١٦ .

(٢) المؤمنون ٢٣ : ١٤ .

(٣) فاطر ٣٥ : ١٥ .

(٤) التوبة ٩ : ٧٤ .

(٥) الذاريات ٥١ : ٥٨ .

(٦) المائدة ٥ : ١١٤ .

هو من جملة الظواهر الكونية.

وكذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١)، وفي قبale قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(٢) فيه تنبيه على وجود الوسائط والأسباب، حتى في ظاهرة (الموت) كظاهرة كونية.

ومن خلال مجموع ما عرضناه من الآيات القرآنية، ومقابلة بعضها ببعض الآخر، نستنتج أن الله (سبحانه وتعالى) قد خلق نظام التكوين على وفق نظام الوسائط والأسباب.

هذا، مضافاً إلى الآيات القرآنية الأخرى الصريحة في هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾^(٣)، وما شابهها، مما هو صريح في وجود الوسائط والأسباب في النظام الكوني.

والى جنب ذلك أيضاً جاءت روايات أهل البيت عليهم السلام لتؤكد على نفس تلك الحقيقة، من قبيل ما اشتهر عن الإمام الصادق عليه السلام: «أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ، فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا»^(٤).

وبما ذكرناه اتضح: أن قانون العلّية ونظام الوسائط والأسباب من القوانين القارّة والثابتة في عالم الوجود، ويمكن إثباته من خلال آيات القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام، مما يؤكد أن السبب المحرك وراء الظواهر الكونية الموجودة في عالم التكوين هو قانون العلّية.

وبما أن الولاية التكوينية - التي هي محور البحث - من جملة الظواهر الكونية،

(١) الزمر ٤٢: ٣٩.

(٢) النحل ٢٨: ١٦.

(٣) النازعات ٥: ٧٩.

(٤) الكافي ١: ١٨٣.

فلا بدّ من الالتزام بأنّها خاضعة ككلّ الظواهر الكونيّة لقانون العلّيّة والسببيّة ، واستثناء الولاية التكوينيّة من هذا القانون الشامل يحتاج إلى دليل وإثبات على الاستثناء ، ولا يوجد ثمة دليل على ذلك .

وعلى ضوء ما ذكرناه يقع البحث حول تحديد العلّة التي تخضع لها ظاهرة الولاية التكوينيّة .

العلّة وراء الولاية التكوينيّة :

ولدينا أربع نظريات في تحديد العلّة وراء الولاية التكوينيّة :

النظرية الأولى :

إنّ العلّة وراء الظاهرة الكونيّة هو : الله (سبحانه وتعالى) ؛ لأنّه سبحانه وتعالى هو مسبّب الأسباب ، وعلّة العلل ، فكلّ ما في ساحة الكون من الظواهر الكونيّة ، سيّما الظواهر التي تظهر على يد الأنبياء والأولياء ترجع إلى مشيئة الله (سبحانه وتعالى) وقدرته ، وهذا هو مفاد الآيات القرآنيّة :

كقوله تعالى : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(١) ؛ إذ الظاهر منه : أنّ الظاهرة الكونيّة التي تحقّقت ، وهي عدم إحراق النّار ، لم تكن مستندة إلى إبراهيم عليه السلام ، أو إلى علّة طبيعيّة أخرى ، وإنّما هي مستندة إلى الله (سبحانه وتعالى) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا نُوحَ النّاقَةَ ﴾^(٢) ؛ إذ الظاهر منه : أنّ الناقة المنبعثة من بين صخور الجبل ، والتي كانت ظاهرة كونيّة إعجازيّة ، كانت العلّة من ورائها

(١) الأنبياء ٢١ : ٦٩ .

(٢) الإسراء ١٧ : ٥٩ .

هي الله سبحانه وتعالى.

ويمكن أن يستفاد هذا المعنى أيضاً من قوله تعالى في قصة النبي موسى عليه السلام: ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾^(١)، حيث أصبحت تلك العصا حية تسعى بعد أمر الله (سبحانه وتعالى) بالقاءها.

فظاهر مجموع هذه الآيات القرآنية: أنَّ العلة وراء المعاجز والكرامات هي مشيئة الله وإرادته (سبحانه وتعالى).

ويلاحظ على هذه النظرية:

أَنَّ الآيات القرآنية المذكورة لا دلالة لها على أَنَّ الفاعل المباشر من وراء المعجزة هو الله سبحانه وتعالى، بل غاية ما تدلُّ عليه الآيات أَنَّ هذه المعاجز راجعة إليه، وإيرادته ومشيئته، نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢)، وكذلك نظير قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٣).

وعليه فهذه الآيات ناظرة إلى لزوم الإذن الإلهي في التصرفات التكوينية التي تكون على نحو الإعجاز، وفي موقع التحدي، ولا دلالة لها على أَنَّ الفاعل المباشر للمعجزة هو: الله (سبحانه وتعالى).

هذا مضافاً إلى كون هذه النظرية خروجاً عن دائرة الاتجاه الأول، الذي يتبنى قانون العلئية في تفسير الظواهر الكونية، ودخولاً في الاتجاه الثاني الرافض لاعتبار كون المحرك هو: قانون العلئية، ونظام الأسباب والمسببات.

(١) طه ٢٠: ١٩ و ٢٠.

(٢) الرعد ١٣: ٣٨.

(٣) آل عمران ٣: ٤٩.

النظرية الثانية:

وهي النظرية التي يطرحها العلامة الطباطبائي (أعلى الله مقامه الشريف) في تفسيره الميزان، حيث يقول: «فالأمر جميعاً، سواء كانت عادية أو خارقة للعادة، وسواء كان خارق العادة في جانب الخير والسعادة، كالمعجزة والكرامة، أو في جانب الشرّ، كالسحر والكهانة، كلّ هذه الأمور مستندة في تحقّقها إلى أسباب طبيعيّة»^(١).

ويقول في موضع آخر: «إنّ المعجزة كسائر الأمور الخارقة للعادة، لا تفارق الأسباب العادية في الاحتياج إلى سبب طبيعي»^(٢).

والمستفاد من مجموع كلامه عليه السلام: أنّ العلّة وراء الولاية التكوينيّة، أو وراء الإعجاز، هي: من سنخ العلل الماديّة الطبيعيّة.

غاية ما في الأمر: أنّها خفيت علينا، وأُطلِعَ الله الأنبياء والأئمّة عليهم السلام عليها، ومن خلال اطلاعهم على تلك العلل الماديّة الطبيعيّة الخفيّة يُحدثون الظاهرة الكونيّة في عالم التحقق والوجود.

فمثلاً: قد يقال: إنّ علّة وجود الثعبان هي البيضة، ولكن قد تكون هناك علّة مادية أخرى موجودة في عالم الطبيعة لم يطلع عليها البشر، وقد أطلع الله تعالى نبيه موسى عليه السلام عليها، فاستطاع من خلالها أن يوجد الثعبان في عالم التحقق والطبيعة، من غير الاحتياج إلى العلّة الطبيعيّة المعروفة.

ويستدلّ السيّد الطباطبائي صاحب الميزان عليه السلام على إثبات نظريّته بدليل يتركّب من مقدّمتين:

(١) تفسير الميزان: ١ : ٨١.

(٢) المصدر المتقدّم: ٨٢.

المقدمة الأولى :

إنَّ الله أبى أن يجري الأمور إلا بأسبابها ، وهذا قانون عام كلي في النظام الكوني ، فعلى ضوئه لا بدَّ أن نلتزم بأنَّ هناك عللاً وأسباباً وراء الظاهرة الكونية الخارقة للعادة ، قد أطلع الله المعصوم عليه السلام عليها ، وخفيت على بقية المخلوقات ؛ وذلك لأنَّ الظاهرة الكونية الخارقة للعادة كغيرها من الظواهر لا بدَّ أن تخضع للنظام الكوني العام .

المقدمة الثانية :

لزوم المسانحة بين العلة والمعلول ، وبما أنَّ الأمور الخارقة للعادة - كالأمور الناتجة عن الولاية التكوينية ، أو الإعجاز - أمور طبيعية موجودة في عالم الطبيعة ، فلا بدَّ أن تكون علتها علة طبيعية ؛ للزوم المسانحة بين العلة والمعلول ، فمتى ما كان المعلول طبيعياً فلا بدَّ أن تكون علته طبيعية ، وبذلك لا بدَّ أن نلتزم بوجود علة طبيعية مادية للظواهر الكونية الخارقة للعادة ، ولكنها خفيت علينا ، وأطلع الله المعصوم عليه السلام عليها .

مناقشة السيّد السبزواري للعلامة الطباطبائي رحمته الله :

وناقشه السيّد السبزواري رحمته الله بمناقشتين :

المناقشة الأولى : إنَّ هذه القاعدة ، إنما هي مطردة فيما سوى الله سبحانه وتعالى ، فإنه إذا كان المعلول طبيعياً تحتم أن تكون علته طبيعية ، وأما إذا كان الأمر يرجع إلى الله (سبحانه وتعالى) فالمسانحة ليست بلازمة ؛ إذ هو قادر (سبحانه) على أن يوجد المعلول الطبيعي ، ولو من علة غير طبيعية ، وهذا لا مانع منه .

المناقشة الثانية : وهي تركز على عدم التسليم بكون الظواهر الكونية الخارقة

للعادة من الأمور الطبيعيّة؛ إذ من الممكن أن تكون تلك الظواهر من عالم آخر، ولكن قد أوجدها الله في عالم الطبيعة، فقلّب العصا ثعباناً، أو تحويل الجمادات إلى متحرّكات، ليس من الأمور الطبيعيّة، وإنّما هي قضايا من عالم آخر، أوجدها الله في عالم الأرض والطبيعة.

والخلاصة: فإنّه لا دليل على أنّ الظواهر التكوينية التي يوجدها المعصوم عليه السلام بشكل خارق للعادة هي من سنخ عالم الطبيعة، حتّى يلزم القول بلزوم كون علّتها طبيعيّة، بل يحتمل كونها من عالم آخر، ولكنّ الله أوجدها في عالم الطبيعة.

واليك نصّ عبارته عليه السلام قال: «إنّ أصل القاعدة موردها العلل الطبيعيّة، لا الفاعل المختار، الذي هو محيط بكلّ شيء، ويفعل ما يشاء، مع أنّ جعل المعجزة وخارق العادة من عالم الطبيعة ممنوع، بل هما من عالم آخر يظهران في ظلمات الأرض، ولم يقدّم دليل على أنّ كلّ ما يظهر في عالم الطبيعة من العالم الآخر لا بدّ أن يكون من الطبيعة، بل الدليل على خلافه، كما سيأتي إن شاء الله تعالى»^(١).

والإنصاف: أنّ هذه المناقشة منه عليه السلام غير برهانيّة، فتبقى مجرد دعوى في قبال دعوى العلامة عليه السلام، ولكنّ المناقشة الأولى التي أفادها تامّة ومتينة، فإنّ لزوم المسانحة بين العلّة والمعلول - كما استفدنا ذلك من بعض أساتذتنا المحقّقين - لا يقتضي أكثر من كون العلّة ذات خصوصيّة مؤثّرة في المعلول، وأمّا ما زاد على ذلك كالإتحاد في المادّة والتجرّد، فلا يقتضيه قانون المسانحة؛ لعدم قيام الدليل عليه.

والخلاصة: فإنّ ما اختاره السيّد صاحب الميزان عليه السلام من كون العلّة وراء الظواهر التكوينية الخارقة للعادة من سنخ العلل الماديّة الطبيعيّة، ولكنّها خفيّة قد أطلع

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١: ١١٧.

عليها المعصوم عليه السلام ، وأخفاها الله عن غيره ، لم ينهض دليل على إثباته .

النظرية الثالثة:

ومفادها: أن العلة الفاعلة وراء الظاهرة التكوينية الخارقة للعادة ، هي: الملائكة ، حيث يستفاد من آيات القرآن الكريم أن الملائكة هم العلل وراء الظواهر التكوينية .

فمثلاً قوله تعالى: ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ ^(١) ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى قد فوّض وأوكل تدبير الأمور إلى الملائكة ، الذين عبّر عنهم بالمدبرات ، ولكن لا بنحو الاستقلال ، كما تقدّم بيان بطلانه ، وإنما بنحو الإفاضة .

والاستدلال بهذه الآية الشريفة يتكئ على ثبوت الإطلاق في لسانها بأن يُقال: إن الآية قد أطلقت وظيفة التدبير بالنسبة للملائكة فيما يتعلّق بكل أمر وجودي ولم تقيّد ذلك ، ممّا يعني أن الملائكة هم العلل وراء تدبير الأمور الوجودية ، ومن جملة الأمور الوجودية والكونية: الظواهر الخارقة للعادة ، فيتحتّم أن تكون العلة من ورائها هم الملائكة .

وأصرح من الآية المتقدمة في الدلالة على المطلوب ، الآيات التي تحدّثت عن سيّدتنا مريم عليها السلام ، حيث قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَفِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ ^(٢) ، فإنّ المستفاد منها أن تحقّق عيسى بن مريم عليه السلام في عالم الوجود

(١) النازعات ٧٩: ٥ .

(٢) مريم ١٩: ١٦ - ١٩ .

بالشكل الإعجازي ، إنما كان عن طريق الملك ، ممّا يؤكّد كونه العلّة وراء هذه الظاهرة الكونية .

وهذه النظرية بهذا المقدار لا توجد عليها أيّة ملاحظة ، ولكنّ الشأن في إثبات الإطلاق في دليلها الأوّل ، وإلغاء خصوصيّة المورد في الدليل الثاني ، بحيث يتسنى إثبات أنّ جميع الظواهر الكونية ، سيّما الخارقة للعادة ، ليست هنالك علّة من ورائها إلا الملائكة ، وهو كما ترى .

النظرية الرابعة :

ومفادها : أنّ العلّة الفاعلة وراء الظاهرة الكونية الخارقة للعادة هي : نفس روح المعصوم عليه السلام . فالمعصوم عليه السلام في مقام إيجاد الظاهرة الكونية لا يحتاج إلى توسيط العلل الماديّة الخفيّة ، ولا إلى توسيط الملائكة ، بل المعصوم عليه السلام بنفسه قادر على إيجاد الظاهرة الكونية من غير واسطة ، فيكون هو العلّة بشكل مستقلّ إلا عن مدد الله سبحانه وتعالى .

وتقريب الدليل على هذه النظرية ، بعد أن تبين فساد أدلّة النظريات الثلاث ، أن يقال : إنّ أصل القدرة عند المعصوم عليه السلام على التصرف التكويني ممّا لا سبيل لإنكاره ؛ لقيام الدليل القطعي على ذلك . غاية الأمر : أنّ قدرة المعصوم عليه السلام قدرة مفاضة عليه من قبل الله (سبحانه وتعالى) ومن سنخ قدرته تعالى ، وبما أنّ قدرة الله على إيجاد الأشياء لا تتوقّف على وجود الأسباب والوسائط ، بل يقول للشيء كن فيكون ، فكذلك قدرة المعصوم عليه السلام ، التي هي من سنخ قدرة الله تعالى شأنه ، ممّا يعني أنّ المعصوم عليه السلام قادر على إيجاد الأشياء من غير وسائط وأسباب .

وما ذكرناه لا شبهة فيه بحسب مقام الثبوت ، وإنّما الكلام - إثباتاً - في أنّ المعصوم عليه السلام في مقام إحداث الظاهرة الكونية من خلال سلطنته التكوينية ، هل يستند إلى القدرة المباشرة لديه ؟ أم يلجأ إلى إعمال بعض الأسباب ، كالملائكة

وبعض العلل الطبيعية الخفية ، والتي تكون بمثابة الوسائط بينه وبين الظاهرة الكونية ؟

وأعتقد أن الجواب في غاية الوضوح لمن تأمل ولاحظ لسان الأدلة القرآنية والمعصومية التي تحدثت عن الولاية التكوينية ، سواء على مستوى المفهوم أم على مستوى المصاديق ، فإن الظاهر من لسان النصوص هو: أن المعصوم عليه السلام لا يعمل شيئاً لإحداث الظاهرة التكوينية سوى قدرته التي وهبه الله (سبحانه وتعالى) إياها.

فمثلاً: قوله تعالى: ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ... ﴾ ^(١) إذا تأملنا في المفردات التي اشتمل عليها: ﴿ أَخْلُقُ ﴾ ، ﴿ فَأَنْفُخُ ﴾ ، ﴿ أُبْرِئُ ﴾ ، ﴿ أُخِي ﴾ ، ولاحظنا كيفية إصرار القرآن الكريم ، وفي آية واحدة ، على نسبة الفعل إلى نبي الله عيسى عليه السلام ، سنظمن بأن التصرفات المذكورة قد صدرت عنه بالمباشرة ، ومن غير توسط أسباب ووسائط ، ويتأكد هذا الظهور مع ما ثبت لدينا أنفاً من بطلان أدلة النظريات الثلاث.

وكذلك عندما نعطف النظر على الروايات أيضاً ، فإننا سنخرج بنفس النتيجة ، فمثلاً: لو رجعنا إلى معتبرة أبي بصير عليه السلام ، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام وقلتُ لهما: أنتما ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال: نعم.

قلتُ: فرسول الله وارث الأنبياء ؟ عَلِمَ كُلُّ مَا عَلِمُوا ؟ قال لي: نعم.

فقلت: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى ، وتبرؤا الأكمه والأبرص ؟ قال: نعم ، بإذن الله . ثم قال لي: ادنُ مني يا أبا محمد ، فمسح يده على عيني ووجهي ،

وأبصرتُ الشمسَ ، والسَّمَاءَ ، والأَرْضَ ، والبيوتَ ، وكُلُّ شيءٍ في الدارِ . قال :
أَتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ هَكَذَا ، وَلَكَ مَا لِلنَّاسِ ، وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَوْ تَعُودَ كَمَا
كَنتَ ، وَلَكَ الْجَنَّةُ خَالِصاً ؟

قلتُ : أَعُوذُ كَمَا كُنتُ . قال : فَمَسَحَ عَلَى عَيْنِي ، فَعَدْتُ كَمَا كُنتُ .

قال عليٌّ : فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ أَبِي عَمِيرٍ ، قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا حَقٌّ ، كَمَا أَنَّ النَّهَارَ
حَقٌّ ^(١) .

وبعد الرجوع إليها ، لو تدبّرنا في فقراتها : « فَمَسَحَ يَدُهُ عَلَى عَيْنِي وَوَجَّهَنِي ،
وَأَبْصَرْتُ الشَّمْسَ » ، وكذلك : « فَمَسَحَ عَلَى عَيْنِي ، فَعَدْتُ كَمَا كُنتُ » ، فسوف يتحقّق
لدينا الاطمئنان بأنّ الإمام عليه السلام قد أحدث تلك الظاهرة الكونيّة بنفسه ، ومن غير
وسائط بينه وبينها ، سيّما مع عدم قيام الدليل على توسّط شيء منها ، وليس يصحّ
الخروج عن أمثال هذه الظهورات إلّا بما هو أقوى ظهوراً منها من الأدلّة .

وختلاصة الكلام في هذا البحث :

أولاً : إنّ ظاهرة الولاية التكوينية ، كغيرها من الظواهر الكونيّة ، من جملة
مظاهر قانون العلّيّة وصغرياته ، وليست خرقاً له .

ثانياً : إنّ العلّة الفاعلة وراء الظاهرة الكونيّة الخارقة للعادة ، على ضوء قانون
العلّيّة والسببيّة ، هي روح المعصوم عليه السلام وقدرته ، من غير حاجة إلى توسّط
الأسباب بينه وبين الحدث التكويني .

(١) بصائر الدرجات : ٦ : ٢٨٩ ، الباب ٣ ، الحديث ١ .



البحث الرابع

العلاقة الطردية بين

العلم و الطاعة و الولاية التكوينية

بعد أن أثبتنا في البحث السابق: أنَّ المعصوم عليه السلام بنفسه ويقدرته المستمدة من القادر تعالى ، هو العلة الفاعلية للولاية التكوينية ، يقع البحث حول الشرط الذي تتم به فاعلية الفاعل ^(١).

والمستفاد من الآيات القرآنية الكريمة والروايات الشريفة: أنَّ فعلية الولاية التكوينية لها شرطان على نحو منع الخلو:

الشرط الأول: العلم.

ويعني هذا الشرط أنَّ كلَّ مَنْ ملك العلم بشيء يملك السيطرة عليه ، فمن ملك العلم بعالم الملك والملكوت كما هو الحال بالنسبة للسادة المعصومين عليهم السلام كانت

(١) تنقح لدينا من خلال البحث السابق: أنَّ الفاعل للولاية التكوينية ، والعلة المحدثة للحدث التكويني هي: نفس المعصوم عليه السلام ، وهنا يقع البحث حول الشرط الذي به تتم فاعلية الفاعل ، والذي يعبر عنه في علم الحكمة: بشرط المقتضي ، أو شرط الفاعل .
والذي يقتضيه الدليل: أنَّ الشرط الذي تتم به فاعلية الفاعل للولاية التكوينية - كما سيُتضح - هو: العلم ، أو الطاعة والقرب ، وعليه: فالفاعل للولاية التكوينية نظير: النَّار بالنسبة للإحراق ، والعلم الذي هو شرط المقتضي نظير: اقتراب الجسم القابل للاحتراق - كالورقة - من النَّار التي هي علة للإحراق ، فكما أنَّ النَّار من غير اقترابها من الجسم ، أو اقتراب الجسم منها ، لا يمكن أن يتحقق منها الإحراق ، كذلك صاحب الولاية التكوينية ، فإنه من غير العلم أو الطاعة المقربة لا يمكن أن تتحقق آثار ولايته .

له السيطرة على كلا العالمين .

ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال ثلاثة أدلة :

الدليل الأول : القرآن الكريم .

بتقريب : أنَّ الظاهر من الآيات القرآنية أنَّ الولاية التكوينية إنما أعطيت لبعض الأشخاص دون غيرهم ، لوجود العلم عندهم ، ويمكن استفادة ذلك من عدة آيات قرآنية ، منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ^(١) .

فإنَّ هذه الآية الشريفة عندما تحدّثت عن أحد أصحاب الولاية التكوينية وهو آصف بن برخيا ، وصفته بأنَّ لديه علماً من الكتاب ، فقالت : ﴿ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ ، وهذا الوصف يشعر بأنَّ العلم هو علة قدرة صاحبه وسيطرته على الكونيات ، طبقاً للقاعدة البلاغية القائلة : إنَّ « الإسناد للوصف مشعر بالعلية » ^(٢) ؛ إذ على ضوء هذه القاعدة نستفيد أنَّ العلم دخیل في القدرة والولاية التكوينية .

٢ - قوله تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ

(١) النمل ٢٧ : ٣٨ - ٤٠ .

(٢) أشار البلاغيون لهذه القاعدة إشارة عابرة في مبحث : الفصل والوصل من علم المعاني ، عند تعرّضهم لبيان أقسام الاستثناف ، وبحثهم حول أبلغية الاستثناف المبني على صفة ما استثنى عنه . فلاحظ ما أفاده التفتازاني في كلا شرحيه الشهيرين على تلخيص المفتاح : المطوّل : ٤٥٠ ، والمختصر : ١٥٣ .

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿١﴾.

فإنَّ الظاهر من هذه الآية أيضاً: أنَّ اختراق السماوات والأرضين ، والذي هو عبارة عن مظهر من مظاهر الولاية التكوينية ، لا يتم إلا بسلطان ، بناءً على أنَّ المراد من السلطان في مثل المقام هو: العلم أو البرهان والحجة ، اللذان هما أمران علميان - كما احتمل ذلك العلامة الطباطبائي رحمته (٢) - وهذا يعني أنَّ العلم دخيل في امتلاك القدرة على التصرف في الظواهر الكونية ، إيجاباً وإعداداً.

٣ - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ ﴾ (٣) ، وهو ظاهر في أنه من خلال القرآن الكريم يمكن تسيير الجبال ، وتقطيع الأرض ، والتكلم مع الموتى ، وهذه ظواهر كونية لا تتحقق إلا لمن كان صاحب سلطة تكوينية على عالم الوجود.

وقد جاء في الرواية عن الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام تفسيراً لهذه الآية المباركة أنه قال: « إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ ﴾ » ، ثم قال: « وَقَدْ وَرَّثْنَا نَحْنُ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي فِيهِ مَا تُسِيرُ بِهِ الْجِبَالُ، وَتُقَطِّعُ بِهِ الْبُلْدَانُ، وَتُخَيَّا بِهِ الْمَوْتُ ﴾ » (٤).

وظاهر كلام الإمام عليه السلام: أنَّ الأمر الذي يتم من خلاله إحياء الموتى ، وتسيير الجبال هو أمر علمي مستفاد من القرآن الكريم.

٤ - قوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ

(١) الرحمن ٥٥: ٣٣.

(٢) تفسير الميزان: ١٩: ١٠٧.

(٣) الرعد ١٣: ٣١.

(٤) الكافي: ١: ٢٢٦.

وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١﴾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَفَقَّهُمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٢).

والذي تشعر به الآيتان الكريمتان هو التركيز على وجود ثمة علاقة وربط بين علم سليمان عليه السلام بمنطق الطير وكون الطير داخلًا تحت هيمنته وسلطته.

والحاصل: من مجموع هذه الآيات القرآنية، والتي تتفاوت في قوة ظهور دلالتها على المطلوب، أن شرط فاعلية فاعل الولاية التكوينية هو العلم، وهذا يعني وجود علاقة واضحة بين زيادة العلم الإلهي عند الإنسان واتساع دائرة قدرته وولايته التكوينية.

ومن هنا أصبح المعصومون عليه السلام هم الأجلى الأتم للولاية التكوينية؛ لأن سعة العلم عندهم ليست عند غيرهم، وأصبح غيرهم أضيق حدوداً في دائرة ولايته التكوينية؛ إذ بمقدار العلم المُفاض تتسع دائرة الولاية التكوينية وتضيق.

الدليل الثاني: النصوص الروائية.

فمنها:

١ - ما رواه في بصائر الدرجات، عن محمد بن عبد الجبار، عن أبي عبد الله البرقي، عن فضالة بن أيوب، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما، وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف، وكان مع إبراهيم ستة أحرف، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً،

(١) النمل: ٢٧ و ١٦ و ١٧.

(٢) الأنبياء: ٢١ و ٧٩.

وكان مع نوح ثمانية ، وجمع ذلك كله لرسول الله ﷺ ^(١).

وتؤيد هذه الرواية المعتبرة عدة روايات أخرى:

٢- ما رواه ثقة الإسلام الكليني: عن الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى ابن محمد ، عن أحمد بن محمد بن عبد الله ، عن علي بن محمد النوفلي ، عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام ، قال: «سمعتَه يقول: اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفًا، كَانَ عِنْدَ أَصَفَ حَرْفٌ، فَتَكَلَّمَ بِهِ، فَانْخَرَقَتْ لَهُ الْأَرْضُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَبَأَ، فَتَنَاولَ عَرْشَ بَلْقِيسَ حَتَّى صَبَرَهُ إِلَى سُلَيْمَانَ، ثُمَّ انْبَسَطَتِ الْأَرْضُ فِي أَقْلٍ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَعِنْدَنَا مِنْهُ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ حَرْفًا، وَحَرْفٌ عِنْدَ اللَّهِ مُسْتَأْتَرٌ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ» ^(٢). وهي صريحة في أن علم أصف بن برخيا بالاسم الأعظم كان موجباً لفعلية سلطته التكوينية على حدود الزمان والمكان.

٣- ما عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال: «يا سليمان ويا جندب ، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال عليه السلام: لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجل وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كله. قلنا: يا أمير المؤمنين ، ما الذي أعطاكم؟ ما هو أعظم وأجل من هذا كله؟ قال: قد أعطانا ربنا عز وجل عِلْمَنَا لِلْأَسْمِ الْأَعْظَمِ ، الذي لو شئنا خرق السماوات والأرض ، والجنة والنار ، ونعرج به إلى السماء ، ونهبط به إلى الأرض ، ونغرب ونشرق ، وننتهي به إلى العرش فنجلس عليه بين يدي الله (عز وجل) ، ويطيعنا

(١) بصائر الدرجات: الجزء ٤ ، الباب ١٢ ، الحديث ٤. وسند الرواية معتبر؛ إذ يرونها

صاحب البصائر وهو الثقة الثبت ، عن محمد بن عبد الجبار ، وهو: الشيباني الثقة ، عن أبي عبد الله البرقي ، وهو محمد بن خالد بن عبد الرحمن الثقة ، عن فضالة بن أيوب ، وهو الأزدي الثقة ، عن عبد الصمد بن بشير ، وهو العرامي العبدي ، الذي قيل في حقه: ثقة ثقة.

(٢) الكافي: ١: ٢٨٨ ، كتاب الحجّة - الباب ٣٦ ، الحديث ٣.

كُلَّ شَيْءٍ ، حَتَّى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالْجِبَالِ وَالشَّجَرِ
وَالدُّوَابِّ وَالْبَحَارِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

أَعْطَانَا اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالْأَسْمِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي عَلَّمَنَا وَخَصَّنَا بِهِ ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ نَأْكُلُ
وَنَشْرَبُ ، وَنَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ، وَنَعْمَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ بِأَمْرِ رَبِّنَا ، وَنَحْنُ عِبَادُ اللَّهِ
الْمُكْرَمُونَ ، الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»^(١) .

٤- مَا جَاءَ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ اسْمَهُ الْأَعْظَمَ عَلَى
ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ حَرْفًا .. وَأُعْطِيَ عِيسَى مِنْهَا حَرْفَيْنِ ، وَكَانَ يَحْيَى بِهِمَا الْمَوْتَى ، وَيَبْرِئُ
بِهِمَا الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَأُعْطِيَ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ حَرْفًا»^(٢) .

وهذه الرواية أيضاً كسابقاتها ، صريحة في أَنَّ الْعِلْمَ هُوَ شَرْطُ فَعْلِيَّةِ الْوَلَايَةِ
التَّكْوِينِيَّةِ ، وَكَأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى - لِكثْرَةِ تَرْكِيزِ الرِّوَايَاتِ عَلَيْهِ - قَدْ أَصْبَحَ مَرْتَكِزاً فِي
أَذْهَانِ أَصْحَابِ الْمَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، وَلِذَلِكَ عِنْدَمَا دَخَلَ أَبُو بَصِيرٍ عَلَى الْإِمَامَيْنِ
الصَّادِقَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) - كَمَا فِي الرِّوَايَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَنْهُ بِسَنَدٍ مُعْتَبَرٍ - قَالَ : «قُلْتُ لَهُمَا : أَنْتُمَا
وَرِثَةُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قلت : فرسول الله وارث الأنبياء ؟ عَلِمَ كُلُّ مَا عَلِمُوا ؟ قَالَ لِي : نَعَمْ .
فقلت : أنتم تقدرون على أَنْ تحيوا الموتى ، وتبرؤا الأكمه والأبرص ؟
قال : نعم ، يَا ذَنُ اللَّهِ .

ثُمَّ قَالَ لِي : ادْنُ مِنِّي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى عَيْنِي وَوَجْهِي ، وَأَبْصَرْتُ
الشَّمْسَ ، وَالسَّمَاءَ ، وَالْأَرْضَ ، وَالْبَيْوتَ ، وَكُلَّ شَيْءٍ فِي الدَّارِ»^(٣) .
إِذِ الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ تَفْرِيعِ أَبِي بَصِيرٍ سُؤَالَهُ عَنِ الْقُدْرَةِ عَلَى سُؤَالِهِ عَنِ الْعِلْمِ ،

(١) بحار الأنوار : ٤ : ٢١١ .

(٢) بصائر الدرجات : ٢٨٨ .

(٣) بصائر الدرجات : ٢٨٩ ، الباب ٣ ، الحديث ١ .

هو: وجود الارتكاز لديه بأن العلم الإلهي متى ما توفر فقد تحقق شرط اقتضاء الولاية التكوينية.

الدليل الثالث: الوجدان.

وتقريبه: أن الواقع الوجداني شاهد على أن الولاية التكوينية ذات ارتباط وثيق بالعلم والمعرفة المتعلقة بالمولى عليه، ولنا أن نبين هذا المعنى - كما استفدناه من كلمات بعض الأساتيد - بمثالين:

المثال الأول: السيطرة على عالم الفضاء؛ إذ قبل التطور العلمي لم يكن الإنسان صاحب سيطرة وهيمنة على عالم الفضاء، ولكنه بعد تطور العلم استطاع إخضاع الفضاء لهيمنته وسيطرته في الجملة.

المثال الثاني: السيطرة على عالم الأجنة، فإن العارف بعلم الأجنة في زماننا المعاصر يستطيع من خلال معرفته أن يسيطر ويتحكم في صفات الجنين وهو في بطن أمه في الجملة.

والخلاصة: فإن العلم له نحو من الدخول في تحقق الولاية التكوينية عند صاحبه، وإذا كان العلم البسيط يوجب للإنسان نوعاً من السيطرة والهيمنة على متعلقه، فكيف بالعلم الموجود عند محمد وآله عليهم السلام، وهو: العلم الذي لا حد له إلا أنه لا حد له، وبمقداره كانت ولايتهم على الكائنات، فكانت شاملة لجميع العوالم؛ لإحاطتهم العلمية بجميعها.

الشرط الثاني: الطاعة والقرب.

وتشهد لدخالة هذا الشرط الروايات المستفيضة الدالة على أنَّ طاعة الله تعالى والموجبة للقرب منه، ترتقي بصاحبها إلى درجة القيمومة على الغير، أو القدرة على التدبير والتصرف في بقية الموجودات بعضاً أو كلاً، والتي قد يُعبر عنها في لسان اللغة العربية بالربوبية^(١)، كما يشير إلى ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «العبودية جوهرة كنهها الربوبية»^(٢).

ومن تلك الروايات معتبرة أبان بن تغلب، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قدسي عن الله عز وجل: «ما يتقرب إليَّ عبد من عبادي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إليَّ بنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها. إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته»^(٣).

ومنها: ما رواه حماد بن بشير، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ أَرْصَدَ لِمُحَارِبَتِي، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ

(١) وجدير بالذكر أنَّ القرآن الكريم قد استخدم نفس اللفظ للتعبير عن تلك الرتبة، حيث قال على لسان يوسف عليه السلام معبراً عن حاكم مصر: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ يوسف ١٢: ٢٣.

(٢) مصباح الشريعة: ٧.

(٣) الكافي: ٢: ٣٥٤، وقد رواه الشيخ الكليني (طابت نفسه) عن عدة من الأصحاب، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن أبي سعيد القمّاط، عن أبان بن تغلب، وكلّ مفردات هذا السند لا شائبة تشوب وثاقها.

بِشْيءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أُحِبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، إِنْ دَعَانِي أُحِبُّهُ، وَإِنْ سَأَلَنِي أُعْطِيْتُهُ»^(١).

ومنها: ما عن حنّان بن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله: ما تحبب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضته عليه، وإنه ليتحبب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إذا دعاني أحبته، وإذا سألني أعطيته»^(٢).

وفي الحديث القدسي: «يا بن آدم، أنا حيّ لا أموت، أطعني فيما أمرتك، أجعلك حياً لا تموت.

يا بن آدم، أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني فيما أمرتك، أجعلك تقول للشيء كن فيكون»^(٣).

وجاء في الحديث القدسي أيضاً: «عبدي أطعني أجعلك مثلي، أنا حيّ لا أموت أجعلك حياً لا تموت، أنا غني لا أفقر أجعلك غنياً لا تفتقر، أنا مهما أشاء يكون أجعلك مهما تشاء يكون»^(٤).

وفي الحديث القدسي أيضاً: «إنّ الله عبداً أطاعوه فيما أراد فأطاعهم فيما أرادوا، يقولون للشيء كن فيكون»^(٥).

(١) الكافي: ٢: ٣٥٢.

(٢) المحاسن: ١: ٢٩١.

(٣) مستدرک الوسائل: ١١: ٢٥٨.

(٤) و(٥) الجواهر السنّة: ٣٦١.

وفي الحديث القدسي أيضاً: «يا بن آدم، أنا غني لا أفقر، أطعني فيما أمرتك أجعلك غنياً لا تفتقر».

يا بن آدم، أنا حي لا أموت، أطعني فيما أمرتك أجعلك حياً لا تموت، أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون»^(١).

وفي الحديث القدسي أيضاً: «عبدني أطعني حتى أجعلك مثلي، أقول للشيء كن فيكون، وتقول للشيء كن فيكون»^(٢).

والمتحصّل من مجموع هذه الأحاديث: أن طاعة الله سبحانه وتعالى موجبة للتقرب منه، والقرب منه يقتضي أن يكون العبد كالرب - مع الفارق بينهما - في القدرة على التصرف في الكائنات، تفضلاً من الله سبحانه وتعالى، ويحلو للبعض أن يقرب هذا المعنى بمثال حسّي، وهو عبارة عن الحديدية المحمية بالنار، فإنها كلما زادت قرباً من النار واشتعالاً بها اكتسبت خصائصها وأثارها، وفعلت فعلها، مع أنها ليست بنار، وهكذا كلما استشرقت النفس بنور الله تعالى واستضاءت به، وتخلّقت بأخلاقه، وتأدّبت بأدابه، كانت لها القدرة على التأثير والتصرف بإمداد الله تعالى.

ومما ذكرناه يتّضح أيضاً: أن القدرة على التصرف التكويني تتفاوت تبعاً لتفاوت مستوى القرب؛ إذ كلما كان العبد أكثر انقياداً وطاعة لربه تعالى كان أشدّ قرباً، وكلما كان أشدّ قرباً كان أقوى تأثيراً.

(١) الجواهر السنية: ٣٦٣.

(٢) شجرة طوبى: ١: ٣٣.



البحث الخامس

حدود دائرة الولاية التكوينية

وهذا البحث يقع في جهتين:
الجهة الأولى: جهة المتعلق.
الجهة الثانية: جهة الزمان.

الجهة الأولى: جهة المتعلق

والبحث في هذه الجهة يدور حول: سعة الولاية التكوينية من ناحية المتعلق الذي تتعلق به، بمعنى أن محور البحث هو: هل أن الولاية التكوينية تشمل كل المتعلقات الكونية والخارجية؟ أم تشمل بعض المتعلقات الوجودية دون بعضها الآخر؟ وبعبارة أخرى: هل يمكن أن تتعلق الولاية التكوينية بكل أمر وجودي في الكون، إحداثاً وإعداماً، أم لا؟

وتحقيق المطلب يتم ببيان نقطتين:

النقطة الأولى: بيان الأدلة الدالة على ضيق المتعلق.

قد يستدل على ضيق حدود دائرة الولاية التكوينية من ناحية المتعلق بقوله تبارك تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(١).

بتقريب: أُنْ قوله: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ صريح في طلب النبي سليمان عليه السلام عدم إعطاء الملك الذي أعطيه لأحد من بعده، ولازم ذلك أن تكون ولاية محمد وآل محمد عليه السلام التكوينية في دائرة أضيق من الدائرة التي كان عليها ملك النبي سليمان عليه السلام وسلطته، وهذا يعني أن متعلق الولاية التكوينية عند الأئمة عليهم السلام لا يشمل جميع الأمور الوجودية، وإلا للزم أن تكون سلطتهم على الكون أوسع من سلطنة سليمان عليه السلام، وهو ما نفاه القرآن.

ولكن يلاحظ على هذا الاستدلال:

أُنْ المقصود من البعدية في الآية المباركة: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ إمّا البعدية الزمانية، وإمّا البعدية الرتبية.

أما البعدية الزمانية: فهي بمعنى: أن كل من يأتي من بعد النبي سليمان عليه السلام بحسب التسلسل الزمني، لا يتيسر له أن يصل إلى ملكه.

وأما البعدية الرتبية: فهي بمعنى أن هذه الرتبة من الملك والولاية، لا يتيسر لمن هو أدنى مرتبة وفضلاً من النبي سليمان عليه السلام.

فإن كان المقصود من البعدية في الآية، هي: البعدية الرتبية، فالآية لا تشمل محمداً وآل محمد عليه السلام؛ لأنهم فوقه في الرتبة، كما سيأتي بيانه مبرهنات في البحث السادس، فتكون الآية -حيث- لا دلالة لها على المطلوب من هذه الناحية.

وإن كان المقصود من البعدية: البعدية الزمانية، فولاية آل محمد عليه السلام الكلية كانت قبل ولاية النبي سليمان عليه السلام وسلطته بحسب التسلسل الزمني، وهذا ما تؤكد الأحاديث الكثيرة التي ذكرها في طي البحث اللاحق، والتي تؤكد على أن النبوة ما تكاملت لنبي إلا بعد الإقرار بولايتهم عليه السلام، مما يعني أن ولاية آل محمد عليه السلام متقدمة على ولاية سليمان عليه السلام زماناً، كما هي متقدمة رتبة، وإذا كانت ولايتهم التكوينية متقدمة كذلك، فإنها لا تكون مشمولة لدعاء النبي سليمان عليه السلام.

وعليه: فسواء كان المراد من البعدية: البعدية الرتبية، أو البعدية الزمانية، فإن الآية لا تشمل ولاية محمد وآل محمد ﷺ؛ لأنها متقدمة على ولاية سليمان رتبة وزماناً^(١).

والذي يؤكد ما ذكرناه من ضيق دائرة ولاية سليمان ﷺ بالنسبة إلى حدود دائرة الولاية عند المعصومين ﷺ: أن القرآن الكريم في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ بعد أن انتهى من بيان طلب سليمان ﷺ شرع في بيان حدود ملك النبي سليمان ﷺ، فقال: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتَنِ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢)، فركّز على بيان مظهرين لملك النبي سليمان ﷺ وسلطته، وهما:

المظهر الأول: السلطنة على الرياح، بحيث كان سليمان ﷺ يجلس على الريح، وهي كانت تقله من مكان إلى آخر، بل كان يأمرها فكانت تتحرك خضوعاً لأمره كيفما أراد، وهذا كان مظهراً من مظاهر سلطته وملكه الذي لا ينبغي لأحد من بعده.

المظهر الثاني: السلطنة على الجنّ والشياطين.

فغاية ما ذكره القرآن الكريم لنبي الله سليمان ﷺ من الملك، هو عبارة عن سلطته على الرياح، وسلطته على الشياطين والجنّ، مضافاً إلى سلطته على

(١) واحتمل بعض أساتذتنا (دام علاه) أن الملكية التي تعلق بنفيها دعاء النبي سليمان ﷺ هي الملكية العرضية، بينما الملكية والسلطنة التكوينية عند أهل البيت ﷺ من مقتضيات ذواتهم المقدسة ﷺ، فهي ملكية ذاتية، وبهذا لا يشملها طلب النبي سليمان ﷺ، وهو احتمال وجيه.

(٢) ص ٣٨: ٣٦ - ٣٩.

الطير وبعض الحيوانات ، كما يستفاد من آيات أخرى ، وعند المقارنة بين هذا الملك والملك الذي أُعطي لمحمد وآل محمد ﷺ ، سنكتشف أن ملك النبي سليمان ﷺ لا يضاهي جزء ملكهم ﷺ ، وهذا ما نطقت به الكثير من النصوص الواردة عنهم ﷺ :

فمنها: ما روي عن الإمام الكاظم ﷺ ، قال: « قد والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يوت سليمان ، وما لم يوت أحد من العالمين ، قال الله عز وجل في قصة سليمان: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتِنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، وقال عز وجل في قصة محمد ﷺ: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ^(١) ، ^(٢) .

ومنها: ما عن زيد الشحام ، قال: سألت أبا عبد الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتِنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، قال: « أُعطي سليمان ملكاً عظيماً ، ثم جرت هذه الآية في رسول الله ﷺ ، وكان له أن يعطي ما يشاء من يشاء ، ويمنع من يشاء ، وأعطاه الله أفضل مما أعطى سليمان ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ^(٣) .

ومنها: ما روي عن سلمان الفارسي ﷺ ، قال: « كنّا جلوساً عند أمير المؤمنين ﷺ بمنزله لما بويع عمر بن الخطاب ، قال: كنت أنا والحسن والحسين ﷺ ومحمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود الكندي (رضي الله عنهم) ، قال ابنه الحسن ﷺ: يا أمير المؤمنين ، إن سليمان سأل ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فأعطاه ذلك ، فهل ملكت مما ملك سليمان بن داود ﷺ ؟

(١) الحشر ٥٩: ٧ .

(٢) تفسير البرهان: ٦: ٤٨٠ .

(٣) تفسير البرهان: ٦: ٤٨٣ .

فقال ﷺ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إن سليمان بن داود سأل الله عز وجل الملك وأعطاه، وإن أباك ملك ما لم يملكه بعد جدك رسول الله ﷺ أحد قبله، ولا يملكه أحد بعده.

فقال له الحسن ﷺ: نريد أن ترينا ﷺ مِمَّا فَضَّلَكَ اللهُ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ؟

فقال ﷺ: أَفَعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ...

فقال الحسن ﷺ: يا أمير المؤمنين، إن سليمان بن داود ﷺ كان مطاعاً بخاتمه، وأمير المؤمنين بماذا يُطاع؟

فقال ﷺ: أنا عين الله في أرضه، أنا لسان الله الناطق في خلقه، أنا نور الله الذي لا يُطفأ، أنا باب الله الذي يُؤتى منه، وَحَجَّتْهُ عَلَى عِبَادِهِ»^(١).

ومن هنا وصف القرآن الكريم ملك آل محمد ﷺ بالملك العظيم، ولم يصف ملك النبي سليمان ﷺ بذلك، حيث تحدّث عن ملكه بقوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي﴾، بينما تحدّث عن ملك آل محمد ﷺ بقوله: ﴿أَمْ يَخْشَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٢)، وقد استفاضت الروايات بأن آل إبراهيم في الآية المباركة يراد بهم المعصومون الأربعة عشر ﷺ، والكثير منها معتبر السند، فلترجع^(٣).

وكل هذه الروايات تؤكد ما أوضحناه من: أن ما طلبه النبي سليمان ﷺ لا يشمل محمداً وآل محمد ﷺ؛ لخروجهم تخصّصاً عن موضوع طلبه؛ إذ عرفت بأن موضوع طلبه هو: عدم تيسر سلطنة كسلطنته لأحد من بعده، بينما

(١) تفسير البرهان: ٦: ٤٨٣.

(٢) النساء: ٤: ٥٤.

(٣) بصائر الدرجات: ٥٥ (باب في أئمة آل محمد ﷺ، وأن الله تعالى أوجب طاعتهم ومودّتهم، وهم المحسودون على ما آتاهم الله من فضله).

سلطنة آل محمد ﷺ وولايتهم متقدمة رتبةً وزماناً على ولايته وسلطته ، ممّا يعني أنّ الآية الشريفة لا دلالة لها على ضيق متعلّق وولايتهم التكوينية ﷺ .

النقطة الثانية: بيان الأدلة الدالة على سعة المتعلّق.

والأدلة التي يمكن الاستدلال بها على سعة متعلّق وولايتهم ﷺ عبارة عن الروايات الواردة عنهم ﷺ ، والتي تؤكد على سعة متعلّق الولاية التكوينية ، وإليك بعض هذه الروايات:

منها: ما عن أبي جعفر عليه السلام: « إِنَّ اللَّهَ أَقْدَرْنَا عَلَى مَا نُرِيدُ ، فَلَوْ شِئْنَا أَنْ نَسُوقَ الْأَرْضَ بِأَزْمَتِهَا لَسَقْنَاهَا »^(١).

ومنها: ما عن سماعة بن مهران ، قال: « قال أبو عبد الله عليه السلام: إِنَّ الدُّنْيَا تَمَثَّلُ لِلْإِمَامِ فِي فَلَقَةِ الْجُوزِ ، فَمَا تَعْرُضُ لشيءٍ منها ، وإنّه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء ، فلا يعزب عنه منها شيء »^(٢).

ومنها: ما جاء عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: « وروح القدس ثابت ، يرى به ما في شرق الأرض وغربها ، وبرّها وبحرها .

قلت: جعلتُ فداك ، يتناول الإمام ما ببغداد بيده ؟

قال: نعم ، وما دون العرش »^(٣).

ومنها: ما عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه لحبّابة الوالبيّة:

« وَالْإِمَامُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ يُرِيدُهُ »^(٤).

(١) بحار الأنوار: ٤٦ : ٢٤٠ ، الحديث ٢٣ .

(٢) بصائر الدرجات: الجزء ٨ ، الباب ١٤ .

(٣) بحار الأنوار: ١٧ : ١٠٦ ، الحديث ١٦ .

(٤) الكافي - كتاب الحجّة: الباب ٨١ ، الحديث ٣ .

والمستفاد من مجموع هذه الروايات ، ومثلها كثير : أنَّ ولاية آل محمد ﷺ من جهة المتعلق في غاية السعة ، ولكن تبقى هذه السعة في حدود عبوديتهم لله تعالى ، وفقرهم إلى غناه ، وفنائهم في مطاوي ربوبيته .

الجهة الثانية: جهة الزمان

والبحث في هذه الجهة يقع في نقطتين:

النقطة الأولى: فعلية الولاية التكوينية وإطلاقها.

ويدور البحث فيها حول: أن الولاية التكوينية، هل هي ولاية فعلية مطلقة؟ أم هي ولاية مقيدة محدودة؟ فإن الولاية التكوينية إن كان يتسع لها فعل المعصوم عليه السلام في كل آن من آنات الزمان، فهي ولاية فعلية، وإن كان لا يتسع لها فعل المعصوم عليه السلام إلا في بعض الأنات الزمانية فقط، فهي ولاية مقيدة.

وعلى كلا التصويرين تختلف حدود دائرة الولاية التكوينية سعة وضيقاً من ناحية الفعل؛ إذ على القول بأن الولاية التكوينية ولاية فعلية، يلزم أن تكون دائرة الولاية التكوينية واسعة الحدود بالمستوى الذي لا يعجز فيه المعصوم عليه السلام عن شيء، في مختلف الأوقات والأزمان، وأما على القول بأن الولاية التكوينية ولاية مقيدة، فلازم ذلك أن تكون الولاية التكوينية ضيقة الحدود.

ويوجد لدينا في المسألة اتجاهان:

الاتجاه الأول:

وهو الذي يرى أن الولاية التكوينية ولاية إشائية، وليست ولاية فعلية، وقد تبني هذا الاتجاه بعض المعاصرين في كتابه: (الإمامة وقيادة المجتمع)، ويمكن الاستدلال على هذا الاتجاه وتأيدته بدليلين:

الدليل الأول: ما أشار إليه بعض المعاصرين - وقد تقدّم بيانه، وتقلّمت

مناقشة الاستدلال:

(٤) الإسراء ١٧ : ٩٤ و ٩٥.

ومن هذا المنطلق ؛ فإنَّ المشركين إنَّما طلبوا تلك الأمور التي عرضتها الآيات من النبي ﷺ ولكن لا بما هو ﷺ من سنخ البشر ، وإنَّما بما هو من غيرهم ، ولذلك فإنَّ النبي ﷺ لم يستجب لهم ، وركَّز على صفة البشريَّة الموجودة لديه ﷺ ، وهذا استفاد من ملاحظة الآية التي تتلو تلك الآيات ، وهي قوله تعالى : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ .

والدليل على وجود ذلك التصور عندهم هو قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَخْشَوْنَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ ، فبيَّن النبي ﷺ خطأ هذا الاعتقاد في قوله تعالى : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ .

وخلاصة الكلام : فإنَّ النبي ﷺ لم يستجب لهم في طلبهم ، ولكن لا لعدم قدرته على ذلك ، وإنَّما لأنَّ استجابته معناها تقريرهم على اعتقادهم الخاطي ، فكان عليه ﷺ أن يبيِّن لهم خطأ اعتقادهم ، وأنَّه ليس يختلف عن البشر ، بل هو رسول من الجنس البشري .

وعليه : فالآية ليست بصدد نفي الولاية التكوينية الفعلية عن النبي الأعظم ﷺ ، وإنَّما هي بصدد إثبات صفة البشريَّة للرسول ﷺ ، وإثبات خطأ المعتقد الذي كان يعتقده المشركون ، وهذا ما يفهم من مجموع الآيات القرآنية ، فلا استدلال بهذه الآيات غير تام .

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ ^(١) ؛ إذ المستفاد من هذه الآية المباركة أنَّ النبي ﷺ لا يتَّسع فعله لكل ما يريد ، بل هو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله له ، وهذا يعني أنَّ

ولايته ﷺ التكوينية ولاية إشائية ، وليست ولاية فعلية .

والجواب عن هذا الدليل :

أَنَّ النَّفْيَ فِي الْآيَةِ : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ يحتمل أن لا يكون نفياً للفعليّة ، وإنّما هو نفي للاستقلاليّة ، بمعنى : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لا يملك لنفسه استقلالاً نفعاً ولا ضرراً ، وإنّما يملك ذلك بمشيئة الله سبحانه وتعالى .

ويستفاد ذلك من كلمات المحقّق الخميني رحمه الله ، حيث يقول : « إِنَّ آيَةَ ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ ^(١) لا تريد أن تنفي المعجزات التي هي آية النبوة ، وآية صدق النبي ، بل هي في صدد إسماع العالمين إحدى آيات التوحيد وقدرة خالق العالم بأن لا أحد يملك القيام بأي عمل على نحو الاستقلال ، ولا يمكن لأحد أن ينقذ شيئاً من نفسه من دون إمداد غيبي واستناد إلى الله ، والأنبياء الذين هم مثل الإنسان الأعلى هم أيضاً لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً .

إذا أرادت الآية - حسب قولكم - أن تقول : إني لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً بأي وجه من الوجوه ، فسوف يكون أقل من الجماد ، وهذا يهزّ أدمغة البشر ، وتبقى آثاره حتّى يوم القيامة ؛ لأنّ الجماد أيضاً له قوّة تماسك تنفعه ، وجميعنا يعلم أنّ الإنسان مهما كان فهو بمعنى يمكنه أن ينفع نفسه بالأعمال الحسنة والأفكار الصحيحة والآراء المتينة ، كما يمكنه أن يضرّ نفسه بالأعمال السيئة والأفكار القبيحة والآراء الفاسدة ^(٢) .

وفي هذا الصدد أيضاً يقول الشهيد الشيخ المطهري رحمه الله : « أمّا ما جاء في بعض آيات القرآن : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ ، فإنّه يعني أنّ الذي يملك أصلاً كلّ نفع وضرر هو الله ، وإنّ قدرتي على نفعي وضرري هي أيضاً من الله وليست من

(١) الأعراف ٧ : ١٨٨ .

(٢) كشف الأسرار : ٧٠ .

عندي ، وإلا فكيف يمكن أن يملك الناس إلى حد ما نفعهم وضررهم ، ثم يكون النبي ﷺ أدنى من أولئك في ذلك»^(١).

وهنا كلام علمي متين لسيدنا العلامة الطباطبائي (أعلى الله مقامه) ينبغي ذكره في المقام لمزيد نفعه ، جاء فيه : « فالكتاب الإلهي وإن كان ناطقاً باختصاص بعض الصفات والأفعال به تعالى ، كالعلم بالمغيبات والإحياء والإماتة والخلق ، كما في قوله : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾^(٢).

وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾^(٣).

وقوله : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾^(٤).

وقوله : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٥) ، ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ ، ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ ﴾^(٦).

﴿ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(٧).

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ﴾^(٨) ، إلى غير ذلك من الآيات .

وانضمام الآيات إلى الآيات لا يدع شكاً في أن المراد بالآيات النافية اختصاص هذه الأمور به تعالى بنحو الأصالة والاستقلال ، والمراد بالآيات المثبتة إمكان

(١) الولاء والولاية : ٥٩ .

(٢) الأنعام ٦ : ٥٩ .

(٣) النجم ٥٣ : ٤٤ .

(٤) الزمر ٣٩ : ٤٢ .

(٥) الزمر ٣٩ : ٦٢ .

(٦) السجدة ٣٢ : ١١ .

(٧) آل عمران ٣ : ٤٩ .

(٨) المائدة ٥ : ١١٠ .

تحققها في غيره تعالى بنحو التبعية وعدم الاستقلال.

فَمَنْ أثبت شيئاً من العلم المكنون أو القدرة الغيبية - أعني العلم من غير طريق الفكر ، والقدرة من غير مجراها العادي الطبيعي - لغيره تعالى من أنبيائه وأوليائه ، كما وقع كثيراً في الأخبار والآثار ، ونفى معه الأصالة والاستقلال ، بأن يكون العلم والقدرة مثلاً له تعالى ، وإنما ظهر ما ظهر منه بالتوسيط ، ووقع ما وقع منه بإفاضته وجوده ، فلا حجر عليه^(١).

عودة على بدء :

وعليه فإذا كان المقصود من النفي في الآية ، هو : نفي الاستقلالية ، فإنها لا ربط لها حيثئذ بمورد الكلام ؛ إذ الآية إنما تنفي عن النبي ﷺ وعن غيره الاستقلال في امتلاك النفع والضرر ، وهذا مسلم عند الجميع بما فيهم القائلون بالولاية التكوينية.

الاتجاه الثاني :

وهو الذي يرى أن الولاية التكوينية ولاية فعلية عند المعصوم عليه السلام ، سواء احتاج إليها أم لا ، فهي موجودة عنده عليه السلام بصورة فعلية دائماً . ويمكن تأييد هذا الاتجاه بثلاثة مؤيدات :

الأول : القرآن الكريم ؛ وذلك في قوله تعالى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٢) ، بتقريب : أن الآية الكريمة ظاهرة في أن الولاية التكوينية التي كانت عند سليمان عليه السلام - من باب الإعجاز - كانت ولاية مطلقة وفعلية ، وهذه الولاية التي كانت عنده عليه السلام أعطاهها الله لمحمد وآل محمد مع الزيادة ، فلزم أن تكون الولاية الموجودة عندهم عليه السلام ولاية فعلية ومطلقة .

(١) تفسير الميزان : ١٠ : ٢١٢ .

(٢) ص ٣٨ : ٣٩ .

الثاني: وهو يبتني على ما نقّحناه في الأبحاث السابقة، من أنّ شرط فاعليّة الفاعل للولاية التكوينية هو: العلم، بمعنى: أنّه متى ما وُجد العلم تحقّقت الولاية التكوينية، وكلّ من ملك العلم بشيء ملك القدرة عليه، وبما أنّ علم محمّد وآل محمّد ﷺ علم فعلي، كما هو مبرهن عليه في محلّه، فولايتهم التكوينية المنبعثة عن ذلك العلم لا بدّ أن تكون ولاية فعلية؛ لأنّها تتحقّق بتحقيقه، فإذا كان هو فعلياً، كانت هي كذلك، سواء احتاجوا إليها أم لم يحتاجوا.

الثالث: الروايات الخاصّة التي مرّ ذكر بعضها، ومنها: الرواية المروية عن أبي جعفر ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَقْدَرْنَا عَلَى مَا نُرِيدُ، وَلَوْ شِئْنَا أَنْ نَسُوقَ الْأَرْضَ بِأَزْمَتِهَا لَسَقْنَاهَا»، فإنّها ظاهرة في أنّ الله (عزّ وجلّ) أعطاهم القدرة الفعلية على التصرف، غاية الأمر أنّهم ﷺ يتصرفون بهذه القدرة متى ما أرادوا.

ومثل هذه الرواية روايات كثيرة، مرّ ذكر بعضها، ويأتيك ذكر البعض الآخر، ومن خلال مجموعها يُستظهر قوياً: أنّ الولاية التكوينية ولاية فعلية مطلقة وليست ولاية مقيدة.

النقطة الثانية: امتداد الولاية التكوينية لعالم البرزخ.

ويدور البحث هنا حول أنّ الولاية التكوينية الموجودة عند محمّد وآله ﷺ هل هي مقصورة على حال حياتهم ﷺ فقط؟ أم أنّها مستمرة معهم حتّى بعد موتهم؟^(١)

(١) جاء في كتاب (الندوة): ١ : ٩١ ما هذا نصّه: «أنا مع السائل فيما يطرح؛ لأنّ هذه الأبحاث هي أبحاث جدليّة، وقد لا تكون فيها فائدة، فسواء كانت لدى النبي ﷺ ولاية تكوينيّة، أم لم تكن فلقد ذهب إلى ربّه، وهو لا يعيش بيننا الآن»، وكلامه ظاهر في أنّ الولاية التكوينية إنّما هي مقتصرة على حال الحياة، وبما أنّ المعصومين ﷺ قد فارقوا»

اختار المحقق الأشثيانى ؓ الثانى ، حيث قال : «إن كان المراد منها -أى : الولاية المطلقة على الآفاق والأنفس - الملكات الثابتة للنبي ﷺ القائمة بنفسه الشريفة ، الموجبة لسلطنة تصرفه فى الآفاق والأنفس ، واستحقاقه الرئاسة الكلية الإلهية ، فإنها باقية لا زوال لها أصلاً ببقاء نفسه المطمئنة فى جميع عوالمه ، وكذا إن كان المراد منها تصرفه الفعلى فى الآفاق والأنفس وولايته على النفوس الخلقية»^(١).

وصرح بذلك السيد السبزواري ؓ حيث ذكر فى مقام بيان جهات التفاضل بين الأنبياء ﷺ : تفاوتهم واختلافهم فى التصرف فى هذا العالم وهم فى عالم البرزخ ، ثم عقب على ذلك بقوله : «وكيف كان ، فإن جميع تلك الجهات موجودة فى نبينا الأعظم ﷺ الذى جعله خاتماً لما سبق ، وفاتحاً على أبواب المعارف على اللاحقين»^(٢).

وجاء فى كلام آخر له ؓ : «فلا شبهة عند كل عاقل أن أهل السعادة والأبرار ممن يتبرك الناس بهم فى حياتهم ، وتلك البركات لا تنقطع بموتهم بل تزداد ، لورودهم إلى معدن الخيرات والبركات ، وانقطاع نفوسهم الشريفة عن عالم الماديات والشهوات ، والعقل يحكم بحسن التماس تلك البركات والسعي فى عدم الحرمان منها»^(٣).

وكذا أفاد سيدنا الأستاذ الروحاني (دام ظلّه الشريف) ، حيث قال : «وعليه : فالروايات المتواترة المتضمنة للمعجزات والكرامات ، الصادرة عن

» الدنيا فلا وجه للبحث عن ولايتهم التكوينية .

(١) بحر الفوائد : ٨ : ٢١٩ .

(٢) مواهب الرحمن : ٤ : ١٨٤ و ١٨٥ .

(٣) مهذب الأحكام : ١٥ : ٣٤ .

المعصومين عليهم السلام، كالتصرف الولائي في الفرش، وصيرورته أسداً مفترساً، وما شاكل، إنما نلتزم بها ونعتقد من غير التزام بالتأويل، كيف! ونرى أنهم عليهم السلام بعد موتهم، تصدر عنهم كرامات من: إبراء المريض الذي عجز الأطباء عن إبرائه، وحل معضلات الأمور، وما شاكل. وليس ذلك إلا لما ذكرناه - أي لثبوت الولاية التكوينية لهم عليهم السلام - ^(١).

وما أفادوه ظاهر في أن الولاية التكوينية من جهة الزمان، كما أنها ثابتة للمعصومين عليهم السلام في عالم الدنيا، كذلك هي ثابتة لهم بعد الموت والانتقال عن عالم المادة.

ويمكن الاستدلال لما أفاده هؤلاء الأعلام (أعلى الله كلمتهم) وتأنيده بثلاثة أمور:

الأمر الأول: لقد ثبت في علم الحكمة: أن النفس البشرية لا علاقة لها بالبدن في مرحلة البقاء، ممّا يعني أن موت البدن لا يعني موت النفس، بل هناك ثمة انفكاك بينهما، فالنفس - حتى وإن لم نقل بالتجريد - لها بقاء وامتداد حتى بعد موت البدن، وتوقفه عن الحركة، وإذا كان الأمر كذلك واقعاً، فنفس الأئمة عليهم السلام باقية بعد موتهم، ومع بقائها فكما كانت لها الولاية التكوينية حال تعلقها بالبدن، كذلك لها الولاية التكوينية بعد انفصالها عن البدن.

وبكلمة مختصرة: إن الولاية التكوينية ثابتة لنفس المعصوم عليه السلام، سواء أثناء تعلقها بالبدن، أو بعد انفصالها عنه.

ولا يقال: إن مجرد ثبوت بقاء نفوسهم الشريفة عليهم السلام بعد الموت لا يستلزم بقاء ولايتهم التكوينية؛ إذ لعلها من شؤون نفوسهم الشريفة بشرط تعلقها

(١) منهاج الفقاهة: ٤: ٢٦٩.

بالبدن.

فإنه يقال: إن النفس هي مالكة القوى والمسيطرة عليها، وليس البدن إلا مجرد آلة قد تستعين بها النفس وقد لا تحتاج إليها؛ ولذلك فإنها تؤثر أحياناً في نفوس الآخرين وأبدانهم، من غير توسط بدنها إطلاقاً، وهذا ما أكد عليه الفلاسفة، وإليك كلام (ابن سينا) حول ما ذكرناه، حيث قال:

«وكثيراً ما تؤثر النفس في بدن آخر، كما تؤثر في بدن نفسها تأثير العين العائنة والوهم العامل، بل النفس إذا كانت قوية شريفة شبيهة بالمبادئ، أطاعها العنصر الذي في العالم وانفعل عنها، ووجد في العنصر ما يتصور فيها؛ وذلك لأن النفس الإنسانية سبب أن منطبعة في المادة التي لها، لكنها منصرفة الهمة إليها.

فإن كان هذا الضرب من التعلق يجعل لها أن تحيل العنصر البدني عن مقتضى طبيعته، فلا بد أن تكون النفس الشريفة القوية جداً تجاوز بتأثيرها ما يختص بها من الأبدان إذا لم يكن انغماسها في الميل إلى ذلك البدن شديداً قوياً، وكانت مع ذلك عالية في طبقتها، قوية في ملكتها جداً، فتكون هذه النفس تبرئ المرضى، وتمرض الأشرار، ويتبعها أن تهدم طبائع، وأن تؤكد طبائع، وأن تستحيل لها العناصر، فيصير غير النار ناراً، وغير الأرض أرضاً، وتحدث بإرادتها أيضاً أمطار وخصب، كما يحدث خسف ووباء»^(١).

ويقول الشيخ المطهري رحمته الله: «الروح في مراحل القوة والقدرة والربوبية والولاية تصل إلى مرحلة تكون فيها في كثير من الحالات غنية عن الجسد، في الوقت الذي يكون فيه الجسد محتاجاً للروح مائة بالمائة.

إن الروح والجسد لا يستغني أحدهما عن الآخر عادة، فحياة الجسد بالروح،

(١) النفس في كتاب الشفاء: ٢٧٤.

والروح صورة الجسد وحافضة له... أما استغناء الروح عن الجسد فيكون في بعض الحالات التي لا تحتاج فيها الروح إلى الجسد.

وهذا الاستغناء قد يكون للحظة، وقد يتكرر، وقد يكون دائماً، وهذا ما يُعرف باسم (التجرد)»^(١).

وبالالتفات لهذه النقطة تنحل إشكالية طلب الحوائج من المعصومين عليهم السلام بعد الموت، والتي ترى أنهم عليهم السلام لا نفع لهم ولا ضرر، فلا يصح طلب الحوائج منهم عليهم السلام؛ إذ بعد الالتزام ببقاء نفوسهم الشريفة يتجه الطلب منها من غير أي محذور.

وهذا ما تنبّه إليه السيّد الخميني رحمته الله في إجابته عن هذه الإشكالية، حيث قال: «نحن نستمدّ من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم السلام المقدّسة، التي منحها الله القدرة، وقد ثبت بالبراهين القطعية والأدلة العلمية المحكمة في الفلسفة العليا أنّ الروح باقية بعد الموت، وإحاطة الأرواح الكاملة بهذا العالم هي بعد الموت أرقى، ويعتقد الفلاسفة باستحالة تلف الروح، وهي من مسلّمات الفلسفة الثابتة من أوّل ظهور الفلسفة لدى العلماء وأعظم الفلاسفة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وتسالمت عليها جميع الملل من اليهود والنصارى والمسلمين، واعتبرتها من ضروريّات أديانها وبديهيّاتها، بل إنّ بقاء الروح وإحاطتها مسلّم عند الفلاسفة الروحيين والإلهيين الأوربيين أيضاً»^(٢).

الأمر الثاني: المستفاد من روايات أهل البيت عليهم السلام: أنّ الموت للمعصومين عليهم السلام إنّما هو من قبيل تبديل الملبس، بمعنى أنهم لبسوا لباس الحياة، ثم لبسوا لباساً

(١) الولاء والولاية: ٨٥.

(٢) كشف الأسرار: ٥٦.

آخر ، وهو لباس الموت والانعقاد من قيود البدن ، مع كونهم أحياء عند ربّهم يرزقون .

وحياتهم بعد الموت أكّدت عليها النصوص ، إمّا بالدلالة المطابقة ، وإمّا بالدلالة الالتزامية .

فمن قبيل الأولى : المقطع الوارد في أدعية الاستئذان ، وهو : « وَأَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَكَ وَخُلَفَاءَكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَحْيَاءُ عِنْدَكَ يُرْزَقُونَ ، يَرَوْنَ مَقَامِي وَيَسْمَعُونَ كَلَامِي » ؛ إذ هو نصّ مطابق في أنّ المعصومين عليهم السلام أحياء بعد موتهم .

ومن قبيل الثانية : النصوص الكثيرة التي أوردها صاحب الكافي وغيره ، والتي تدلّ على أنّ للأئمة عليهم السلام مقام الشاهدية على أعمال الخلق ، بمعنى أنّهم عليهم السلام تعرض عليهم جميع أعمال الخلق ، وهذا يدلّ بالالتزام على أنّهم يعيشون حياتهم بعد موتهم ، وإلا لما صحّ عرض أعمال العباد عليهم عليهم السلام ، وإليك بعض تلك النصوص :

منها : ما أورده الكليني ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « سمعته يقول : ما لكم تسؤون رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ !

فقال رجل : كيف نسوؤه ؟

فقال : أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه ، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك ، فلا تسوؤوا رسول الله وسرّوه » ^(١) .

(١) الكافي - كتاب الحجّة : الباب ٢٩ ، الحديث ٣ ، والرواية حسنة ، وإليك تفصيل الكلام في سندها : إذ يرويه ثقة الإسلام الكليني عن : عليّ بن إبراهيم ، وهو القميّ الثقة ، عن : أبيه إبراهيم بن هاشم ، وهو ممّن لا ينبغي الشكّ في وثاقته ، عن : عثمان بن عيسى ، «

ومنها: ما رواه الكليني رحمه الله عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الوشاء ، قال: «سمعت الرضا عليه السلام يقول: إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أِبْرَارُهَا وَفَجَارُهَا»^(١).

ومنها: ما رواه الشيخ الكليني رحمه الله عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن بريد العجلي ، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٢).

قال: «نحن الأمة الوسط ، ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه»^(٣).

ومع ثبوت الحياة لهم عليهم السلام بعد الموت ، منضمّاً لما ذكرناه قريباً من ثبوت

» وهو الرؤاسي شيخ الواقفية ، الذي وثقة الشيخ في العدة ، والنجاشي في ترجمة (محمد بن الحسن بن أبي سارة)؛ إذ قال: بيت الرؤاسي كلهم ثقات ، عن: سماعة ، وهو سماعة بن مهران ، الذي قيل في حقه: ثقة ، ثقة ، بقرينة رواية عثمان بن عيسى عنه .

(١) الكافي - كتاب الحجّة: الباب ٢٩ ، الحديث ٦ . والرواية صحيحة ؛ إذ يرويه ثقة الإسلام الكليني رحمه الله عن: عدة من أصحابنا ، وأحدهم محمد بن يحيى ، وهو الثقة الثبت أبو جعفر العطار ، بقرينة الراوي والمروي عنه ، عن: أحمد بن محمد ، وهو إمام ابن عيسى ، أو ابن خالد ، وكلاهما ثقة ، وإن كان الأصحّ كونه ابن عيسى ، عن: الوشاء ، وهو الحسن بن علي بن زياد الوشاء ، وقد قيل في حقه: إنه ممّن لا ينبغي الشكّ في وثاقته .

(٢) البقرة ٢: ١٤٣ .

(٣) الكافي - كتاب الحجّة: الباب ٩ ، الحديث ٤ . والرواية حسنة ؛ إذ يرويه ثقة الإسلام الكليني ، عن: علي بن إبراهيم ، عن: أبيه إبراهيم بن هاشم ، وقد تقدّم الكلام حول وثقاتهما قريباً فلا نعيد ، عن: محمد بن أبي عمير ، وهو يتّاع السابري الثقة المعروف ، بقرينة رواية إبراهيم بن هاشم عنه ، عن: ابن أذينة ، وهو عمر بن أذينة الثقة ، عن: بريد العجلي ، وهو بريد بن معاوية البجلي ، الثقة المعروف .

الولاية التكوينية لنفوسهم الشريفة ﷺ لا بشرط من ناحية البدن ، فتثبت ولايتهم التكوينية ﷺ بالضرورة بعد الموت .

الأمر الثالث : الوجدان ؛ إذ لا أدل على الإمكان من الوقوع ، حيث قد ثبتت لهم بالوجدان الولاية التكوينية بعد موتهم ﷺ ، فإن المعاجز والكرامات التي تصدر عند قبورهم ، من إبراء المرضى وغيرها ، دليل على أن الولاية التكوينية ثابتة لهم حتى بعد الموت ، كما نبه على ذلك السيد الأستاذ (دام ظلّه) في كلامه المتقدم .
لا يُقال : لعلّ صدور الأمور الخارقة عند مراقدهم المطهرة ﷺ من جهة كونها بقاعاً مقدّسة لا يحجب فيها الدعاء ، وليس من جهة كونهم مهيمنين على شؤون التكوين .

فإنّه يقال : إنّ التأكيد المكثف في الزيارات والنصوص الماثورة عنهم ﷺ ؛ على ضرورة التوسّل والاستغاثة بهم ، وطلب الحوائج منهم ؛ لكونهم أبواب الله التي منها يؤتى ^(١) ، ممّا ينبّه على كون نفوسهم الشريفة ذات قدرة على التأثير حتى

(١) ومن ذلك ما جاء في (مستدرك الوسائل) : الباب ٢٢ من أبواب بقیة الصلوات المندوبة ، الحديث ٣ ، عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال : « إذا كانت لك حاجة إلى الله ، وضقت بها ذرعاً ، فصلّ ركعتين ، فإذا سلّمت كبر الله ثلاثاً ، وسبّح تسبیح فاطمة عليها السلام ، ثمّ اسجد وقل مائة مرّة : يا مولاتي يا فاطمة ، أغیثيني ، ثمّ ضع خدك الأيمن على الأرض ، وقل مثل ذلك ، ثمّ عد إلى السجود ، وقل ذلك مائة مرّة وعشر مرّات ، واذكر حاجتك ، فإنّ الله يقضيها . »

وكذلك أيضاً جاء في (مستدرك الوسائل) : الباب ٤٤ من أبواب بقیة الصلوات المندوبة ، الحديث ٣ ، عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال : « تصلّي ركعتين ، وتسلم ، وتسجد ، وتشني على الله تعالى وتحمده ، وتصلّي على النبی محمّد وآله ، وتقول : يا محمّد يا جبرئیل ، يا جبرئیل یا محمّد ، اکفیانی ممّا أنا فيه فإنکما کافیان ، احفظانی بإذن الله فإنکما حافظان . »

بعد مفارقة البدن ، وإلا لما كان وجه لطلب الحوائج منهم ، والاستعانة بهم بشكل مباشر ، بل كان المشرع يكتفي بالأمر بالتضرع عند مراقدهم المقدسة ، فما ذلك إلا للتأكيد على استمرار ولاية أهل البيت عليه السلام التكوينية ، وعدم انقطاعها عنهم

» وجاء في (وسائل الشيعة) : الباب ٢٨ من أبواب بقیة الصلوات المندوبة ، الحديث ٥ ، عن عبدالرحيم القصير ، قال : « دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت : جعلت فداك ، إني اخترعت دعاء .

فقال : دعني من اختراعك ، إذا نزل بك أمر فافزع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله .
قلت : كيف أصنع ؟

قال : تغتسل ، وتصلّي ركعتين تستفتح بهما افتتاح الفريضة ، وتشهد تشهد الفريضة ، فإذا فرغت من التشهد وسلّمت قلت : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، وإليك يرجع السلام ، اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، وبلغ روح محمد صلى الله عليه وآله مني السلام ، وأرواح الأئمة الصالحين سلامي ، واردد عليّ منهم السلام ، والسلام عليهم ورحمة الله وبركاته .
اللهم إن هاتين الركعتين هدية مني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأثبني عليهما ما أملت ، ورجوت فيك وفي رسولك ، يا وليّ المؤمنين .

ثم تخّر ساجداً وتقول : يا حيّ يا قيوم ، يا حيّ لا يموت ، يا حيّ لا إله إلا أنت ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا أرحم الراحمين ، أربعين مرّة .

ثم ضع خدك الأيمن فتقولها أربعين مرّة ، ثم ضع خدك الأيسر فتقولها أربعين مرّة .
ثم ترفع رأسك وتمدّ يدك فتقول أربعين مرّة ، ثم تردّ يدك إلى رقبتك ، وتلوذ بسبابتك ، وتقول ذلك أربعين مرّة .

ثم خذ لحيتك بيدك اليسرى ، وابك أو تباك ، وقل : يا محمد ، يا رسول الله ، أشكو إلى الله وإليك حاجتي ، وبكم أتوجّه إلى الله في حاجتي ، ثم تسجد وتقول : يا الله يا الله ، حتّى ينقطع نفسك ، صلّ على محمد وآل محمد ، وافعل بي كذا وكذا .

قال أبو عبدالله عليه السلام : « فأنا الضامن على الله (عزّ وجلّ) أن لا يبرح حتّى تقضى حاجته » .

حتى بعد الموت.

والخلاصة: فإن الأمور الثلاثة التي ذكرناها، تدل على أن الولاية التكوينية من جهة الزمان ليست مقتصرة على حال الحياة الدنيوية، بل تشمل الحياة البرزخية أيضاً.

وعلى ذلك: فقد ثبت أن حدود الولاية التكوينية في غاية السعة، فهي دائرة واسعة الحدود من ناحية المتعلق، ومن ناحية الزمان، وهذا يعني أن ولاية المعصومين عليهم السلام التكوينية من مجموع النواحي ولاية مطلقة الحدود.

البحث السادس

أدلة الولاية التكوينية

الشبوتية و الإثباتية



تمهيد:

الولاية التكوينية في كلمات أعلام الطائفة

جريباً على منهج الأعلام - في معالجة المسائل العلمية - من عرض كلمات علماء الطائفة في المسألة المحرّرة قبل الدخول في عرض أدلتها الثبوتية والإثباتية ، نشرق أولاً بعرض كلمات العلماء المحققين المتعلقة بمسألة الولاية التكوينية قبل الدخول في البحث حول أدلتها ، وسوف نبدأ بعرض كلمات الأعلام الماضين ، ونردفها بكلمات الأعلام المعاصرين .

كلمات الأعلام الماضين حول الولاية التكوينية

١ - كلمة المحقق النائيني رحمته الله: «فاعلم أن لولايتهم مرتبتين: إحداهما: الولاية التكوينية، التي هي عبارة عن تسخير المكوّنات تحت إرادتهم ومشيتهم بحول الله وقوّته، كما ورد في زيارة الحجّة (أرواحنا له الفداء) بأنّه: «فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَأَنْتُمْ لَهُ السَّبَبُ»؛ وذلك لكونهم عليه السلام مظاهر أسمائه وصفاته تعالى، فيكون فعلهم فعله، وقولهم قوله، وهذه المرتبة من الولاية التكوينية مختصة بهم، وليست قابلة للإعطاء إلى غيرهم؛ لكونها من مقتضيات ذواتهم النورية، ونفوسهم المقدّسة، التي لا يبلغ إلى دون مرتبتها مبلغ»^(١).

وقال في بعض أجوبته: «ومقتضى بعض الروايات المعتبرة الصحيحة: أن جميع العالم بما فيه من المجرّدات بمراتبها والمادّيّات بأنواعها عند الإمام (صلوات الله عليه) كحلقة في يد أحدنا يقلّبها كيف يشاء، ومضمون هذه الرواية المباركة ومحصل مفادها هو المستفاد من عدّة من الروايات الأخر البالغة حدّ الاستفاضة، وهو المنطبق على مضامين جملة ممّا تضمّنته الزيارة الجامعة الكبيرة وغيرها من الزيارات المعتبرة أسانيداً والمتلقاة بالقبول عند وجوه العصابة»^(٢).

وقال في جواب آخر: «لكن لا يخفى أن ما استقرّ عليه مذهبنا المقدّس من ولاية أئمّتنا الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) على تمام ما في العالم هو أعظم من جميع ذلك. وهل مخاطبة الشمس والقمر والجمادات والنباتات

(١) المكاسب والبيع: ٢: ٣٣٢.

(٢) الفتاوى: ٣: ٥٥٣.

والحيوانات معهم إلا من فروع تلك الولاية المطلقة»^(١).

النتائج المستفادة من كلمات المحقق النائيني رحمته الله:

النتيجة الأولى: أن الولاية التكوينية تعني قدرة المعصوم عليه السلام باختياره وإرادته على التصرف في عالم التكوين - بكل ما فيه - بإذن الله تعالى.

النتيجة الثانية: أن منشأ هذه الولاية هو كون المعصوم عليه السلام مظهراً لصفات الله تعالى وأفعاله، فيكون فعله فعله، وقوله قوله.

النتيجة الثالثة: أن هذه المرتبة من الولاية - بسعتها الوجودية - لا يمكن إعطاؤها لأحد، بل هي من مقتضيات الذات النورية للمعصوم عليه السلام، والتي لا يمكن أن يرقى إليها أحد.

النتيجة الرابعة: أن محصل الروايات الدالة على ثبوت الولاية التكوينية للمعصوم عليه السلام قد ورد في روايات بلغت حد الاستفاضة، وزيارات معتبرة الأسانيد ومتلقاة بالقبول.

النتيجة الخامسة: أن عقيدة الولاية التكوينية مما استقر عليه مذهب التشيع المقدس.

٢ - كلمة المحقق الأصفهاني رحمته الله: «فالولاية حقيقتها كون زمام أمر شيء بيد شخص، من ولي الأمر ووليه، والنبى صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لهم الولاية المعنوية، والسلطنة الباطنية، على جميع الأمور التكوينية والتشريعية، فكما أنهم مجاري الفيوضات التكوينية، كذلك مجاري الفيوضات التشريعية، فهم وسائط التكوين والتشريع»^(٢).

(١) الفتاوى: ٣: ٥٥٤.

(٢) حاشية المكاسب: ٢: ٣٧٩.

وقال في كتاب آخر: «إنَّ الولاية العامة للإمام عليه السلام على وجهين: فتارة ولاية باطنية معنوية لازمة لذاته القدسية، وبها له السلطان على التصرف في العالم، وهذه غير مجعولة تشريعاً بل مجعولة تكويناً بجعل وجوده عليه السلام»^(١).

النتائج المستفادة من كلمات المحقق الأصفهاني عليه السلام:

النتيجة الأولى: أنَّ المعصوم عليه السلام كما أنَّ ولايته تشمل جميع الأمور التكوينية، كذلك هي نفسها تشمل جميع الأمور التشريعية، والمراد من ولايته التكوينية: سلطانه على التصرف في جميع العالم.

النتيجة الثانية: أنَّ الولاية التكوينية - والتي عبّر عنها عليه السلام بالولاية المعنوية والسلطنة الباطنية - من لوازم ذات المعصوم عليه السلام القدسية؛ ولذا لا تقبل الجعل بالجعل التشريعي، بل هي مجعولة تكويناً بنفس جعل وجوده.

النتيجة الثالثة: يظهر من كلامه عليه السلام أنَّ منشأ ثبوت الولاية التكوينية للمعصوم عليه السلام هو: كونه واسطة الفيض التكويني ومجراه.

٣ - كلمة السيّد الخوئي عليه السلام: «فالظاهر أنَّه لا شبهة في ولايتهم على المخلوقات بأجمعهم، كما يظهر من الأخبار؛ لكونهم واسطة في الإيجاد، وبهم الوجود، وهم السبب في الخلق؛ إذ لولاهم لما خُلِقَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، وإنَّما خلقوا لأجلهم، وبهم وجودهم، وهم الواسطة في الإفاضة، بل لهم الولاية التكوينية لما دون الخالق، فهذه الولاية نحو ولاية الله تعالى على الخلق»^(٢).

وقال في كتاب آخر: «أمَّا الولاية التكوينية: فلا إشكال في ثبوتها، وأنَّ المخلوقات بأجمعها راجعة إليهم، وإنَّما خلقت لهم، ولهم القدرة على التصرف

(١) الأصول على النهج الحديث: ٥٣.

(٢) مصباح الفقاهة: ٥: ٣٣.

فيها ، فهم وسائط التكوين»^(١).

وقال في كتاب ثالث: «مَنْ يَعْتَقِدُ بِأَنَّ الْأُئِمَّةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عباد مكرمون ، وهم أشرف المخلوقات على الإطلاق ، ولذلك كَرَّمَهُمُ اللهُ تعالى ، فجعلهم وسائل للفيض ، فيسند إليهم أمور التشريع والتكوين على ضرب من الإسناد ، كما يسند الإمامة إلى ملك الموت ، والرزق إلى ميكائيل ، والمطر إلى ملك المطر ، بل في الكتاب العزيز إسناد الخلق وشفاء المرضى وإحياء الموتى إلى عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ... ﴾»^(٢).

فالاعتقاد بأنهم عَلَيْهِ السَّلَامُ رازقو الخلق ومحيوهم ومميتوهم بهذا المعنى ، أي: بمعنى قدرتهم على ذلك بإقدار من الله تعالى ، بحيث لا يرجع إلى الاعتقاد بربوبيتهم ، ولا بتفويض الأمر إليهم لا محذور فيه ، ولا يوجب الكفر ، بل هو من الغلو الحسن^(٣) الذي لا بدّ من الالتزام به في الجملة ؛ إذ لا تنافي بين النسبتين ، أي: نسبة الخلق والرزق والموت والحياة إليه (تعالى وتقدس) وإليهم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمعنى المذكور ، أعني: التوسيط في الأمر لا الاستقلال ، فإن إثبات شيء من أوصاف الباري تعالى لبعض مخلوقاته لا يوجب الخروج عن حدّ الإسلام ، بعد الاعتراف بكون الموصوف بتلك الصفة من مخلوقاته تعالى ، فإن كان هذا معنى الغلو فليس تجاوزاً عن الحدّ في حقّ حقّ الأنبياء والأئمة عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كما قد

(١) التنقيح في المكاسب: ٢: ١٥٧.

(٢) آل عمران ٣: ٤٩.

(٣) لا شك أنّ الغلو - بمعنى الزيادة على الحدّ - لا حسن فيه إطلاقاً ، فليس مراده مِنْهُ من وصف الغلو بالحسن ما يظهر في بادئ الأمر من العبارة ، بل مراده مِنْهُ أنّ ما يراه الغير غلوّاً هو أمر حسن ولا بدّ من الالتزام به ، ويشهد لذلك ذيل كلامه ، فتدبر فيه جيّداً.

يفسر الغلو بذلك»^(١).

النتائج المستفادة من كلمات المحقق الخوئي رحمه الله:

النتيجة الأولى: أن ثبوت منصب الولاية التكوينية للمعصومين عليهم السلام على جميع المخلوقات مما (لا شبهة ولا إشكال فيه)، وهذا تعبير يستخدمه العلماء للإشارة إلى جلاء الأمر وكونه فوق الشبهات والإشكالات.

النتيجة الثانية: إن منشأ ثبوت الولاية التكوينية للمعصومين عليهم السلام كونهم العلة الغائية لخلق الخلق، وواسطة الفيض، ومن بهم الوجود.

ولا ينبغي التوقف عند قوله تعالى: «بهم الوجود»، فإنه من الاصطلاحات الفلسفية التي تشير إلى مقام الوساطة في الفيض؛ إذ يوجد هناك اصطلاحان:
الاصطلاح الأول: فاعل ما منه الوجود.

والاصطلاح الثاني: فاعل ما به الوجود.

والأول يراد به: من بذاته يفيض الوجود على الموجودات، وهو منحصر في واجب الوجود (تعالى شأنه)، والمراد بالثاني من يباشر الفعل المفاض على الوجود، ومجرى الفيض، بحيث يمر فيض الوجود منه إلى غيره، وهو منحصر في غيره تعالى؛ لإبائه صرافة وجود الله تعالى عن الاتحاد مع الممكنات، بحيث يكون مباشراً للممكنات، ومعدداً بالمباشرة لجميع المستعدات.

النتيجة الثالثة: إن إسناد أمور التشريع والتكوين للمعصومين عليهم السلام - والاعتقاد بقدرتهم على التصرف فيها بإقدار الله تعالى - ليس إسناداً استقلالياً، بحيث يلزم منه عزل الله تعالى عزه، بل هو نحو من الإسناد بلحاظ توسطهم بين الخالق

والمخلوق ، كما هو الحال في توسط الملائكة بين الله تعالى ومخلوقاته في إفاضة بعض الشؤون الكونية عليهم ، كالحياة والموت والرزق والمطر .

النتيجة الرابعة : إن الاعتقاد المذكور لا محذور فيه ، ولا يستلزم كفراً وخروجاً عن حد الإسلام ، ولا غلوّاً؛ إذ الغلو هو تجاوز الحد ، وليس هذا من تجاوز الحد في حق الأنبياء والأئمة عليهم السلام .

تنبيه مهم حول التحريفات الخطيرة لكلام المحقق الخوئي رحمته الله :

ومن أعجب ما اطلعت عليه أن بعض المعاصرين في كتابه (الولاية التكوينية والتشريعية في ضوء الكتاب والسنة)^(١) قد ذكر السيد الخوئي رحمته الله ضمن العلماء الذين ينكرون ثبوت الولاية لغير الله تعالى ، رغم جميع الكلمات المتقدمة عنه ، وقد تمسك لذلك بالنص التالي :

« ومنهم من ينسب إليه الاعتراف بألوهيته سبحانه ، إلا أنه يعتقد أن الأمور الراجعة إلى التشريع والتكوين كلها بيد أمير المؤمنين أو أحدهم عليهم السلام ... واعتقادهم هذا وإن كان باطلاً واقعاً ، وعلى خلاف الواقع حقاً ، حيث إن الكتاب العزيز يدل على أن الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع كلها بيد الله سبحانه ... وعليه فهذا الاعتقاد إنكار للضروري ، فإن الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع مختصة بذات الواجب تعالى ، فيبتنى كفر هذه الطائفة على ما قدمناه من إنكار الضروري » .

وقد تعرض هذا النص على يد هذا المعاصر إلى تحريف شديد جداً ، وسوف نعرض النص هنا أولاً ، ثم سنضع يدنا على مواضع التحريف الخطير فيه ، لتتضح الحقيقة للقارئ العزيز .

(١) الولاية التكوينية والتشريعية في ضوء الكتاب والسنة وأقوال العلماء : ٢٤ .

قال سيدنا الخوئي (أعلى الله مقامه): «ومنهم مَنْ ينسب إليه الاعتراف بألوهيته سبحانه، إلا أنه يعتقد أن الأمور الراجعة إلى التشريع والتكوين كلها بيد أمير المؤمنين أو أحدهم عليه السلام، فيرى أنه المحيي والمميت، وأنه الخالق والرازق، وأنه الذي أيد الأنبياء السالفين سرّاً، وأيد النبي الأكرم ﷺ جهرّاً^(١)، واعتقادهم هذا وإن كان باطلاً واقعاً، وعلى خلاف الواقع حقاً، حيث إن الكتاب العزيز يدل على أن الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع كلها بيد الله سبحانه، إلا أنه ليس ممّاله موضوعيّة في الحكم بكفر الملتزم به.

نعم، الاعتقاد بذلك عقيدة التفويض، لأنّ معناه أن الله سبحانه كبعض السلاطين والملوك قد عزل نفسه عمّا يرجع إلى تدبير مملكته، وفوض الأمور الراجعة إليها إلى أحد وزرائه، وهذا كثيراً ما يترأى في الأشعار المنظومة بالعربية أو الفارسيّة، حيث ترى أن الشاعر يسند إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعضاً من هذه الأمور.

وعليه: فهذا الاعتقاد إنكار للضروريّ، فإنّ الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع مختصة بذات الواجب تعالى، فيبني كفر هذه الطائفة على ما قدّمناه من أن إنكار الضروريّ هل يستتبع الكفر مطلقاً أو أنه إنما يوجب الكفر فيما إذا رجع إلى تكذيب النبي ﷺ، كما إذا كان عالماً بأن ما ينكره ثبت بالضرورة من الدين؟ فنحكم بكفرهم على الأول، وأمّا على الثاني فنفصل بين مَنْ اعتقد بذلك لشبهة

(١) إن كان المقصود تأييده عليه السلام للأنبياء عليهم السلام سرّاً بوجوده الدنيوي - كما يرى ذلك بعض الغلاة - فهو مقطوع البطلان، ولا شك في كونه من أجلى مصاديق الغلوّ الباطل، وأمّا إن كان المقصود تأييده عليه السلام للأنبياء عليهم السلام بوجوده النوريّ، فلا حزاة في الالتزام به، بل هو فحوى الروايات الكثيرة التي تصرّح بتوسّل الأنبياء عليهم السلام به وبآله الطاهرين عليه السلام، وعليه فلا ينبغي الخلط بين الاعتقادين.

حصلت له بسبب ما ورد في بعض الأدعية وغيرها مما ظاهره أنهم ﷺ مفوضون في تلك الأمور من غير أن يعلم باختصاصها لله سبحانه ، وبين من اعتقد بذلك مع العلم بأن ما يعتقد ممتثل خلافه بالضرورة من الدين بالحكم بكفره في الصورة الثانية دون الأولى»^(١).

وهنا مقطعان مهمان في كلامه (طاب ثراه) قد تعرضا للتصرف المتعمد رغم دخالتهما في بيان مقصوده:

المقطع الأول: قوله: «نعم ، الاعتقاد بذلك عقيدة التفويض ؛ لأن معناه أن الله سبحانه كـبعض السلاطين والملوك قد عزل نفسه عما يرجع إلى تدبير مملكته ، وفوض الأمور الراجعة إليها إلى أحد وزرائه».

ولا تخفى أهمية هذا المقطع في معرفة مقصود السيد الخوئي (أعلى الله درجته) ، فإنه يوضح أنه يتحدث عن التفويض الباطل ، والذي يعني عزل الله تعالى عن إدارة الكون ، وتفويض ذلك لبعض حججه ، وأين هذا من الولاية التكوينية التي تعني القدرة على التصرف في الموجودات الإمكانية بإذن الله تعالى ، ولكن الكاتب المعاصر قد حذف هذا المقطع بتمامه ليوهم القارئ الكريم أن السيد الخوئي (طاب ثراه) يتحدث عن الولاية التكوينية.

المقطع الثاني: قوله ﷺ: «فببني كفر هذه الطائفة على ما قدمناه من أن إنكار الضروري هل يستتبع الكفر مطلقاً أو أنه إنما يوجب الكفر فيما إذا رجع إلى تكذيب النبي ﷺ ، كما إذا كان عالماً بأن ما ينكره ثبت بالضرورة من الدين ؟ فنحكم بكفرهم على الأول ، وأما على الثاني فنفضل بين من اعتقد بذلك لشبهة حصلت له بسبب ما ورد في بعض الأدعية وغيرها مما ظاهره أنهم ﷺ مفوضون

(١) التنقيح في شرح العروة الوثقى : ٣ : ٦٨ .

في تلك الأمور من غير أن يعلم باختصاصها لله سبحانه ، وبين من اعتقد بذلك مع العلم بأن ما يعتقد ممتنع خلافه بالضرورة من الدين بالحكم بكفره في الصورة الثانية دون الأولى .

وقد تعرض هذا المقطع إلى تحريف شنيع جداً ، حيث اقتصر الكاتب المعاصر على نقل عبارة : « فيبني كفر هذه الطائفة على ما قدمناه من أن إنكار الضروري » ويا ليتها سلمت من مقصده ، حيث حذف منها حرف « أن » الواقع بين كلمتي « من » و « إنكار » ليوهم القارئ أن عبارة السيد الخوئي قد تمت واكتملت ، ويتراءى له أن السيد الخوئي ليس ينكر الولاية التكوينية فحسب ، بل يرى كفر معتقدها أيضاً لكونه إنكاراً للضروري .

والحال أن مصب كلام السيد الخوئي - كما اتضح - هو الاعتقاد بالتفويض الباطل ، ومع ذلك فإنه لم يكفر المعتقد به مطلقاً ، بل ذكر التفصيل المعروف في مسألة إنكار الضروري ، من أنه هل أنه يستتبع الكفر مطلقاً ، أم لا يستوجبه إلا عند استلزامه تكذيب النبي ﷺ ؟

٤ - كلمة السيد البجنوردي ﷺ : « الولاية المطلقة مخصوصة بنبينا ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام ، فيتصرفون في جميع الأشياء بإذن الله ، حتى في الحيوانات والنباتات كلها بإذن الله .

وهذه الولاية المطلقة لهم عليهم السلام موهبة إلهية لاستعدادهم الذاتي ، ونفاسة جوهرهم ، وكونه من عليين ، فوصلوا إلى أعلى مراتب الكمال ، وإلى أقرب مدارج القرب إلى ذي الجلال ، بحيث يكونون سمعه الذي يسمعون به ، وبصره الذي يبصرون به ، ويده التي يبطشون بها .

وهذه الولاية هي التي يبرأ بها الأكمه والأبرص بإذن الله ، ويحيى الموتى بها بإذنه تعالى ، وكذلك في سائر التصرفات المنقولة عنهم عليهم السلام المروية في الكتب

المعتبرة ، التي اعتمد عليها العلماء الأبرار في هذا الموضوع ، ككتاب (مدينة المعاجز) للسيد البحراني رحمته الله ، وغيره مما هو مثله^(١).

وقال رحمته الله في أصوله : «أما التكوينية منها: فهي بلوغ النفس بواسطة العلم والعمل ، أو بواسطة الموهبة الإلهية من دون سبق عمل ، بل لاستعدادها الذاتي ونفاسة جوهرها وعلو طينتها أعلى مراتب الكمال ، ووصولها إلى أقرب مدارج القرب إلى ذي الجلال ، بحيث يكون سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها.

وهذه المرتبة من الولاية هي التي قارنها الله في كتابه العزيز بولاية نفسه ، حيث قال عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^(٢).

وهذه الولاية عبارة عن كون الولي متصرفاً في جميع الكون ، سمائه وأرضه بإذن الله (جل جلاله) وهي التي بها يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله (تعالى شأنه) وبها يشق القمر ويجعله نصفين ، كل ذلك وما شابهها بإذن الله (عظم سلطانه)^(٣).

النتائج المستفادة من كلمات المحقق البجنوردي رحمته الله :

النتيجة الأولى : إنّ الولاية المطلقة المقتضية لقدرة صاحبها على التصرف في جميع الأشياء بإذن الله تعالى ، تختص بالنبى الأعظم عليه السلام وخلفائه المعصومين عليهم السلام.

(١) القواعد الفقهية : ٧ : ٣٣٨.

(٢) المائدة ٥ : ٥٥.

(٣) منتهى الأصول : ٢ : ٥٣٣.

النتيجة الثانية: إنّ هذه الولاية موهبة إلهية وهبها الله تعالى للمعصومين عليه السلام لأجل استعدادهم الذاتي ، ونفاسة جوهرهم ، وكونه من عليين .

النتيجة الثالثة: إنّ هذه الولاية التكوينية هي منشأ المعاجز والكرامات الصادرة عن المعصومين عليه السلام ، كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وشق القمر إلى نصفين .

النتيجة الرابعة: إنّ الولاية التكوينية قد تكون نتيجة العلم ، وقد تكون نتيجة العمل والطاعة ، وقد تكون بواسطة الموهبة الإلهية من غير سبق عمل ؛ لعلم الله تعالى باستعداد ذات صاحبها ونفاسة جوهرها .

٥ - كلمة السيد الخميني رحمته الله : « وثبوت الولاية والحاكمية للإمام عليه السلام لا تعني تجرده عن منزلته التي هي له عند الله ، ولا تجعله مثل من عداه من الحكّام ، فإنّ للإمام مقاماً محموداً ، ودرجة سامية ، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون»^(١).

وبتعريب آخر: «للإمام مقامات معنوية مستقلة عن وظيفة الحكومة ، وهي مقام الخلافة الإلهية الكلية التي ورد ذكرها على لسان الأئمة عليهم السلام أحياناً ، والتي تكون بموجبها جميع ذرات الوجود خاضعة أمام ولي الأمر... ، ومن ضروريات مذهبنا أنّه لا يصل أحد إلى مراتب الأئمة عليهم السلام المعنوية حتّى الملك المقرب والنبي المرسل ، وفي الأساس فإنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام - بحسب رواياتنا - كانوا أنواراً في ظلّ العرش قبل هذا العالم ، وهم يتميّزون عن سائر الناس في انعقاد النطفة والطينة ، ولهم من المقامات ما شاء الله ، وذلك كقول جبرائيل في روايات المعراج: لو دنوت أنملة لاحتقرت ، أو قولهم: إنّ لنا مع الله حالات

(١) الحكومة الإسلامية: ٥٢ .

لا يسعها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فوجود مقامات كهذه للأئمة عليهم السلام من أصول مذهبنا .. كما أن هذه المقامات ثابتة للزهراء عليها السلام «^(١).

وقال في كتاب آخر: «وكما إننا العباد الضعاف قادرون على الأعمال البسيطة ، مثل الحركة والسكون وأفعال أخرى صغيرة ، فإن العباد المخلصين لله سبحانه والملائكة المجردين قادرون على أعمال عظيمة من الإحياء والإماتة والرزق والإيجاد والإعدام ، وكما أن ملك الموت يقوم بالإماتة ، وعمله هذا لا يكون من قبيل استجابة الدعاء والتفويض الباطل ، فذلك الولي الكامل والنفوس الزكية القوية - مثل نفوس الأنبياء والأولياء - قادرة على الإعدام والإيجاد ، والإماتة والإحياء ، بقدرة الحق المتعال ، وليس هذا من التفويض المحال ، ويجب أن لا نعتبره باطلاً ، ولا مانع من تفويض أمر العباد إلى روحانية كاملة ، تكون مشيئته فانية في مشيئة الحق ، ولا يروم إلا ما يريده الحق ، ولا يتحرك إلا إذا كان موافقاً للنظام الأصلح ، سواء كان في الخلق والتكوين أو التشريع والتربية»^(٢).

النتائج المستفادة من كلمات المحقق الخميني رحمته الله:

النتيجة الأولى: إن للإمام المعصوم عليه السلام خلافة تكوينية تخضع لسيطرتها جميع ذرات الكون.

النتيجة الثانية: إن مقام الخلافة الإلهية الكلية الذي تخضع بموجبه جميع ذرات الكون لصاحبه - ومثله مقام وجود الأئمة عليهم السلام في عالم الأنوار قبل خلق العالم - من أصول المذهب ، ولا يمكن أن يصل إليه أحد من الرسل والأنبياء عليهم السلام.

النتيجة الثالثة: إن المقامات المعنوية الثابتة للإمام عليه السلام ثابتة أيضاً للصديقة

(١) ولاية فقيه (حكومة إسلامي): ٥٣.

(٢) الأربعون حديثاً: ٥٦٦.

الطاهرة الزهراء عليها السلام.

النتيجة الرابعة: إنّ الولاية التكوينية ليست من قبيل التفويض الباطل ، ولا من قبيل الدعاء المستجاب ؛ إذ كما أنّ ملك الموت يقوم بالإماتة ، ولا يكون عمله من ذلك القبيل ، كذلك الإمام عليه السلام قادرٌ على الإحياء والإماتة والإعدام والإيجاد - بقدره الله تعالى - من غير أن يكون ذلك بنحو التفويض الباطل أو الدعاء المستجاب .

٦ - كلمة السيد الميلاني رحمته الله : «وأما أنّ مجاري الأمور بيدهم ، فهو من حيث أنهم لهم الولاية الكلية على الأمور كلّها ، فإنهم وسائط فيضه المقدّس ، وحاصل الرواية أنّ لهم الولاية التكوينية والتشريعية»^(١).

وقال رحمته الله أيضاً: «معنى الولاية الكلية التكوينية: كون الشخص مجرى للفيض الإلهي بالنسبة إلى جميع الممكنات ، والدليل على ثبوتها لهم هو أقوال أصحاب الولاية أنفسهم فيما تجاوز حدّ التواتر ، ولم يدعوا جزافاً أو كذباً ، لأنهم صادقون مصدّقون»^(٢).

وقال أيضاً في بعض أجوبته: «الولاية التكوينية من حيث الإفاضة مخصوصة بالله تعالى ، ومن حيث الوساطة في الفيض مخصوصة بالمخلوق بجعل الله تعالى ، والوساطة في الفيض هي إحدى الأسباب الموجودة في عالم التكوين»^(٣).

كما قال في موضع آخر: «الولاية التكوينية قسمان: قسم عبارة عن كون الشخص مجرى الفيض للكائنات في الجملة ، وهو ثابت لعموم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، والقسم الآخر - وهو الولاية التكوينية الكلية - عبارة عن كون

(١) محاضرات في فقه الإمامية (كتاب الخمس): ٢٧٣.

(٢) محاضرات في فقه الإمامية (كتاب البيع): ٥ : ٣٢.

(٣) ديدگاههای علمی آية الله عظمی میلانی: ٢٧٢.

الشخص مجرى الفيض بالنسبة لجميع عالم الإمكان، وهذا ثابت للنبي الأعظم ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ، وقد ورد عنهم ما يدل على ثبوته لهم بما يفوق حد التواتر، وحاشاهم أن ينطقوا بخلاف الواقع؛ إذ هم الصادقون المصدقون، وهذا واضح لكل من راجع كتب الحديث المعتبرة الواردة عن النبي الأعظم ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ.

مضافاً إلى أن الأدلة العقلية الدالة على المقام المذكور غير قابلة للرد، وإنكاره -بنظر المذهب الجعفري- يعدّ نقصاً^(١).

النتائج المستفادة من كلمات المحقق الميلاني رحمه الله:

النتيجة الأولى: إن للمعصومين ﷺ ولايتين: تكوينية وتشريعية، وهما تعينان: أن لهم ﷺ الولاية الكلية على الأمور كلها، وكل مجاري الأمور بأيديهم.

النتيجة الثانية: إن معنى الولاية التكوينية هو كون المعصومين ﷺ واسطة الفيض الإلهي.

النتيجة الثالثة: إن الدليل على ثبوت الولاية التكوينية للمعصومين ﷺ - مضافاً للأدلة العقلية - أقوالهم التي تجاوزت حد التواتر، ولم يدعوا جزافاً أو كذباً، لأنهم صادقون مصدقون.

النتيجة الرابعة: إن الفرق بين الولاية التكوينية للمعصومين الأربعة عشر ﷺ والولاية التكوينية للأنبياء ﷺ: أن ولاية هؤلاء تعني وساطتهم في الفيض في الجملة، بينما ولاية أولئك تعني وساطتهم في الفيض لجميع عالم الإمكان.

النتيجة الخامسة: إن إنكار الولاية التكوينية يعدّ نقصاً بحسب معايير المذهب الجعفري.

(١) ديدگاههای علمی آیه الله عظمی میلانی: ١٣٩.

٧ - كلمة المحقق الآملي عليه السلام : «إِنَّ لَوْلَايَتَهُمْ (صلوات الله عليهم أجمعين) مرتبتين: أولاهما الولاية التكوينية على أنفس الأناسي وأموالهم بحكم ﴿النَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، وهي عبارة عن تسخير الكائنات الإمكانية تحت إرادتهم ومشيتهم بحول الله تعالى ومشيته، كما ورد في زيارة الحجة (أرواحنا فداه) بأنه: **فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَأَنْتُمْ لَهُ السَّبَبُ**، وهذه المرتبة مجعولة لهم بالجعل التكويني البسيط، بمعنى أنها لازم وجودهم الغير المنفك عنهم، وقد تقرّر في محله أنّ لوازم الشيء غير قابلة لأن يتعلّق بها الجعل.. فجعل تلك المرتبة من الولاية لهم هو بجعل وجوداتهم النورية الشريفة»^(٢).

النتائج المستفادة من كلمات المحقق الآملي عليه السلام:

النتيجة الأولى: إنّ الولاية التكوينية هي: تسخير الكائنات الإمكانية تحت إرادة المعصوم عليه السلام ومشيته، بحول الله تعالى.

النتيجة الثانية: إنّ الولاية التكوينية مجعولة للمعصومين عليهم السلام بالجعل التكويني البسيط؛ لأنها من لوازم ذواتهم التي لا تنفك عنهم، فهي مجعولة بجعل وجوداتهم المقدّسة.

٨ - كلمة السيّد السبزواري عليه السلام : «الولاية إمّا ذاتيّة عامّة تكوينيّة وتشريعيّة معاً، فوق ما نتعلّقه من معنى الولاية، وهي مختصة بالقيوم المطلق على كلّ شيء، وهو الله جلّ جلاله.

وإمّا غيريّة إفاضية، وهي مختصة بإفاضة الله تعالى على مَنْ يشاء من عباده بما يشاء كيفية وكميّة، تكوينيّة كانت أو تشريعيّة، وهي مختصة بالأنبياء والمرسلين،

(١) الأحزاب ٣٣: ٦.

(٢) مصباح الهدى: ١٠: ٣٧٠.

وفي رأسهم سيّدنا خاتم الأنبياء ﷺ وخلفاؤه المعصومون ﷺ ، فقد أفاض لهم الله تعالى من الولايتين بما شاء وأراد عز وجل^(١).

وقال في موضع آخر: «الولاية التكوينية والتشريعية الإفاضية من الله تعالى بحسب ما يراه عز وجل من المصالح والمقتضيات ، وعلمه الأزلي بتمام الجهات والخصوصيات ، وهذا حقّ واقع لهم ﷺ ولا ريب فيه ، ويمكن إثباته بالأدلة الأربعة»^(٢).

النتائج المستفادة من كلمات الفقيه السبزواري رحمه الله:

النتيجة الأولى: إنّ الولاية التكوينية قسمان: ذاتية استقلالية لا حدّ لها، وهي مختصة بالله تعالى ، وغيرية إفاضية ، يفيضها الله تعالى على مَنْ يشاء من عباده كيفاً وكماً ، وقد أفاضها الله تعالى على خاتم الأنبياء وخلفائه ﷺ بما شاء وأراد.

النتيجة الثانية: إنّ ثبوت الولاية التكوينية للمعصومين ﷺ حقّ لا ريب فيه ، ومن الممكن إثباتها بالأدلة الأربعة ، وهي الكتاب والسنة والعقل والإجماع.

٩- كلمة المحقق السيّد محمد الروحاني رحمه الله: «تصرّف في الأمور التكوينية بالإرادة، من غير أسبابها العادية يسمّى الولاية التكوينية، وحضرات الأئمة ﷺ - بإذن الله - لهم هذه الولاية الكلّية»^(٣).

(١) مهذب الأحكام: ١٦ : ٣٦٢.

(٢) مهذب الأحكام: ٣ : ٣٧٠.

(٣) ونصّ إجابته بالفارسيّة - كما جاء في الاستفتاء رقم ٧٣١ - هو: «تصرّف در تكوینیات بدون اسباب عادی و در حال با اراده را ولایت تکوینی گویند ، و حضرات ائمه ﷺ به اذن خداوند داری ولایت کلّیه هستند».

النتيجة المستفادة من كلمات المحقق السيّد الروحاني رحمه الله :

إن حقيقة الولاية التكوينية هي: التصرف في الأمور التكوينية من غير طريق الأسباب العادية، بإذن الله تعالى وبإرادة صاحبها معاً؛ إذ أنها بما أنها ولاية إعطائية، فهي وإن كانت فعلاً مباشراً للمعصوم عليه السلام وخاضعة لإرادته، إلا أنها تتوقف على الإذن الإلهي، وهي ثابتة للأئمة عليهم السلام.

١٠ - كلمة الشيخ الميرزا التبريزي رحمه الله: «الولاية التكوينية التي (هي) عبارة عن: تأثير مشيئة النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام في أمر كوني بمجرد ما أو مع فعل ما، يكون ذلك التأثير من قبيل خرق العادة، كإحياء عيسى على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام، وتفجير موسى عليه السلام العيون بضرب عصاه، إلى غير ذلك.

وثبتت هذه الولاية التكوينية للأئمة عليهم السلام يظهر من الروايات المختلفة الواردة في الحوادث المتفرقة والشواهد التاريخية، بحيث يحصل للمتتبع الجزم به»^(١). ويقول رحمه الله أيضاً: «وبالجملة: فالولاية التكوينية بالمعنى الذي ذكرناه من العقائد الواضحة، التي لا مجال للتشكيك فيها عند المتدبر في الآيات، والمتتبع لحالات الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) في الأحاديث والأخبار»^(٢).

النتائج المستفادة من كلمات الفقيه الشيخ التبريزي رحمه الله :

النتيجة الأولى: إن الولاية التكوينية عبارة عن تأثير مشيئة النبي أو الإمام عليه السلام في الأمور الكونية بنحو خارق للعادة، سواء كان هذا التأثير بمحض مشيئة المعصوم عليه السلام، أم بانضمام أمر آخر إليها.

النتيجة الثانية: إن الولاية التكوينية بالمعنى المذكور من العقائد الواضحة التي

(١) إرشاد الطالب إلى التعليق على المكاسب: ٣: ٢٠.

(٢) الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية: ٨٠.

لا مجال للتشكيك فيها لدى المتدبر للقرآن الكريم ، والمتتبع للأحاديث والأخبار، بل لا يسعه إلا الجزم بها.

١١ - كلمة الشيخ بهجت رحمته الله: «لا مانع من وساطة مثل جبرائيل وميكائيل عليهما السلام في أمور خاصّة في عالم الأسباب ، فكذا الأنبياء والأوصياء لا مانع من جريان الأمور بإذنهم وإمضائهم ليلة القدر ، ولا مانع من هذا الأمر ثبوتاً ، والدليل عليه قائم عند أهله إثباتاً ، والولاية التشريعية مربوطة بالأحكام التشريعية الجعلية ، والولاية التكوينية مربوطة بسائر المقدرات الخارجية غير الجعلية ، ولا يلزم التعطيل منها كما لا يلزم في وساطة الملائكة ، وثبوت الولاية الكاملة الكلّية لغير المعصوم عليه السلام ممنوع عقلاً ، وأما كون الإنسان مختاراً فلا ينافي أقدريّة بعض أفراد البشر بالنسبة إلى البعض الآخر ، وأما فعلية القدرة فلا كلام فيها في المعصوم ، وأما غير المعصوم فالله تعالى غالب ، وله أن ينصر المظلوم لمصلحة ، وأن لا ينصر لمصلحة علم بها ، كما وقع ذلك كثيراً»^(١).

النتائج المستفادة من كلمات الشيخ بهجت رحمته الله :

النتيجة الأولى : إنّ ثبوت الولاية الكلّية الكاملة لغير المعصوم عليه السلام ممنوع عقلاً ، ولكنّ ثبوتها للمعصوم ممكن ثبوتاً ، كما أنّ الدليل قائم عليه عند أهله إثباتاً.

النتيجة الثانية : إنّ الظاهر من كلمات الشيخ (أعلى الله درجته) أنّ الولاية التكوينية بنظره على نحو الوساطة في الفيض في عالم الأسباب ؛ إذ لهم الحقّ - بإذن الله - في القبض والبسط .

النتيجة الثالثة : إنّ الالتزام بالولاية التكوينية لا يلزم منه محذور التعطيل ولا محذور الجبر .

(١) في مدرسة الشيخ بهجت : ٢ : ٢٢٥ .

أما الأول: فلاّنه لو لزم من وساطة أهل البيت عليهم السلام للزم من وساطة الملائكة ، وبما أنّ هذه لم يلزم منها فكذا تلك . وأما الثاني : فلاّ أنّ أقدريّة بعض البشر بالنسبة للبعض الآخر لا تتنافى مع الاختيار ، بناءً على الطوليّة بينهما .

١٢ - كلمة الشهيد السيّد محمّد الصدر رحمته الله : «إنما ثبتت الولاية التكوينية العامة للمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام دون غيرهم ، بصفتهم خير من الخلق أجمعين ، والفهم الفلسفي متعاقد مع الأخبار المتواترة في ذلك ، كقولهم عليهم السلام : الأرض كلّها للإمام . وقولهم عليهم السلام : ولو خليت لقلبت ، وقول النبي صلى الله عليه وآله : خلق الله السماوات والأرض من نوري ، وغير ذلك ، بإقدار الله سبحانه لهم ذلك ، أما سائر الأنبياء فلهم من الولاية التكوينية بمقدار التحويل الإلهي لهم»^(١).

النتائج المستفادة من كلمات الشهيد الصدر رحمته الله :

النتيجة الأولى : إنّ الولاية التكوينية قسمان ، فهناك ولاية تكوينيّة عامة ، وهي تختصّ بالمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ، لكونهم خير الخلق ، وهناك ولاية تكوينيّة خاصّة ، وهي الثابتة للأنبياء عليهم السلام بمقدار ما خوّله الله لهم ، ووصف الأولى بالعموم والثانية بالخصوص إنّما هو بلحاظ سعة المتعلق وضيقه .

النتيجة الثانية : إنّ ثبوت الولاية التكوينية للمعصومين عليهم السلام هو مقتضى الفهم الفلسفي لحقيقة الوجود ، أي : هو مقتضى البراهين العقلية المحكمة ، وهو أيضاً ما تعضده الأخبار المتواترة .

١٣ - كلمة الحجّة الشيخ مرتضى الأردكاني رحمته الله : «اعلم أنّ للنبيّ الخاتم والأئمّة (عليهم الصلاة والسلام) ، مضافاً إلى الولاية المطلقة الظاهرية المقتضية

(١) الشبهات البيروتيّة : ٩ .

لاستقلالهم في التصرف ، ونفوذه في الأنفس والأموال ، الولاية المعنوية والسلطنة الباطنية على كافة الأنام والمخلوقات ، تكويناً وتشريعاً ؛ لأنهم وسائط الفيوضات التكوينية والتشريعية ، وتدل عليها الروايات المتواترة»^(١).

النتائج المستفادة من كلمات الشيخ الأردكاني عليه السلام :

النتيجة الأولى : للنبي الخاتم ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام نحوان من الولاية :

النحو الأول : الولاية الظاهرية المطلقة ، والمقتضية لاستقلالهم في التصرف ، ونفوذ تصرفهم في الأموال والأنفس .

النحو الثاني : الولاية الباطنية المعنوية ، وهي : سلطتهم على كافة الأنام والمخلوقات ، تكويناً وتشريعاً .

النتيجة الثانية : إنّ المنشأ لثبوت الولاية الباطنية للمعصومين عليهم السلام : كونهم وسائط الفيوضات التكوينية والتشريعية .

النتيجة الثالثة : إنّ الولاية المعنوية الباطنية - والمعبر عنها بالولاية التكوينية - ممّا تدل عليها الروايات المتواترة .

١٤ - كلمة سماحة آية الله السيّد محمد حسين الطهراني (طيب الله مثواه) :

«ومعنى الولاية التكوينية : أنّ رسول الله ﷺ - حقّاً - هو الواسطة والحجاب بين العبد وربّه ، وأنّ جميع الفيوضات تفاض من الله على العباد ، كالحياة والعلم والقدرة وغيرها بواسطته ، حيث يمثل مرآة الحقّ ، وهو في مقام الولاية وبدون واسطة»^(٢).

وقال تحت عنوان : (دلالة «إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم» على

(١) غنية الطالب في التعليق على المكاسب : ١٨٠ .

(٢) معرفة الإمام : ٥ : ٩٧ .

الولاية التكوينية) ما هذا نصه: «وَبِكُمْ تُنْبِتُ الْأَرْضُ أَشْجَارَهَا، وَبِكُمْ تُخْرِجُ الْأَشْجَارُ أَثْمَارَهَا، وَبِكُمْ تُنْزِلُ السَّمَاءُ قَطَرَهَا وَرِزْقَهَا.

وَبِكُمْ يَكْشِفُ اللَّهُ الْكَرْبَ، وَبِكُمْ يُنْزِلُ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ تُسَبِّحُ اللَّهُ الْأَرْضُ الَّتِي تَحْمِلُ أَبْدَانَكُمْ، وَتَسْتَقِلُّ جِبَالَهَا عَلَى مَرَاسِيهَا. إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ، وَتَصْدُرُ مِنْ يُوتَيْكُمْ، وَالصَّادِرُ عَمَّا فَصَلَ مِنْ أَحْكَامِ الْعِبَادِ».

ومن الجلي في هذه الفقرات أن المراد بتأثير النفوس القدسية لأئمة الدين (سلام الله عليهم أجمعين) في الكائنات، يعني كونها واسطة فيض الرحمة الإلهية، وأن نفوسهم مرآة ونافذة لتلقي الرحمة من مقام العز الإلهي، وبثها ونشرها في عالم الإمكان^(١).

وقال في موضع ثالث: «إِنَّ الْوَلَايَةَ التَّكْوِينِيَّةَ هِيَ مِنَ الْأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ، وَاللَّوْازِمِ الْحَتْمِيَّةِ فِي طَرِيقِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِرْفَانِ وَشُهُودِ الْحَقِّ، وَالْمُنْكَرُونَ لَهَا أَيْدِيهِمْ خَالِيَةٌ مِنَ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ، وَلَمْ تَتَرْتَّبْ شِفَاهِمُ بِمَاءِ حَيَاةِ الْوَلَايَةِ، وَلَمْ يَنْهَلُوا مِنَ الْمَاءِ الْمَعِينِ لِلشُّهُودِ وَالْوُجْدَانِ، مَثَلُهُمْ كَالْكِلَابِ الْعَاوِيَةِ فِي الْبَيْدَاءِ الْقَاحِلَةِ، حَائِثَةٌ فِي تِيهِ الْجَهْلِ وَأَرْضِهِ الْحَصْبَاءِ»^(٢).

النتائج المستفادة من كلمات العلامة الطهراني رحمه الله:

النتيجة الأولى: إن معنى الولاية التكوينية أن جميع الفيوضات تفاض من الله على العباد - كالحياة والعلم والقدرة وغيرها - بواسطة صاحبها، فالمعصوم عليه السلام واسطة فيض الرحمة الإلهية، ونفسه نافذة تلقي الرحمة من مقام العز الإلهي، وبثها ونشرها في عالم الإمكان.

(١) معرفة المعاد: ٣: ١١٤.

(٢) معرفة الإمام: ٥: ٩٢.

النتيجة الثانية: إن الولاية التكوينية من الأمور الضرورية، واللوازم الحتمية في طريق المعرفة، ومن أنكرها فإن يده خالية من المعارف الإلهية، ولم تترطب شفتاه بماء الولاية.

كلمات الأعلام المعاصرين حول الولاية التكوينية:

١ - كلمة الأستاذ المحقق السيد الروحاني (دام ظلّه): «الولاية التكوينية -أي: ولاء التصرف التكويني- والمراد بها: كون زمام أمر العالم بأيديهم، ولهم السلطنة على جميع الأمور بالتصرف فيها، كيفما شاؤوا إعداماً وإيجاداً، وكون عالم الطبيعة منقاداً لهم لا بنحو الاستقلال، بل في طول قدرة الله تعالى وسلطته واختياره، بمعنى أنّ الله تعالى أقدرهم وملّكهم، كما أقدرنا على الأفعال الاختيارية»^(١).

وقال (دام ظلّه) في موضع آخر: «الروايات الدالة على صدور بعض الأفعال من المعصومين عليه السلام بمقتضى ولايتهم التكوينية فوق حدّ الإحصاء، ومنها إحياء الموتى، بل قد صدر عنهم ما هو أعظم من ذلك، ومن ذلك ما صنعه الإمام الرضا عليه السلام حيث إنّه أشار لصورة الأسد فصار أسداً حقيقةً بمجرد الإشارة»^(٢).

وقال أيضاً: «الولاية التكوينية عبارة عن كون أزمنة أمور العالم بيد المعصومين عليه السلام يتصرفون فيها كما يشاؤون إعداماً وإيجاداً بإذن الله تعالى، وليست هي التفويض، وإن كانت ناشئة عنه، لأنّ التفويض فعله (سبحانه وتعالى)، وهي ملازمة للمعصوم عليه السلام دائماً، لأنها من مقتضيات نورية ذاته، وحكم إنكارها هو حكم إنكار غيرها من مقامات أهل البيت عليه السلام»^(٣).

(١) معرفة الإمام: ٥ : ٩٢.

(٢) أجوبة المسائل: ١ : ٥٧.

(٣) المصدر المتقدم: ٥٨.

- النتائج المستفادة من كلمات السيّد الأستاذ الروحاني (دام ظلّه):
- النتيجة الأولى: إنّ الولاية التكوينية تعني كون زمام العالم بيد المعصوم عليه السلام، وقدرته على التصرف فيه متى ما شاء بإقدار الله تعالى.
- النتيجة الثانية: إنّ الولاية التكوينية في طول ولاية الله تعالى، لا في عرضه، وبالتالي فهي خاضعة لحاكميّة الله تعالى.
- النتيجة الثالثة: إنّ الولاية التكوينية ليست هي التفويض؛ إذ التفويض فعله تعالى، ولكنها ناشئة عن التفويض.
- النتيجة الرابعة: إنّ الروايات الدالة على استعمال المعصوم عليه السلام لولايته التكوينية فوق حدّ الإحصاء، ومن جملتها: إحياءه للموتى، بل إيجاده للمعدوم، كما في إيجاد الإمام الرضا عليه السلام لأسدٍ بمجرد الإشارة.
- النتيجة الخامسة: إنّ حكم منكر الولاية التكوينية - لشدة وضوحها - كحكم المنكر لغيرها من مقامات أهل البيت عليهم السلام الثابتة لهم بالقطع واليقين.

٢ - كلمة الأستاذ المحقق السيّد الشمس (دام ظلّه): «الولاية ويراد بها: إعطاء زمام الأمور بيد شخص ما، وهذا قد يكون في الأمور الكونية، فتكون الولاية تكوينيّة، وهي التي يراد بها: القدرة على التصرف في الأمور الكونية كلّاً كولاية الله تعالى، أو بعضاً كولاية أوليائه عليهم السلام، وقد يكون في الأمور الشرعيّة، فتكون الولاية تشريعيّة»^(١).

النتائج المستفادة من كلمات السيّد الشمس (دام ظلّه):

النتيجة الأولى: إنّ الولاية قسمان: تكوينيّة وتشريعيّة، والأولى تعني إعطاء

(١) مشكاة الأصول: ٢: ٢٠٩.

زمام الأمور لأولياء الله تعالى في مجال الأمور الكونية ، والثانية تعني ذلك في مجال الأمور الشرعية ، وعلى ذلك فمن الممكن تعريف الولاية التكوينية بأنها: القدرة على التصرف في الأمور الكونية.

النتيجة الثانية: إن الفرق بين ولاية الله وولاية المعصوم عليه السلام التكوينية: أن الأولى تعني القدرة على التصرف في الأمور الكونية كلاً، بينما الثانية تعني القدرة على التصرف بعضاً، وفي هذا إيماء إلى أن ولاية الله تعالى لا حدَّ يحدّها، بينما ولاية المعصوم عليه السلام مهما اتسعت، فإنها تبقى محدودة ومتناهية، بمقتضى كونها ولاية للممكن المتناهي.

٢ - كلمة السيد تقي القمي (دام ظلّه): «لا إشكال في الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة عليهم السلام، بل للأولياء المقربين، والقرآن أكبر شاهد على ذلك، حيث تعرّض لموارد كثيرة في معاجز الأنبياء، كما ورد في سورة آل عمران (الآية ٤٩): ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الولاية التكوينية بالصرّاحة، وأمّا الروايات فحدث ولا حرج، ولا يكون ذلك إلا بإذنه عزّ وجلّ، كما صرّحت الآية الشريفة بذلك، والذي ينكر الولاية التكوينية إمّا جاهل - والجاهل عذره جهله - وإمّا استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله عزّ وجلّ»^(١).

النتائج المستفادة من كلمات السيد القمي (دام ظلّه):

النتيجة الأولى: إن ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة عليهم السلام، بل حتى للأولياء المقربين، ممّا لا إشكال فيه.

(١) الردود العقائدية: ٢٠.

النتيجة الثانية: إن الولاية التكوينية ممّا أثبتتها القرآن الكريم في العديد من آياته ، وأمّا الأحاديث التي تناولتها فحدّث عنها ولا حرج ، في إشارة منه (دام ظلّه) إلى كثرتها وصعوبة إحصائها.

النتيجة الثالثة: إنّ منكر الولاية التكوينية إمّا جاهلٌ -والجاهل عذره جهله- وإمّا قد استحوذ عليه الشيطان ، فأنساه ذكر الله عزّ وجلّ.

٤- كلمة السيّد الشاهرودي (دام ظلّه): «لا مانع من أن يتصرّفوا في الكون بالقدرة التي أودعها الله تعالى فيهم ، لكن لا على نحو الاستقلال ، بل بإرادة الله تعالى ، فالله تعالى منحهم هذه القدرة فيقولون للشيء: كن فيكون ، لكن بإرادة الله ، ومع وجود هذه القدرة فيهم لا يتمكّنون من إعمالها إلّا بأمر من الله تعالى وإرادته.. والمتتبع للآيات القرآنية والروايات والحوادث التاريخية يجد نماذج كثيرة من خوارق العادات والمعجزات صدرت على يد الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وبقدرتهم وإرادتهم ، بحيث يعجز عنها غيرهم»^(١).

النتائج المستفادة من كلمات السيّد الشاهرودي (دام ظلّه):

النتيجة الأولى: إنّ الولاية التكوينية تعني: القدرة على التصرف في الكون من خلال القدرة التي أودعها الله تعالى عند صاحب الولاية ، ممّا يعني أنّ تصرفه في الكون ليس تصرفاً استقلالياً ، بل هو بإرادة الله تعالى.

النتيجة الثانية: إنّ تتبّع الآيات القرآنية والروايات والحوادث التاريخية يفضي للعثور على نماذج كثيرة تشهد بثبوت القدرة على التصرفات الخارقة للعادة للأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وهو ما يعبر عنه بالولاية التكوينية.

(١) أجوبة المسائل الاعتقادية : ٦٦.

وبعد أن عرضنا كلمات علماء الطائفة المحقة حول مسألة الولاية التكوينية، نشرع في البحث حول الأدلة الثبوتية والإثباتية، التي تصلح للبرهنة على هذه المسألة، فيقع الكلام في مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة الثبوت والإمكان

ويقع البحث من خلال هذه المرحلة في نقطتين:

النقطة الأولى:

وهي عبارة عن مقدمة تتركب من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تحرير محلّ البحث.

لا شك ولا ريب في ثبوت الولاية التكوينية للخالق (سبحانه وتعالى)، وقد قامت على ذلك الأدلة العقلية والنقلية، وركّز عليها القرآن الكريم في العديد من آياته الشريفة:

فمنها: قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾^(١).

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَغْدًا مَوْتَهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾^(٢).

(١) الأنفال ٨: ٢٤.

(٢) الروم ٣٠: ٢٤ و ٢٥.

ومنها: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١).

وكل هذه الآيات القرآنية، ومثلها كثير، تدل بوضوح على ثبوت مقام الولاية التكوينية للخالق سبحانه وتعالى، وهذا ممّا لا كلام فيه، وإنما الكلام في أنّ هذه الولاية التكوينية الثابتة للخالق (سبحانه وتعالى) هل يمكن إعطاؤها لغيره تبارك وتعالى أم لا؟ ممّا يعني أنّ بحثنا في هذه المرحلة يدور حول إمكان إعطاء الولاية التكوينية لغيره سبحانه وتعالى وعدم إمكانه.

الأمر الثاني: إثبات ونفي الولاية التكوينية يحتاج إلى الدليل.

إنّ مسألة الاعتقاد بالولاية التكوينية من المباحث العقائدية، التي لا بدّ في الاعتقاد بها من تحصيل الحجّة المعتبرة عليها، وكما أنّ المثبت مطالب بالدليل على إثباتها، كذلك النافي أيضاً مطالب بالدليل والبرهان على نفيها^(٢).

(١) الزمر ٣٩: ٦٧.

(٢) وقد نبّه على ذلك السيّد الصدر رحمته في كتابه (فلسفتنا)، عند بحثه حول الخلاف بين الإلهيين والمادّيين في وجود القضايا الميتافيزيقية، وطبيعة الدليل الذي يمكن إثباتها به أو نفيها، فقال: «وقد يحلو لبعض المادّيين في هذا المجال أن يتخلّص من مسؤوليّة الاستدلال، ويعتبر الإلهي هو المسؤول عن التدليل على مدّعه؛ لأنّ الإلهي هو صاحب الموقف الإيجابي، أي: مدعي الثبوت، فيجب عليه أن يبرّر موقفه ويبرهن على وجود ما يدّعيه».

ولكنّ الواقع: أنّ كلّاً منهما مكلف بتقديم الأدلة والمدارك لاتّجاهه الخاص، فكما أنّ الإلهي يجب عليه أن يبرهن على الإثبات، كذلك المادي هو مسؤول - أيضاً - عن الدليل على النفي؛ لأنّه لم يجعل القضية الميتافيزيقية موضع شك، وإنما نفاها نفياً قاطعاً، والنفي القاطع كالإثبات القاطع يفتقر إلى الدليل». فلسفتنا: ٢٣٧.

والأ فوظيفته التوقف - كما هو الشأن في سائر القضايا العقائدية - لا الإثبات ولا النفي ، ولذلك فلا بد أن نعرض أدلة المثبتين والنافين ؛ لملاحظة أنها هل هي وافية بإثبات الولاية التكوينية أو نفيها ، أم ليست بوافية ؟ لتكون النتيجة هي التوقف ، فلا النفي ولا الإثبات .

الأمر الثالث: تحديد الأصل في المسألة .

والمراد من الأصل الذي يُحرر البحث عنه في بداية كل مسألة ، هو : الأساس والقاعدة الأوليّة ، فحين يقال - مثلاً - : الأصل في الأشياء الطهارة ، فهذا يعني أن القاعدة الأوليّة التي خُلقت عليها الأشياء هي الطهارة ، وما النجاسة إلا حالة طارئة عليها .

وهنا نريد أن نتعرف على الأصل في مسألة الولاية التكوينية ، فهل هو ثبوتها أم عدم ثبوتها ؟

وهنا نلتقي بما ذكره بعض المعاصرين ، حيث يقول : « إن الأصل في المقام هو مع النافين للولاية التكوينية ، وأقصد بالأصل : كلما دلّ من أدلة عقلية ونقلية على أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الكون ولم يترك فيه فراغاً ، بل كلّ شيء قدره تقديراً ، وخلق في داخله خصائصه وعناصره ، فليس فيه خلل أو نقص »^(١) .

ويلاحظ عليه : أن الأصل وإن كان هو مع النافين للولاية ، إلا أنه ليس عبارة عن الأدلة العقلية والنقلية التي أشار إليها ، بل هو عبارة عن أصالة العدم ، لكون الحالة الأوليّة للحوادث قبل حدوثها هي العدم ، وبما أن الولاية التكوينية من الحوادث ، فالأصل عدمها .

(١) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية : ٣٧ .

وأما ما أشار إليه هذا المعاصر من الأدلة ، فإنه لا يصلح للتأصيل ، بداهة أنه في عرض ما يدعيه القائلون بالولاية التكوينية ؛ إذ أن مدّعاهم أن الله تعالى قد قدر الكون تقديراً ، فلا نقص ولا خلل فيه ، لكون الله تعالى - بمقتضى علمه وقدرته وحكمته - قد أوجده وفقاً للنظام الأصلح ، وهذا النظام الأصلح مبني على السببية والمسببية والوساطة في الفيض ، بمقتضى البراهين العقلية والنقلية ، وهو ما يستلزم ثبوت الولاية التكوينية لبعض مخلوقاته .

والحاصل : فإن الأصل - الذي تمّ الخروج عنه بالأدلة القطعية الجازمة - وإن كان يقتضي نفي الولاية التكوينية ، إلا أنه الأصل العدمي ، وليس الأدلة العقلية والنقلية التي أشار إليها ، لعدم كونها متمرحة في مرحلة سابقة على ما يدعيه القائلون بالولاية التكوينية ، بل مفادها ومفاد ما يبني عليه القائلون بالولاية في رتبة واحدة ، فلا تصلح لجعلها أصلاً .

النقطة الثانية : إثبات الإمكان الوقوعي للولاية التكوينية .

لا يخفى أن الطريقة المنهجية الصحيحة في تحقيق المسائل العلمية في مختلف المجالات والفنون المعرفية ، كالفقه والأصول والفلسفة وغيرها ، هو ملاحظة المسألة من خلال مرحلتين :

المرحلة الأولى : مرحلة الإمكان ، ويعبر عنها بمرحلة الثبوت .

المرحلة الثانية : مرحلة الوقوع ، ويعبر عنها بمرحلة الإثبات .

فإذا ثبت لدى الباحث أن القضية ممكنة في مرحلة الثبوت ، حيث ينبغي بحث عن الدليل على وقوعها وإثباتها في مرحلة الإثبات ، وأما إذا كانت القضية في مرحلة الإمكان والثبوت غير ممكنة ، فلا حاجة للبحث عنها في مرحلة الإثبات والوقوع . وعلى ضوء ما ذكرناه يقع البحث أولاً حول : الإمكان الوقوعي لمقام الولاية

التكوينية، والمراد من الإمكان الوقوعي كما يعرفه العلامة الطباطبائي رحمته: «كون الشيء بحيث لا يلزم من فرض وقوعه محال، أي ليس ممتنعاً بالذات أو بالغير»^(١).

والذي يظهر من تعريف العلامة الطباطبائي رحمته بأنه يعرف الإمكان الوقوعي بنحوين:

النحو الأول: الإمكان الوقوعي بمعنى: كون الشيء لا يلزم من وجوده محال، ممّا يعني أن كل شيء لا يلزم من وجوده محال من المحالات العقلية، فهو ممكن الوقوع.

النحو الثاني: الإمكان الوقوعي بمعنى: أن الشيء ليس ممتنعاً بالذات، وليس ممتنعاً بالغير.

وتوضيح ذلك: أن الشيء تارة يكون ممتنعاً بذاته، كاجتماع النقيضين، فإنه ممتنع بالذات، وأخرى يكون ممتنعاً بالغير، كحركة السيارة مثلاً من غير وقود، فإن حركتها وإن كانت ممكنة بالذات، ولكنها من غير وقود ممتنعة، إلا أن هذا الامتناع ليس ذاتياً؛ لإمكان حركتها ذاتاً، وإنما هو امتناع بالغير؛ لأن حركتها من غير وقود تعني وجود المعلول من غير علّة طبيعية أو تامّة، وهذا محال.

إذا عرفت ذلك تعرف أن كل ما لم يكن ممتنعاً بالذات ولا بالغير، فهو ممكن الوقوع، ولهذا صحّ تعريف الإمكان الوقوعي بأنه عبارة عن: «عدم الامتناع بالذات أو بالغير».

وعلى ضوء ما ذكرناه من تعريف الإمكان الوقوعي، نبحت حول الإمكان الوقوعي لمقام الولاية التكوينية في عالم الثبوت، وهل يترتب على القول

(١) بداية الحكمة: ٦٤.

بإمكانها محذور، أو محال من المحالات أم لا؟
ولتحقيق ذلك ينبغي لحاظ المسألة من ثلاث جهات:

الجهة الأولى: جهة الفاعل.

وهو: الله (سبحانه وتعالى)، فيكون البحث حول قدرته (سبحانه وتعالى) على إفاضة شيء من ولايته التكوينية على المعصومين عليهم السلام وعدمها، ومما لا إشكال فيه والمبرهن عليه بالأدلة القطعية عموم القدرة له (سبحانه وتعالى)، فهو القادر على كل شيء.

وإذا كان كذلك فالله سبحانه وتعالى قادر على إقدار المعصومين عليهم السلام على التصرف في الأمور الكونية، بإذنه وإفاضته، مما يعني عدم وجود القصور من ناحيته، وهذا ما نبّهت عليه الآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾^(١)، وعليه: فالولاية التكوينية من ناحية الفاعل ممكنة ثبوتاً، ولا مانع منها.

وقد اعترف بذلك حتى بعض من اشتهر عنه إنكار الولاية التكوينية، حيث قال: «ولا إشكال في إمكان هذا الجعل من ناحية المبدأ؛ لأن الله القادر على الوجود كله والكون كله، يملك - في مضمون ألوهيته المطلقة - أن يمكن بعض خلقه من بعض مواقع القدرة ووسائلها»^(٢).

وقال في كتابه الآخر: «لا إشكال في إمكان أن يجعل الله تعالى من حيث المبدأ لأي من عباده، أو سائر مخلوقاته، هذه القدرة على التصرف في شؤون الكون،

(١) فاطر ٣٥: ٤٤.

(٢) من وحي القرآن: ٦: ٢٦.

كما أنَّ بإمكانه أن يحددها بحدود معينة ، لأنَّ الله القادر على الوجود كلِّه والكون كلِّه ، يملك في مضمون ألوهيته المطلقة أن يمكن بعض خلقه من بعض مواقع القدرة ووسائلها ، فهو الذي جعل لهم القدرة في دائرة إنسانيتهم في أوضاعهم الخاصة والعامة ، من خلال ما أوكل الله إليهم من مهمات تتصل بالمسؤوليات الملقاة على عواتقهم ، والحوافز المرتبطة بتطلعاتهم وحاجاتهم ، ولا بدَّ من أن يكون له القدرة على توسيع هذه الإمكانيات لأكثر من مهمة جديدة في الكون ، ويبقى الله مسيطراً ومهيمناً على الأمر كلِّه ، فله أن يبقيا لهم في مدى حكمته ، وله أن يسلبها عنهم في مدى قدرته^(١).

الجهة الثانية: جهة القابل.

وهو عبارة عن: الذوات الطاهرة لمحمد وآل محمد ﷺ ، فهل هي ذات استعداد لتقبُّل الفيض الإلهي منه (سبحانه وتعالى) بالولاية التكوينية ، أم هي قاصرة عن ذلك ؛ لترتب بعض المحاذير في ثبوتها لهم ؟

والصحيح: أنَّ ذواتهم المقدسة ﷺ على أتم الاستعداد لإفاضة الولاية التكوينية عليها ، من غير أي قصور فيها ، بل إنَّ القابلية - في الجملة - موجودة حتَّى عند الفرد العادي من بني الإنسان ، غاية الأمر أنَّه لا توجد قابلية في عالم الممكنات لإفاضة الولاية التكوينية المطلقة إلا قابلية محمد وآل محمد ﷺ ؛ لأنَّهم أكمل الخلق وأشرفهم في ذواتهم وصفاتهم.

وهذا ما أشار إليه الميرزا النائيني رحمه الله ، حيث قال: «وهذه المرتبة من الولاية التكوينية مختصة بهم ، وليست قابلة للإعطاء إلى غيرهم ؛ لكونها من مقتضيات

(١) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية : ٢٩.

ذواتهم النورية ونفوسهم»^(١).

وأشار إليه المحقق الأصفهاني رحمته الله أيضاً، حيث قال: «إلا أن هذه الولاية غير الولاية الظاهرية التي هي من المناصب المجعولة، دون الأولى التي هي لازم ذواتهم النورية، نظير ولايته تعالى، فإنها من شؤون ذاته تعالى لا من المناصب المجعولة بنفسه لنفسه»^(٢).

وبالجملة: فإن الولاية التكوينية كما لا محذور في ثبوتها من جهة الفاعل، كذلك لا محذور في ثبوتها من جهة القابل أيضاً.

الجهة الثالثة: جهة التالي الفاسد.

بعد أن ثبت أن الفاعل لا قصور في فاعليته والقابل لا قصور في قابليته، يقع الكلام هنا حول أن إثبات الولاية التكوينية للمعصوم عليه السلام هل تترتب عليه محاذير وتوالٍ فاسدة بحيث تكشف عن بطلان المتلو، وهو ثبوت الولاية للمعصوم عليه السلام أم لا؟

وأجاب بعضهم بالإيجاب، وذكر لذلك محذورين:

المحذور الأول:

محذور التفويض، ولا حاجة لإطالة الكلام حول هذا المحذور؛ لما قدمناه مفصلاً - في البحث الثاني - حول التفويض، حيث ذكرنا هناك أن التفويض بمعنيين مستحيل، وبمعنى ممكن وواقع، بل لا محيص عن الالتزام به، ومراد القائلين بالولاية التكوينية ليس من التفويض الباطل في شيء، فراجع ما نقّحناه سابقاً.

(١) المكاسب والبيع: ٢: ٣٣٢.

(٢) حاشية المكاسب: ٢: ٣٧٩.

المحذور الثاني:

محذور الشرك ومنافاة التوحيد الكامل^(١). ولايضاح هذا المحذور نحتاج لبيان أقسام التوحيد الأربعة:

١ - توحيد الذات: وهو عبارة عن الاعتقاد بوحداية الذات الإلهية المقدسة.

٢ - توحيد الصفات: وهو عبارة عن الاعتقاد بوحداية صفاته سبحانه وتعالى، وكونه قد تفرّد بصفات لا يشاركه فيها أحد، مع الاعتقاد أيضاً بأن صفاته تعالى عين ذاته.

٣ - توحيد العبادة: وهو بمعنى أن المستحقّ الوحيد للعبادة هو الله سبحانه وتعالى دون غيره.

٤ - توحيد الأفعال: وهو عبارة عن الاعتقاد بأنه ما من فعلٍ في عالم الوجود إلا وهو منتسب إليه سبحانه وتعالى، كما أشارت إلى ذلك الآية الشريفة: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾^(٢).

ومع هذا القسم من أقسام التوحيد يتنافى اعتقاد الولاية التكوينية؛ إذ لازم الاعتقاد بثبوتها نفي بعض الأفعال التكوينية عن الله تعالى، وإثباتها

(١) يظهر هذا المحذور من كلمات الشيخ محمدجواد مغنية، في كتابه فلسفة الولاية: ٢٦، حيث يقول: «تنقسم الولاية باعتبارات شتى إلى أقسام، فهي من حيث التشريع والتكوين تنقسم إلى تشريعية وتكوينية، وهما لخالق الكون الذي يقول للشيء: (كن فيكون)، ونسبة الخلق والتكوين إلى غيره تعالى شرك لا يغتفر، وأي تشريع خالف أو يخالف كتاب الله وسنة نبيه فهو بدعة وضلالة»، انتهى. ويحتمل أن يكون مقصوده نفي الاستقلال في ولاية التكوين والتشريع، لا مطلقاً، إلا أن كلامه الآخر - الآتي ذكره في بداية البحث السابع - يمنع من هذا الاحتمال، فلاحظ.

(٢) يونس ١٠: ٣.

للمعصومين عليهم السلام، وهذا يعني تشريك غيره معه سبحانه وتعالى في التدبير، ونظراً لهذا المحذور لا بد من القول بكون الولاية التكوينية مستحيلة ثبوتاً.

والجواب عن هذا المحذور الثبوتي: أن الذي يتنافى مع توحيد الأفعال هو الاعتقاد باستقلال الأئمة عليهم السلام في أفعالهم وتصرفاتهم التكوينية، وأما الاعتقاد بأنهم عليهم السلام يفعلون ولكن لا بنحو الاستقلال، بل بنحو الإمداد الإلهي، والإفاضة الربانية، فهذا لا منافاة بينه وبين توحيد الأفعال، وهذا نظير اعتقادنا بأن الإمامة كفعل من الأفعال تنتسب إلى ملك الموت، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(١)، أو تنتسب إلى الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، ولا يستلزم من هذه النسبة لملك الموت أو الملائكة ما يتنافى مع توحيد الأفعال؛ إذ فعل هؤلاء للإمامة إنما هو بإمداد الله وإفاضته، وليس على نحو الاستقلال حتى يرد المحذور المذكور.

وعين هذا الاعتقاد نعتقه بالنسبة إلى مقام الولاية التكوينية للمعصومين عليهم السلام، فهو ليس ثابتاً لهم على نحو الاستقلال، وإنما هو بإمداد الله سبحانه وتعالى وإفاضته عليهم، وعليه فلا يوجد تنافٍ بينه وبين توحيد الأفعال، مما يعني أن المحذور الثبوتي ليس تاماً، فتبقى الولاية التكوينية ممكنة على مستوى مرحلة الثبوت والإمكان.

وقد اعترف بما ذكرناه بعض المنكرين للولاية التكوينية، حيث قال: «وقد أخذت نظرية (الولاية التكوينية) بعداً عقائدياً حاسماً متنوعاً في تضيق المسألة لتبقى في دائرة المعجزة، وفي توسيعها لتشمل كل الكون، حتى أن البعض يرى

(١) السجدة ٣٢: ١١.

(٢) النحل ١٦: ٢٨.

أن الله فوّض للأنبياء وللأئمة عليهم السلام أمر التصرف في الكون في حركته الخفية والظاهرة، بحيث إنهم يملكون القدرة على تغيير ما يريدونه في الكون وفي الإنسان، من دون أية قدرة ذاتية مستقلة، بل من خلال القدرة التي مكّنه الله منها، وأعطاهم إياها، فهم القادرون بقدرة الله، والأولياء على الكون بولايته، وهذا ما يبعد المسألة عن الشرك والغلو والانحراف عن خط العقيدة المستقيم^(١).

وقال في كتاب آخر: «وليس في ذلك أية منافاة أو انحراف عن العقيدة التوحيدية التي تركز على أن الخلق والأمر له في كل شيء، فلا يملك أحد من أي شيء إلا ما ملكه الله، لأن القضية قضية عطاء إلهي يتحرك في الدائرة الخاصة التي يحددها الله لعباده من خلال إرادته المطلقة التي لا يعجزها شيء»^(٢).

(١) من وحي القرآن: ٦: ٢٦.

(٢) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية: ٢٩. وقد وقع هذا المعاصر في تهافت شديد بالنسبة لهذه الحقيقة، حيث نفى في الموضع المذكور وجود أدنى تنافٍ بين عقيدة التوحيد والولاية التكوينية، ولكنه ما أسرع أن عدل عن قوله المذكور، فقال في الصفحة ٣٧: «ولذلك فإن نفى الولاية التكوينية لغير الله سبحانه ينسجم تمام الانسجام مع عقيدة التوحيد، لأن كل ما دلّ على التوحيد في الخلقية يدلّ على أن الولاية التكوينية حقّ لله وحده، فهو وليّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، وهو الرزاق ذو القوة المتين، وهو الذي يحيي ويميت، وهو القاهر فوق عباده، المهيمن على الأمر كله».

وقال في الصفحة ٨٩: «ونحن إنما قلنا في بعض أحاديثنا إن الاعتقاد بالولاية التكوينية - في نظرنا - ينافي التوحيد الخالص، ولكن لا يلزم أن يكون القائلون بها مشركون أو غلاة، لأن ذلك ينطلق منهم عن رأي خاص ودليل يرونه».

ولعلّه لأجل عدوله عن قناعته الأولى نقل نصّ كلامه السابق - المذكور في من وحي القرآن - إلى كتابه الأخير (نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية): ٦، وأضاف له عبارة بين شرطتين ليوحي للقارئ من خلالها بأنّ مجانبة عقيدة الولاية التكوينية لمحذور الشرك «

المرحلة الثانية: مرحلة الوقوع والإثبات

ويقع البحث من خلال هذه المرحلة حول: الأدلة الإثباتية التي يمكن الاستدلال بها على ثبوت الولاية التكوينية ، وهي على قسمين:

القسم الأول: الأدلة القرآنية.

وهي عبارة عن ثلاثة أدلة:

الدليل الأول:

ما أفاده سيّدنا الأستاذ الروحاني (دام ظلّه الشريف) حيث يقول: «ومن هذا الباب معجزات الأنبياء ، وقد دلّ الكتاب الكريم على ثبوت ذلك لأشخاص . قال الله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾^(١).

وقال عزّ من قائل: ﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾^(٢).

وقال سبحانه تعالى: ﴿ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا

» واللغو إنما هي قناعة القائلين بها ، فأقرأ عبارته المذكورة أعلاه ، وقارن بينها وبين قوله في نظره الإسلامية: « وهذا التوجيه يبعد المسألة - في رأيهم - عن الشرك والغلو والانحراف عن خطّ العقيدة المستقيم ».

(١) النمل ٢٧: ٤٠.

(٢) ص ٢٨: ٣٦ - ٣٨.

يَاذِنِ اللَّهُ وَأُبْرِئِ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى يَاذِنِ اللَّهُ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴿١﴾، إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة لثبوت ولاء التصرف لأشخاص، وإذا ثبت ذلك لهؤلاء فشبوته للرسول الأعظم ﷺ، وخليفته عليه السلام الذي عنده علم الكتاب بنص القرآن لا يحتاج إلى بيان ﴿٢﴾.

وقد طرحه أيضاً السيد تقي القمي (دام ظلّه)، ولكنه صاغه بصياغة ثانية، فقال: «التقريب الأول: ما ورد في القرآن، ونص به من معجزات الأنبياء، وقدرتهم على خوارق العادة، بجعل موسى عليه السلام عصاه ثعباناً، وإحياء عيسى عليه السلام الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، إلى غيرها من المعاجز المنقولة عن أنبياء السلف، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: قد ثبت بالأدلة القطعية أن رسول الإسلام، وخلفاءه الأئمة عليهم السلام أفضل من أنبياء السلف، فما يكون لهم ثابت لأهل البيت عليهم السلام» ﴿٣﴾.

والنكته التي يبتني عليها هذا الدليل هي: ثبوت الأفضلية لأهل البيت عليهم السلام على جميع الأنبياء السابقين عليهم السلام، وعليه: فإذا ثبت من خلال الآيات القرآنية المذكورة مقام الولاية التكوينية للأنبياء عليهم السلام، ثبت لأهل البيت عليهم السلام بالأولوية؛ لأفضليتهم عليهم.

مناقشة الشيخ التبريزي رحمه الله للاستدلال:

وقد تأمل الشيخ التبريزي رحمه الله في هذا الاستدلال فقال: «وربما يستدل في ثبوتها لهم عليهم السلام بكونهم أفضل من أنبياء السلف، وأن علياً عليه السلام كنفس النبي ﷺ، فكيف

(١) آل عمران ٣: ٤٩.

(٢) منهاج الفقاهة: ٥: ٢٦٨ و ٢٦٩.

(٣) عمدة الطالب في التعليق على المكاسب: ٢: ٤٦٠.

لا يثبت لهم ﷺ ما كان ثابتاً للأنبياء ، ولكن الاستدلال مخدوش ، فإن كونهم (سلام الله عليهم) أفضل (يقتضي) ثبوت أكملية أنفسهم ، وشدة تقربهم إليه سبحانه ، وسعة علمهم ، لا ثبوت المعجزة بأيديهم .

حيث أن وجه الحاجة إلى المعجزة يختص بالنبي ﷺ ، ولا يجري في الخليفة والوصي ، حيث يكون ذلك بتعيين النبي ﷺ ونصبه ، كما لا يخفى^(١) .

وقفه تأمل مع الشيخ التبريزي رحمه الله :

وما أفاده رحمه الله لا يخلو عن أحد احتمالين :

الاحتمال الأول : أن يكون مراده أن ثبوت مقام الإمامة لا يحتاج إلى أكثر من النص ، بخلاف ثبوت منصب النبوة ، فإنه يتوقف على الإعجاز ، ولا يكفي فيه النص ، ونظراً لتوقف نبوة الأنبياء ﷺ على صدور المعجز على أيديهم ، فإنه يكون ثابتاً لهم ﷺ ، وأما الأئمة ﷺ فبما أنهم لا يحتاجون لسوى النص لإثبات إمامتهم ، فلذلك لا تقتضي أفضليتهم ﷺ ثبوت ذلك لهم .

ويلاحظ عليه : أن ما كان ثابتاً للأنبياء السابقين ﷺ لم يكن خصوص المعجز^(٢) ، حتى يقال : إنه يختص بالأنبياء ﷺ دون الأئمة ﷺ ، بل الثابت لهم قرانياً هو مقام الولاية التكوينية ، الأعم من الإعجاز في أوقات التحدي - الذي يتوقف عليه ثبوت نبوة الأنبياء ﷺ - وغيره من الأوقات ، كما سيأتي بيانه قريباً ،

(١) إرشاد الطالب إلى التعليق على المكاسب : ٣ : ٢٠ .

(٢) نعم ، يتجه هذا الإشكال على مثل السيد القمي (دام ظلّه) الذي اقتصر في مقدمات استدلاله على خصوص إعجاز الأنبياء ﷺ ، وأما كلام السيد الروحاني (دام ظلّه) فلا يتجه عليه ؛ لظهور ذيل كلامه المتقدم في الاستدلال بولاية الأنبياء ﷺ التكوينية ، لا بخصوص المعجز الاصطلاحي منها .

وعلى ذلك فثبوته للأنبياء ﷺ يقتضي ثبوته للمعصومين ﷺ بالأولوية.

الاحتمال الثاني: أن يكون مقصوده ﷺ - وإن كان مستبعد الصدور من مثله - أن الإمامة لا تثبت بالإعجاز، بل بخصوص النص فقط، بخلاف النبوة فإنها بعكسها. ويلاحظ عليه: أنه على خلاف المحقق في علم الكلام؛ وذلك لأن المتكلمين يصرحون بأن الإمامة كالنبوة من هذه الجهة، فكما أن النبوة تثبت من خلال الطريقتين المذكورين، كذلك الإمامة تثبت من خلال النص والإعجاز.

وإليك كلمات بعض الأعلام من المتكلمين ﷺ:

١ - كلام شيخ الطائفة الطوسي ﷺ:

«فإذا كان فائدة المعجز تصديق من ظهر على يده، فيجب جواز ظهوره على يد بعض الأئمة والصالحين إذا ادّعوا الإمامة والصلاح وكانوا صادقين [كالمعاجز التي ظهرت على يد أمير المؤمنين ﷺ متزامنة مع دعواه الإمامة، ونفيها عن غيره، فيكون الإعجاز مثبتاً لصدق دعواه]، فإنه إذا كان مقتضاه تصديق من ظهر على يده، فإن كان مدّعياً للنبوة علمنا نبوته، وإن كان مدّعياً للإمامة علمنا بها صدقه»^(١).

وقال في موضع آخر: «فعلى هذا لا يلزم أن يظهر الله على يد كل إمام معجزاً؛ لأنه يجوز أن نعلم إمامته بنص أو طريق آخر، ومتى فرضنا أنه لا طريق إلى معرفة إمامته إلا المعجز، وجب إظهار ذلك عليه، وجرى مجرى النبي سواء»^(٢).

٢ - كلام العلامة الحلي ﷺ:

«الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه؛ لأن العصمة من الأمور الباطنة التي

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ٢٥٦.

(٢) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ٢٥٨.

لا يعلمها إلا الله تعالى ، فلا بد من نص من يعلم عصمته عليه ، أو ظهور معجزة على يده تدل على صدقه»^(١).

٣ - كلام المقداد السيوري عليه السلام :

«وذلك يحصل بأمرين : الأمر الأول : إعلامه بمعصوم كالنبي ﷺ ، فيخبرنا بعصمة الإمام عليه السلام وتعيينه . الأمر الثاني : إظهار المعجزة على يده ، الدالة على صدقه في ادعائه الإمامة»^(٢).

٤ - كلام الخواجة نصير الدين الطوسي عليه السلام ، وأقره العلامة الحلي عليه السلام في مقام إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام :

«ولظهور المعجزة على يده ، كقلع باب خيبر ، ومخاطبة الثعبان ، ورفع الصخرة العظيمة عن القلب ، ومحاربة الجن ، ورد الشمس ، وغير ذلك وادعى الإمامة فيكون صادقاً»^(٣).

ومن خلال عرض مجموع هذه الكلمات ، اتضح أن إثبات الإمامة لا ينحصر بالنص ، بل كما يكون بالنص يكون بالإعجاز ، حاله حال مقام النبوة .

ولإيضاح وجه ذلك نقول : إن المعجزة من الأدلة البرهانية التي تكون رابطة منطقية بين المعجزة وصدق المدعي ، ولذلك يقول المتكلمون : الإعجاز ليس دليلاً إقناعياً ، وإنما هو من الأدلة البرهانية ؛ وذلك لأن لازم إظهار المعجزة على يد غير الصادق نقض غرض المولى سبحانه وتعالى .

إذ أن الله سبحانه وتعالى إنما بعث خلفاءه لهداية الناس ، وجعل لهم ما يميزهم

(١) الباب الحادي عشر : ١١٢ .

(٢) شرح الباب الحادي عشر : ١١٢ .

(٣) تجريد الاعتقاد : ٣٤٧ .

في صدق دعواهم عن غيرهم ، فلو أمكن ظهور المعجزة على يد غيرهم في دعوى منصب من المناصب الإلهية للزم من ذلك نقض الغرض ، والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك ، فلا يمكن أن تظهر المعجزة إلا على يد الصادق في ادّعاء المنصب الإلهي حتّى لا يلزم نقض الغرض .

وهذا ما نبّه عليه السيّد الخوئي رحمه الله حيث قال : «إنّما يكون الإعجاز دليلاً على صدق المدّعي ؛ لأنّ المعجز فيه خرق للنواميس الطبيعيّة ، فلا يمكن أن يقع من أحد إلا بعناية من الله تعالى وإقدار منه ، فلو كان مدّعي النبوة كاذباً في دعواه ، كان إقداره على المعجز من قبل الله تعالى إغراء بالجهل ، وإشادة بالباطل ، وذلك محال على الحكيم تعالى ، فإذا ظهرت المعجزة على يده كانت دالة على صدقه ، وكاشفة عن رضا الحق سبحانه وتعالى»^(١).

وعلى ضوء ما ذكرناه ، يتّضح أنّ ما أفاده الشيخ التبريزي رحمه الله ليس تامّاً ؛ لعدم اختصاص الإعجاز بالأنبياء عليهم السلام ، وعليه فإذا ثبت الإعجاز للأنبياء من خلال القرآن ، وثبتت لهم أيضاً الولاية التكوينية ، ثبت كلّ ذلك للأئمة عليهم السلام ، الذين هم أعلى منهم فضلاً بالأولوية ، فيكون الدليل تامّاً من هذه الناحية .

وخلاصة الكلام في هذا البحث : أنّ الدليل الذي ذكره السيّدان الروحاني والقمي (دام ظلّهما) من أجل الاستدلال به على ثبوت الولاية التكوينية يتوقف على إثبات وتعميق مقدمتين :

ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء عليهم السلام :

المقدمة الأولى : إثبات الولاية التكوينية للأنبياء السابقين ولغيرهم ، في غير موارد التحدي وإثبات المنصب الإلهي ، وهذه المقدمة يتكفل بإثباتها القرآن

(١) البيان في تفسير القرآن : ٣٥ .

الكريم في العديد من آياته القرآنية ، فإن الآيات التي صدرت على أيدي الأنبياء ، وتحدث عنها القرآن ، ليست كلها من قبيل المعاجز ، بل هناك بعض التصرفات التكوينية التي صدرت عنهم ﷺ ليست إعجازاً.

من قبيل قوله تعالى : ﴿ اذْهَبُوا بِقِصْبِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾^(١).

ثم قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾^(٢) ، فإن هذا مع كونه تصرفاً تكوينياً من نبي من الأنبياء ﷺ ، ولكنه لم يكن إعجازاً؛ لأن المعجزة هي : ما تكون في مقام التحدي لإثبات المنصب الإلهي ، بينما هذا التصرف التكويني لم يكن في مقام التحدي وإثبات النبوة.

وكذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾^(٣).

وكذلك من الآيات القرآنية التي تكشف عن ثبوت مبدأ الولاية التكوينية عند غير الأنبياء أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾^(٤).

وكل هذه الآيات القرآنية تؤكد على أن الأنبياء ﷺ قد ثبت لهم ولاء التصرف التكويني في غير مقام إثبات المنصب الإلهي ، وإذا ثبت لهم ذلك ثبت

(١) يوسف ١٢ : ٩٣.

(٢) يوسف ١٢ : ٩٦.

(٣) البقرة ٢ : ٢٦٠.

(٤) النمل ٢٧ : ٣٩ و ٤٠.

للمعصومين بالأولوية.

وعليه: فحتى لو قلنا إن الإعجاز يختص بالأنبياء ﷺ، فلنا أن ندعي أن الآيات القرآنية قد أثبتت للأنبياء ﷺ مقام الولاية التكوينية في غير مقام الإعجاز، فإذا ثبت لأولئك ثبت لهؤلاء بالأولوية القطعية.

أفضلية المعصومين ﷺ على الأنبياء ﷺ:

المقدمة الثانية: إثبات الأفضلية للمعصومين ﷺ على جميع الخلق؛ إذ بعد ثبوت الأفضلية للمعصومين ﷺ، إذا ثبت مقام الولاية التكوينية لغيرهم فلا بد أن يثبت لهم بالأولوية.

وقبل الدخول في إثبات هذه المقدمة نعرض كلمات أعلام الطائفة (رضوان الله تعالى عليهم) في هذه المسألة:

١ - قال الشيخ الصدوق رحمه الله: «ويجب أن نعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمد والأئمة، وأنهم أحب الخلق إلى الله، وأكرمهم عليه، وأولهم إقراراً به؛ لما أخذ الله ميثاق النبيين»^(١).

٢ - قال الشيخ المفيد رحمه الله: «قد قطع قوم من أهل الإمامة بفضل الأئمة ﷺ من آل محمد ﷺ على سائر من تقدم من الرسل والأنبياء سوى نبينا محمد ﷺ.

وأوجب فريق منهم: لهم الفضل على جميع الأنبياء سوى أولي العزم منهم ﷺ وأبى القولين فريق منهم آخر، وقطعوا بفضل الأنبياء كلهم على سائر الأئمة ﷺ، وهذا باب ليس للعقول في إيجابه والمنع منه مجال، ولا على أحد الأقوال فيه إجماع، وقد جاءت آثار عن النبي ﷺ في أمير المؤمنين ﷺ وذريته من الأئمة، والأخبار عن الأئمة الصادقين أيضاً من بعد، وفي القرآن مواضع تقوي العزم على

ما قاله الفريق الأول في هذا المعنى»^(١).

٣- قال الشيخ المجلسي رحمه الله تعليقا على الكلام المذكور: «اعلم أن ما ذكره الله من فضل نبينا وأئمتنا (صلوات الله عليهم) على جميع المخلوقات، وكون أئمتنا أفضل من سائر الأنبياء، هو الذي لا يرتاب فيه من تتبّع أخبارهم عليهم السلام على وجه الإذعان واليقين، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى»^(٢).

وحكي عنه رحمه الله قوله: «أكثر الشيعة على أفضلية علي وسائر الأئمة عليهم السلام من جميع الأنبياء عليهم السلام، ورووا في ذلك أحاديث مستفيضة - بل متواترة - عن أئمتهم عليهم السلام»^(٣).

٤- قال الشيخ الحر العاملي رحمه الله: «لكن اعتقاد الإمامية أن كل واحد منهم - الأئمة عليهم السلام - أشرف من كل واحد من أنبياء بني إسرائيل»^(٤).

٥- قال الفيض الكاشاني رحمه الله: «نعم، قد يكون ولي أفضل من نبي، إذا لم يكن تابعا له، كما كان أمير المؤمنين عليه السلام أعظم من جميع الأنبياء والأولياء - بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم - وكذا أولاده المعصومين عليهم السلام»^(٥).

٦- قال السيد عبد الله شبر رحمه الله: «يجب الإيمان بأن نبينا وآله المعصومين عليهم السلام أفضل من الأنبياء والمرسلين، ومن الملائكة المقربين، لتظافر الأخبار بذلك،

(١) أوائل المقالات: ٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦: ٢٩٧.

(٣) أنوار الولاية: ٣١٠.

(٤) الفوائد الطوسية: ٣٧٧.

(٥) علم اليقين: ١: ٣٦٧، ونفس هذه العبارة ذكرها المرحوم السيد عبد الله شبر رحمه الله في كتابه حق اليقين: ١٣٤.

وتواترها فيما هنالك»^(١).

٧ - قال السيّد نعمة الله الجزائري رحمه الله: «فذهب جماعة إلى أنّهم أفضل من باقي الأنبياء ما خلا أولي العزم، فإنّهم أفضل من الأئمة عليهم السلام، وبعضهم إلى المساواة بين الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأكثر المتأخّرين إلى أفضليّة الأئمة عليهم السلام على أولي العزم وغيرهم، وهو الصواب»^(٢).

٨ - قال الآخذ الملا زين العابدين الكلبي كاني رحمه الله: «والمتحقّق عندنا أفضليّة نبيّنا ﷺ من جميع المخلوقين، وكذا بعده أئمّتنا عليهم السلام أفضل من جميعهم من الملائكة والأنبياء عليهم السلام»^(٣).

٩ - قال المحقّق النائي رحمه الله: «أمّا أفضليّة أئمّتنا المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) من جميع الأنبياء السابقين عدا نبيّنا ﷺ، فالظاهر أنّه من قطعيات مذهب الإماميّة الإثنا عشرية، بل لا يبعد أن يكون في الأعصار الأخيرة من ضروريّات المذهب»^(٤).

١٠ - قال الشيخ عليّ أبو الحسن الخنيزي رحمه الله: «وهكذا الشأن في

(١) حقّ اليقين: ١٤٩.

(٢) الأنوار النعمانيّة: ١: ٢٠.

(٣) أنوار الولاية: ٣١٠.

(٤) الفتاوى: ٣: ٥٥٦.

(٥) هو: مفخرة القطيف وعلمائها، الفقيه المحقّق، سماحة آية الله المعظم الشيخ عليّ أبو الحسن الخنيزي رحمه الله، المولود سنة ١٢٩١هـ، والمتوفّى سنة ١٣٦٣هـ، تتلمذ في النجف الأشرف على يد أساتذتها المحقّقين، كصاحب الكفاية المحقّق الآخذ رحمه الله، والسيّد أبو تراب الخوانساري رحمه الله، وشيخ الشريعة الأصفهاني رحمه الله، والشيخ محمّد طه نجف رحمه الله، وغيرهم، وقد أجازته أغلب أساتذته بإجازات رفيعة المستوى جدّاً، تكشف عن بلوغه «

أحوال أهل البيت عليهم السلام ، فما ثبت بالعلم ، تُدِين به واعتقد... مثل كونهم عليهم السلام أفضل الخلق ، المستلزم لكونهم أول صادر من المبدأ الأعلى... وإن تفاوتت مراتبهم عليهم السلام ^(١).

والمتحصّل من تتبّع كلمات الأعلام في مسألة تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء أن لهم فيها آراء ثلاثة:

الرأي الأول: تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء عليهم السلام جميعاً ما عدا النبي صلى الله عليه وآله.

الرأي الثاني: تفضيل الأنبياء عليهم السلام على الأئمة عليهم السلام.

الرأي الثالث: التفصيل بين أولي العزم وغيرهم ، فالأئمة عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء سوى أولي العزم ، فإنهم أفضل من الأئمة عليهم السلام.

ولكن الذي يبدو أن هذه التعددية في الآراء إنما كانت على مستوى الطبقة الأولى من العلماء ، غير أن المسألة بعد ذلك قد تنقّحت في كلمات علماء الطائفة ، ووصلت إلى نتيجة أوضح وأقوى ، وهي أن الأئمة عليهم السلام أفضل من الأنبياء والمرسلين جميعاً ، بما فيهم أولو العزم منهم عليهم السلام باستثناء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ؛ ولذا أشار المحقّق النائيني رحمته الله في كلامه المتقدّم إلى أن هذه العقيدة في الأعصار الأخيرة قد أصبحت من ضروريّات المذهب.

» مراتب عالية من الفقه والتحقّق ، وإنّ ما تركه من التراث العلمي لخير شاهد على براعته وتضلّعه في علوم الفقه والأصول والحكمة والكلام ، وتأتي في طليعة آثاره موسوعته الاستدلالية (دلائل الأحكام في شرح شرائع الإسلام) ، وكتابه الكلامي الرائع (الدعوة الإسلامية).

وجدير بالذكر أنّه بعد وفاة أستاذه الآخذ رحمته الله قد تصدّى للمرجعية الدينية ، فثبت له وسادتها في بلاده القطيف وبعض المناطق المجاورة.

(١) مقدّمة في أصول الدين : ٧٠ - ٧١.

ويحسب تتبّعنا القاصر لم نجد من خالف في ذلك من المتأخرين ، سوى المرحوم السيّد هبة الدين الشهرستاني رحمته الله ، في تعليقه على أوائل المقالات للشيخ المفيد رحمته الله حيث أثار رأياً جديداً ، مفاده : أنَّ الأئمة عليهم السلام يوجد فيهم مَنْ هو أفضل من الأنبياء ، ويوجد في الأنبياء مَنْ هو أفضل من الأئمة ^(١) . ولكن الذي يهون الخطب أنَّ رأيه هذا لا دليل عليه ، فلا يستدعي الوقوف عنده ، ومناقشة ما أفاده .

وبعد عرض أقوال الأعلام في مسألة تفضيل الأئمة عليهم السلام على جميع الخلق وبيان وجهة نظرهم الشريفة ، يقع الكلام في جهتين :

الجهة الأولى : بيان المقصود من الأفضلية .

وفي المسألة وجهان :

الوجه الأول : الأفضلية بمعنى الأكثر ثواباً .

فكون النبي صلى الله عليه وآله أفضل من غيره ، بمعنى أنَّه أكثر ثواباً منهم جميعاً ، وهذا المعنى موجود في كلمات السيّد المرتضى رحمته الله ، واختاره المحقق الخاجوثي رحمته الله في مسألة تفاضل الأئمة عليهم السلام فيما بينهم ^(٢) ، وبه وجه رواية أبي وهب القصري ، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : « فاعلم أنَّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام عند الله أفضل من الأئمة كلهم ، وله ثواب أعمالهم ، وعلى قدر أعمالهم فضّلوا » ^(٣) ، وإن كانت دلالتها لا تخلو عن تأمل .

الوجه الثاني : الأفضلية في الكمال والخصائص والمقامات .

وهذا ما يستفاد من بعض الآيات القرآنية ، كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا

(١) سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد رحمته الله : ٤ : ١٧٧ .

(٢) الرسائل الاعتقادية : ١ : ٢٥٧ .

(٣) تهذيب الأحكام : الباب ٧ من كتاب المزار ، الحديث ٢ .

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴿١﴾، فإن الظاهر منها: أن جهة التفضيل بلحاظ توفر بعض الكمالات والخصائص لبعض الأنبياء دون البعض الآخر، كتكليم الله تعالى لبعضهم.

وعلى ضوء الوجهين المذكورين يتضح أن المقصود من الأفضلية في مورد البحث: كون الأئمة عليهم السلام أفضل ثواباً عند الله (سبحانه وتعالى) من الأنبياء عليهم السلام وأفضل كمالاً منهم أيضاً؛ إذ لديهم من الخصائص والكمالات ما ليس عند الأنبياء، بل جميع ما عند الأنبياء من الكمالات جُمعت في محمد وآل محمد عليهم السلام مع الزيادة.

الجهة الثانية: الدليل على أفضلية الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والرسل عليهم السلام.

والصحيح في معالجة هذه الجهة، تفصيل البحث في مقامين:

المقام الأول: أفضلية المعصومين عليهم السلام على الأنبياء غير الأئمة.

المقام الثاني: أفضلية المعصومين عليهم السلام على الأنبياء الأئمة (أولي العزم).

أما بالنسبة للمقام الأول فيقال: أنه لا موجب - تصوراً - لتفضيل الأنبياء غير أولي العزم على المعصومين عليهم السلام إلا جهة النبوة الموجودة لديهم، والمفقودة عند المعصومين عليهم السلام باستثناء النبي صلى الله عليه وآله، فينبغي أن يكون البحث - حيثئذ - حول كون مقام النبوة هل هو أفضل رتبة من مقام الإمامة ليوجب تفضيل الأنبياء على الأئمة عليهم السلام أم لا، بحيث أنه لا يوجب تفضيلاً لذويه على من ثبتت لهم مرتبة الإمامة.

والتحقيق: أن المستفاد من الآيات القرآنية والروايات الشريفة، والذي أكّدت عليه كلمات علمائنا: أن مرتبة الإمامة أعلى من مرتبة النبوة بمراتب، وهذا

ما تنص عليه بعض الروايات الشريفة ، ومنها :

١ - رواية الشيخ الصدوق ، بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام - في حديث طويل - قال عليه السلام : « إِنَّ إِمَامَةَ خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ (صلوات الله عليه وآله) بعد النبوة والخلة ، مرتبة ثالثة ، وفضيلة شرفه بها ، وأشاد بها ذكره ، فقال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ .

فقال الخليل عليه السلام سروراً بها : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ ؟
 ﴿ قَالَ ﴾ الله (عزَّ وجلَّ) : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) .

٢ - رواية الشيخ الطوسي رحمته الله بسنده عن زيد الشحام ، قال : «سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا ، وَأَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا ، وَأَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا ، وَأَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَامًا ، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ الْأَشْيَاءَ قَالَ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، قَالَ : فَمَنْ عَظَمَهَا فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ ؟
 قَالَ : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٢) .

٣ - رواية جابر عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : «سمعتُه يقول : إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا ، وَاتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا ، وَاتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا ، وَاتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ إِمَامًا ، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَقَبِضَ يَدَهُ ، قَالَ لَهُ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، فَمَنْ عَظَمَهَا فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : يَا رَبِّ ، ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ ؟ قَالَ : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٣) .

(١) تفسير نور الثقلين : ١ : ١٢٠ ، الحديث ٣٤٢ .

(٢) تفسير نور الثقلين : ١ : ١٢١ ، الحديث ٣٤٢ .

(٣) تفسير نور الثقلين : ١ : ١٢١ ، الحديث ٣٤٣ .

ويمكن تأييد هذه الروايات - على فرض المناقشة في سندها - بظهور الآيات القرآنية في كون مرتبة الإمامة أعلى من مرتبة النبوة، حيث يستفاد من الآيات الكريمة أن الإمامة هي آخر المراحل والمراتب التي يطويها النبي أو الرسول في حركة سيره التكاملي، مما يعني بالضرورة كون الإمامة أعلى المراتب وأشرفها وأفضلها، ويمكن الاستشهاد لذلك بالآية الشريفة: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

بتقريب: أن هذه الآية الكريمة تتحدث عن قضية إعطاء نبي الله إبراهيم عليه السلام منصب الإمامة، فتقول: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، وهي تشمل على عدة قرائن تؤكد وقوع هذه القضية في أواخر عمر نبي الله إبراهيم عليه السلام، أي: بعد تلبسه بعنوان النبوة والرسالة، مما يؤكد أن آخر رتبة قد شرف الله به نبيه إبراهيم عليه السلام هي رتبة الإمامة، وهذا يعني بالضرورة كونها أعلى مما سبقها من المراتب، كالنبوة والرسالة؛ إذ لا معنى لتشريف الله تعالى لنبيه عليه السلام في أواخر عمره برتبة هي أدنى شرفاً وفضلاً من غيرها من المراتب التي سبق وأن حصل عليها، فإن ذلك خلف التشريف، مما يحتم كون رتبة الإمامة هي سيّدة المراتب، وأعلىها شأنًا وفضيلة. والقرائن الدالة على وقوع هذه القضية في أواخر عمر نبي الله إبراهيم عليه السلام عبارة عن قرينتين:

القرينة الأولى: أن الآية الشريفة صريحة في أن وقوع هذا التشريف كان بعد تجاوز نبي الله إبراهيم عليه السلام لمرحلة الابتلاء: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، ولا ريب في أن هذه المرحلة من عمره الشريف كانت متزامنة مع نبوته ورسالته، ومن جملة شواهد ما يدل عليها قضية ذبحه لولده إسماعيل عليه السلام، حيث عبر عنها القرآن بـ ﴿الْبَلَاءِ الْمُبِينِ﴾؛ وذلك في قوله

تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَى قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾^(١). وبعد تجاوز إبراهيم عليه السلام لمرحلة الابتلاءات هذه، والتي كانت متزامنة مع نبوته ورسالته، وهبه الله تعالى مرتبة الإمامة، كما هو صريح الآية الشريفة.

القرينة الثانية: قوله عليه السلام في الآية الشريفة: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، فإنه ظاهر في وجود الذرية لديه، ووجود الذرية لديه إنما كان في مرحلة متقدمة من عمره الشريف، كما هو صريح القرآن الكريم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(٢)، ووجه ظهوره في وجود الذرية لديه عليه السلام أنه في بداية الأمر لم يكن معتقداً في نفسه بأنه سيرزق لارثة تخلفه، كما يرشد إلى ذلك القرآن الكريم في قوله: ﴿وَبَنَيْنَاهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشْرُتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشْرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تُكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾^(٣)، بينما ظاهر كلامه عليه السلام في الآية السابقة اعتقاده بوجود الذرية لديه، وكما يقول علامة المفسرين الطباطبائي رحمه الله: «وقوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ بعد قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ قول من يعتقد لنفسه ذرية، وكيف يسع من له أدنى درية بأدب الكلام، وخاصة مثل إبراهيم الخليل، في خطاب يخاطب

(١) الصافات ٣٧: ١٠٢-١٠٦.

(٢) إبراهيم ١٤: ٣٩.

(٣) الحجر ١٥: ٥١-٥٥.

به ربه الجليل أن يتفوه بما لا علم له به ؟

ولو كان ذلك لكان من الواجب أن يقول: ومن ذريتي إن رزقتني ذرية ، أو ما يؤدي هذا المعنى^(١).

والمتحصل من مجموع ما ذكرناه: أن مرتبة النبوة أدنى من مرتبة الإمامة ، وبالتالي فهي ليست موجبة لتفضيل المتلبس بها على من وصل إلى المرتبة الأعلى ، واتشح بوشاح الإمامة ، والأئمة عليهم السلام قد وصلوا إلى المرتبة الأسمى فلا تكون المرتبة الأدنى موجبة لتفضيل غيرهم عليهم عليهم السلام .

وأما بالنسبة للمقام الثاني: وهو إثبات أفضلية الأئمة عليهم السلام على الأنبياء أولي العزم عليهم السلام ما سوى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ، فتفضيل الأئمة عليهم السلام يستفاد من مجموعة كثيرة من الروايات ، والتي نستطيع تصنيفها إلى سبع طوائف:

الطائفة الأولى:

ما دلّ على أفضلية الأئمة عليهم السلام على أولي العزم.

ومنها: صحيحة عبدالله بن الوليد^(٢)، قال: «قال لي أبو عبدالله عليه السلام: أي شيء يقول الشيعة في عيسى وموسى وأمير المؤمنين عليه السلام؟»

(١) تفسير الميزان: ١: ٢٦٧.

(٢) سند الرواية في غاية الاعتبار؛ إذ يروها صاحب البصائر رحمه الله عن: محمد بن إسماعيل ، وهو ابن بزيع الثقة ، بقرينة روايته عن محمد بن عمرو الزيات ، وهو من أعيان الثقات الراوين عن الإمام الرضا عليه السلام ، عن عبدالله بن الوليد ، وهو عند الإطلاق يدور بين اثنين: عبدالله بن الوليد ، الذي يروي عن الإمام الباقر عليه السلام ، وهو من المجاهيل ، وعبدالله بن الوليد الذي يروي عن الإمام الصادق عليه السلام - كما في هذه الرواية - وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الثقة ، وقد يروي عن الإمام الباقر عليه السلام أحياناً ، فسند الرواية صحيح .

قلت: يقولون: إن عيسى وموسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: فقال: أيزعمون أن أمير المؤمنين عليه السلام قد علم ما علم رسول الله؟

قلت: نعم، ولكن لا يقدمون على أولي العزم من الرسل أحداً.

قال أبو عبد الله عليه السلام: فخاصمهم بكتاب الله.

قال: قلت: وفي أي موضع منه أخاصمهم؟

قال: قال الله تعالى لموسى: ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةٌ

وَتَفْصِيلٌ﴾^(١) إنه لم يكتب لموسى كل شيء.

وقال الله تبارك وتعالى لعيسى: ﴿وَلَا يَتَّبِعُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾^(٢).

وقال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾^(٣)، ﴿وَنَزَّلْنَا

عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤)،^(٥).

والرواية لا يخفى ظهورها في تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على أولي العزم من

الأنبياء عليهم السلام، فضلاً عن غيرهم، وتعميم التفضيل لبقية المعصومين عليهم السلام إماماً

بضميمة عدم القول بالفصل في هذه الخصوصية، وإما بتأييد الروايات الأخرى،

التي لا تخلو عن بعض الإشكالات السندية، ولكن تراكمها يوجب الاطمئنان

بصدور إحداها إجمالاً، وإليك ذكر بعضها:

منها: رواية الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أُولَى الْعِزِّ مِنَ الرِّسْلِ وَفَضَّلَهُمْ بِالْعِلْمِ،

(١) الأعراف ٧: ١٤٥.

(٢) الزخرف ٤٣: ٦٣.

(٣) النساء ٤: ٤١.

(٤) النحل ١٦: ٨٩.

(٥) بصائر الدرجات: الجزء ٥، الباب ٥، الحديث ١.

وأورثنا علمهم وفضلهم ، وفضلنا عليهم في علمهم ، وعلم رسول الله ﷺ ما لم يعلموا ، وعلمنا علم الرسول ﷺ وعلمهم»^(١).

ومنها: وعنه عليه السلام: «إن الله فضل أولي العزم من الرسل بالعلم ، وورثنا علمهم ، وفضلنا عليهم في علمهم ، وعلم رسول الله ﷺ ما لم يعلموا ، وعلمنا علم الرسول وعلمهم ، وأمناء شيعتنا أفضلهم ، (و) أين ما كنا فشيعتنا معنا»^(٢).

الطائفة الثانية:

ما دلّ على أنّ الأئمة عليهم السلام أفضل الخلق.

وهي كثيرة ، ولكثرتها لا تبعد دعوى تواترها الإجمالي ، فمنها: ما ورد عن النبي ﷺ: «يا علي ، إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين ، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين ، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك ، وإنّ الملائكة لخدّامنا»^(٣).

والرواية صريحة الدلالة في أنّهم عليهم السلام أفضل الخلق رتبة بعد رسول الله ﷺ من غير استثناء ، بل يلحظ المتتبع للروايات أنّ مسألة تفضيل الأئمة عليهم السلام على غيرهم من جملة الميثاق الذي أخذه الله تعالى على الأنبياء في عالم الذر والميثاق ، بحيث كان عليهم السلام أن يعترفوا بأفضليّة الأئمة عليهم السلام على جميع الخلق.

فمن تلك الروايات: معتبرة أبي بصير ، قال: «سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من نبيٍّ نُبِّي ، ولا من رسولٍ أُرْسِلَ ، إلّا بولايتنا ، وبفضلنا على من سوانا»^(٤).

(١) بصائر الدرجات: الجزء ٥ ، الباب ٥ ، الحديث ٢.

(٢) المصدر المتقدم: الحديث ٥.

(٣) علل الشرائع: ١: ١٥ ، الباب ٧ ، الحديث ١.

(٤) بصائر الدرجات: ٢: ٩٤ ، الباب ٩ ، الحديث ٢. والرواية معتبرة السند؛ إذ يرونها «

وتؤيد هذه الرواية عدة روايات أخرى ، كلها تحمل نفس المدلول ، وبنفس اللسان ، ولعل بعضها متحد معها صدوراً ، ولكنها متعددة من جهة تعدد الرواة .

الطائفة الثالثة :

ما دلّ على تنزيلهم منزلة رسول الله ﷺ .

بضميمة ما ثبت بالدليل القطعي من أن رسول الله ﷺ هو أفضل الخلق قاطبة ، فإذا ثبت تنزيل الأئمة من آل محمد ﷺ منزلته ﷺ ثبت أنهم أفضل الخلق طراً بالضرورة ، وهذا صريح مجموعة من الروايات :

منها : ما رواه الشيخ الكليني رحمه الله بسنده عن محمد بن مسلم ، قال : « سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الأئمة بمنزلة رسول الله ﷺ إلا أنهم ليسوا بأنبياء ، ولا يحلُّ لهم من النساء ما يحلُّ للنبي ، فأما ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسول الله ﷺ »^(١) .

» الثقة الثبت محمد بن الحسن الصفار ، عن علي بن إسماعيل ، وهو ابن عيسى الثقة ، بقرينة روايته عن محمد بن عمرو ، عن محمد بن عمرو ، وهو ابن سعيد الزيات الثقة ، بقرينة رواية علي بن إسماعيل عنه ، وروايته عن يونس بن يعقوب ، عن يونس بن يعقوب ، وهو ابن قيس البجلي الثقة ، عن عبد الأعلى ، وهو ابن أعين العجلي ، بقرينة رواية يونس بن يعقوب عنه ، عن أبي بصير ، وهو مردد بين ليث بن البختری ، وبين يحيى بن أبي القاسم ؛ لعدم معرفتي غيرهما بهذه الكنية ، وكلاهما ثقتان ، فالرواية معتبرة السند .

(١) الكافي : كتاب الحجّة - باب ٥٣ ، الحديث ٧ . الوافي : ٣ : ٦٢١ ، الحديث ١٢٠٢ . بحار الأنوار : ١٦ : ٣٦٠ ، الحديث ٥٧ . و : ٢٧ : ٥٠ ، الحديث ٢ . والرواية على مسلك المحقق الخوئي رحمه الله وغيره من المحققين معتبرة السند ؛ إذ يروونها ثقة الإسلام الكليني رحمه الله ، عن عدة من أصحابنا ، وتقدم الكلام في بيان هذه العبارة بما يفيد التوثيق ، فلا نعيد ، عن أحمد بن محمد ، وهو ابن عيسى الأشعري الثقة ، بقرينة روايته عن الحسين بن سعيد ، ثم عن الحسين بن سعيد ، وهو ابن حماد الأهوازي الثقة ، بقرينة رواية أحمد بن محمد عنه ، »

وتؤيدها الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام: «كُلُّ مَا كَانَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَنَا مِثْلُهُ إِلَّا النُّبُوَّةُ وَالْأَزْوَاجُ»^(١).

وقريب منها: ما رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَنْتَ يَا عَلِيُّ سَيِّدُ الْخَلَائِقِ بَعْدِي، أَوْلُنَا كَأَخْرَانَا، وَآخِرُنَا كَأَوْلُنَا»^(٢).

وقد يستفاد التنزيل في الجملة من صحيحة محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي مِنْ عِزَّتِي لَهْدَاةً مُهْتَدِينَ مِنْ بَعْدِي، يُعْطُهُمْ عِلْمِي وَفَهْمِي وَحُلْمِي وَخُلُقِي، وَطَيِّبَتُهُمْ مِنْ طَيِّبَتِي الطَّاهِرَةِ، وَوَيْلٌ لِلْمُنْكَرِينَ لِحَقِّهِمْ، الْمَكْذِبِينَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِي، الْقَاطِعِينَ فِيهِمْ صَلَاتِي، الْمُسْتَوِلِينَ عَلَيْهِمْ، وَالْآخِذِينَ مِنْهُمْ حَقَّهُمْ، أَلَا فَلَا أَنَالَهُمْ اللَّهُ شَفَاعَتِي»^(٣).

» وروايته عن عبدالله بن بحر، عن عبدالله بن بحر، وهو من رواة تفسير القمّي، فيشملة التوثيق العام، كما هو أيضاً من الرواة الواقعيين في عقد المستثنى منه من كتاب (نوادير الحكمة)، فيكون مشمولاً للتوثيق، عن ابن مسكان، وهو عبدالله بن مسكان الثقة، عن عبدالرحمن بن أبي عبدالله، وهو البصري الثقة، عن محمد بن مسلم، ووثاقته أجلى من الشمس في رابعة النهار.

(١) بحار الأنوار: ٢٦: ٣١٧.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦: ٣١٦.

(٣) بصائر الدرجات: الجزء ١، الباب ٢٢، الحديث ٨. والرواية معتبرة السند؛ إذ يرونها الثقة الثبت صاحب البصائر عن محمد بن الحسين، وهو ابن أبي الخطاب الثقة، بقرينة رواية صاحب البصائر عنه، عن الحسن بن محبوب، ووثاقته في غنى عن البيان، عن العلاء بن رزين، وهو ممن قيل في حقه: «ثقة جليل القدر»، عن محمد، وهو محمد بن مسلم الثقفي عليه السلام، بقرينة رواية العلاء بن رزين عنه، ووثاقته من بديهيّات علم الرجال، عن أبي جعفر عليه السلام، فسند الرواية في غاية الاعتبار.

الطائفة الرابعة:

ما دلّ على سعة علمهم عليهم السلام.

إذ يوجد بين أيدينا الكثير من النصوص التي تؤكد على أن العلم المستودع عند المعصومين عليهم السلام أوسع نطاقاً من العلم المستودع عند الأنبياء عليهم السلام ، وهذا يستلزم أفضليتهم عليهم يقيناً.

فمنها: حسنة سيف التمار ، قال: «كنا مع أبي عبدالله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر ، فقال: علينا عين ؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نرَ أحداً ، فقلنا: ليس علينا عين .

قال: وربّ الكعبة ، وربّ البيت ثلاث مرّات لو كنتُ بين موسى والخضر لأخبرتَهُما أنّي أعلم منهما ، ولأنبأتَهُما بما ليس في أيديهما ؛ لأنّ موسى والخضر أُعطيَا علم ما كان ، ولم يعطيا علم ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أُعطيَ علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، فورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثته» ^(١).

وتؤيّد هذه الرواية الكثير من الروايات المروية عنهم عليهم السلام ، ومنها: رواية الحسين ابن علوان ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال: «إنّ الله خلق أولي العزم من الرُّسل وفضّلهم بالعلم ، وأورثنا علمهم ، وفضّلنا عليهم في علمهم ، وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يعلموا ، وعلمنا علم الرسول وعلمهم» ^(٢).

(١) بصائر الدرجات: الجزء ٣ ، الباب ٧ ، الحديث ١ . وسند الرواية حسن ؛ إذ يرويها الثقة الثبت صاحب البصائر محمد بن الحسن الصفار رحمته الله ، عن أحمد بن إسحاق ، وهو الأشعري الثقة ، بقرينة رواية صاحب البصائر عنه ، عن عبدالله بن حمّاد ، وهو الأنصاري ، بقرينة روايته عن سيف التمار ، وهو حسن إن لم نقل بوثاقته ، عن سيف التمار ، وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الثقات ، فالرواية حسنة سنداً .

(٢) بصائر الدرجات: الجزء ٥ ، الباب ٥ ، الحديث ٥ .

وإذا ثبت أن الأئمة عليهم السلام أوسع علماً من الأنبياء ، ثبتت أفضليتهم عليهم السلام ، تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

الطائفة الخامسة :

ما دلّ على توقّف نبوّات الأنبياء ورسالاتهم على الإقرار بولاية الأئمة .
وهي روايات كثيرة جداً بالمستوى الذي تكون فيه دعوى التواتر الإجمالي بالنسبة لها ليست جزافاً .

فمن تلك الروايات : معتبرة أبي بصير ، قال : سمعتُ أبا عبد الله يقول : « ما من نبيٍّ نُبِّيَ ، ولا من رسولٍ أُرسِلَ ، إلّا بولايتنا ، وبفضلنا على من سوانا » ^(٢) .

ومنها : رواية حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « إنّ الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق ، خلق ماءً عذباً ، وماءً مالحاً أجاجاً ، فامتزج الماءان ، فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً ، وقال لأصحاب اليمين ، وهم كالذرّ يدبّون : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال يدبّون : إلى النار ولا أبالي .

ثم قال : ألسْتُ برَبِّكم ؟

قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنّا عن هذا غافلين .

قال : ثم أخذ الميثاق على النبيّين ، فقال : ألسْتُ برَبِّكم ؟

ثم قال : وأنّ هذا محمّد رسول الله ، وأنّ هذا عليّ أمير المؤمنين ؟

قالوا : بلى ، فثبتت لهم النبوة ، وأخذ الميثاق على أولي العزم : أنّي ربكم ، ومحمّد رسول الله ، وعليّ أمير المؤمنين ، وأوصياؤه من بعده ولاية أمري ، وخزان علمي ، وأنّ المهدي أنتصر به لديني ، وأظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأعبد به

(١) الزّمر ٣٩ : ٩ .

(٢) تقدّم ذكرها سابقاً ، وبيان وجه اعتبارها السندي ، فراجع .

طوعاً وكرهاً»^(١).

ومنها: ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «وإنما سمي أولوا العزم أولوا العزم؛ لأنه عهد إليهم في محمد، والأوصياء من بعده، والمهدي وسيرته، فأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك، والإقرار به»^(٢).

ومنها: قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي، وولاية أهل بيتي، ومثلوا له، فأقرؤا بطاعتهم وولايتهم»^(٣).

ومنها: قوله أيضاً صلى الله عليه وآله: «يا علي، ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً»^(٤).

ومنها: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما نبي نبي قط إلا بمعرفة حقنا، وبفضلنا على من سوانا»^(٥).

ومنها: ما ورد عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها»^(٦).

الطائفة السادسة:

ما دلّ على أن المعصومين عليهم السلام هم العلة الغائية للخلق.

وتقريب الاستدلال بهذه الطائفة أن يقال: إن الغاية من خلق العالم هي وجود

(١) بصائر الدرجات: الجزء ٢، الباب ٧، الحديث ٢.

(٢) بصائر الدرجات: الجزء ٢، الباب ٧، الحديث ١.

(٣) المصدر المتقدم: الباب ٨، الحديث ٧.

(٤) المصدر المتقدم: الباب ٨، الحديث ٢.

(٥) المصدر المتقدم: الباب ٩، الحديث ١.

(٦) المصدر المتقدم: الحديث ٦.

(الإنسان الكامل) فيه^(١)، وأتم وأجلى مصداق للإنسان الكامل هم المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام، ومن الواضح أن فقدان الغاية موجب لفقدان ذيها، ولأجل ذلك يصح أن يقال: إن الإنسان الكامل يكون من بسببه الوجود سبباً غائية، لا منه الوجود سبباً فاعلية معطية له، فهو سبب غائي لا علة فاعلية^(٢).

وعليه: فإذا ثبت أن المعصومين عليهم السلام هم العلة الغائية لجميع الخلق؛ لكونهم عليهم السلام المصداق الأتم للإنسان الكامل، ثبتت أفضليتهم عليهم، بما فيهم من الرسل والأنبياء والملائكة.

وهذا ما أشار إليه الحجة الفقيه الشيخ علي الجشي القطيفي رحمته الله^(٣) في بعض روائع شعره الولائي، حيث قال:

وَرَيْمًا يَكْبُرُ عِنْدَ مَنْ جَهْلٌ تَفْضِيلُهُمْ عَلَى الْوَرَى حَتَّى الرُّسُلِ

(١) وينظر لذلك صاحب (دراسات في ولاية الفقيه): ١: ٧٦ بقوله: «فمثل عالم الطبيعة بمراحله، كممثل أشجار مثمرة، غرسها غارسها، وسقاها ورباها لتثمر له أثماراً حلوة جيدة، فالثمرة العالية غاية وجود الشجرة، ومن عللها. فالنبي الأكرم والأئمة المعصومون عليهم السلام ثمرة العالم في قوس الصعود وغايته، وإن كان غاية الغايات هو الله - تعالى - بذاته المقدسة».

(٢) كليات في علم الرجال: ٤٢١.

(٣) هو سماحة آية الله المعظم، الحكيم العارف، الشيخ علي الجشي رحمته الله، المولود عام ١٢٩٦هـ، والمتوفى عام ١٣٧٦هـ، هاجر إلى النجف الأشرف، وتلمذ فيها على المحقق العراقي والسيد الأصفهاني والسيد الحكيم رحمته الله، وأجازه الأخير بالاجتهاد في وثيقة جاء فيها: «وقد حضر عليّ برهة من الزمن، فعرفته حائزاً ملكة الاجتهاد في الأحكام الشرعية، قادراً على ردّ الفروع إلى أصولها، واستنباطها من أدلتها التفصيلية، فيجب عليه العمل برأيه، كما أن له وظيفة الفتوى والحكم، والراذ عليه في حكمه كالراذ على الله تعالى»، وبعدها رجع إلى بلاده القطيف، وتولى فيها القيام بمهام القضاء، وتسلم مقاليد الزعامة.

أَلَمْ يَكُنْ أَهْلُ الْكِسَاءِ هُمُ الْعِلَلُ وَهَلْ يُسَاوِي الْعِلَّةُ الْمَغْلُولُ^(١)

وكونُ أهل البيت عليهم السلام هم العلة الغائية ، قد استفاضت بالتصريح به الكثير من الروايات المعتبرة ، ويكفي منها الحديث المشهور الوارد معنعناً بسند حسن متصل^(٢) عن السيِّدة الصديقة الزهراء عليها السلام ، والمعروف بحديث الكساء ، حيث

(١) ديوان العلامة الجشي : ١ : ٩٣ .

(٢) ذكر صاحب موسوعة (عوالم العلوم) المحدث الشيخ عبدالله البحراني الأصفهاني رحمته الله ، سند الحديث معنعناً منه رحمته الله إلى سيِّدة النساء الصديقة الشهيدة الزهراء (أرواح العالمين لها الفداء) في المجلد الثاني من القسم المخصَّص لأحوال السيِّدة الزهراء عليها السلام ، الصفحة ٩٣٠ .

ولي شرف رواية الحديث المذكور معنعناً متصلاً بسيِّدة العالمين عليها السلام عن طريق أستاذي المعظم ، العلامة الحجة ، السيِّد محمدرضا الحسيني الحائري الأعرجي الفخام (طاب ثراه) ، عن العالم العامل ، العلامة الحجة ، الشيخ فرج العمران القطيفي ، عن سيِّد فقهاء العصر السيِّد محسن الحكيم ، عن أستاذه شيخ المحققين ، الفقيه الأصولي ، الشيخ الميرزا محمد الحسين النائيني ، عن شيخه ثقة الإسلام الميرزا حسين النوري ، عن شيخه الأعظم ، سلطان أهل التحقيق ، وقطب رحي التدقيق ، الشيخ مرتضى الأنصاري ، عن الفقيه المعتمد ، صاحب المستند ، الشيخ أحمد النراقي ، عن والده المتآله ، الأخلاقي العارف ، الشيخ مهدي النراقي ، عن شيخه الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني ، عن شيخه المبجل الشيخ حسين ابن الشيخ عبدالله البحراني ، عن سيِّد العلماء المحدثين السيِّد هاشم البحراني ، عن شيخه الجليل السيِّد ماجد البحراني ، عن الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الثاني ، عن الفقيه الأعظم المقدَّس الأردبيلي ، عن الشيخ عبدالعلي الكركي ، عن الشيخ علي بن هلال الجزائري ، عن الشيخ أحمد بن فهد الحلِّي ، عن الشيخ علي بن الخازن الحائري ، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الأوَّل ، عن أبيه المتوجِّج بتاج الشهادة ، عن فخر المحققين الحلِّي ، عن شيخه العلامة الحلِّي ، عن شيخه ابن نما الحلِّي ، عن شيخه محمد بن إدريس الحلِّي ، عن ابن حمزة الطوسي صاحب الشاقب ، عن الشيخ الجليل الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي ، عن أبيه شيخ الطائفة على الإطلاق ، عن «

جاء فيه: فقال الله عز وجل: «يا ملائكتي، ويا سُكَّانَ سماواتي، إني ما خلقتُ سماءً مبنيةً، ولا أرضاً مدحيةً، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئةً، ولا فلکاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فُلُكاً يسري، إلَّا في محبة هؤلاء الخمسة، الذين هم تحت الكساء».

وفي نفس الحديث جاء على لسان جبرائيل عليه السلام: «السلام عليك يا رسول الله، العليُّ الأعلى يقرؤك السلام، ويخصُّك بالتحية والإكرام، ويقول لك: وعزتي وجلالي، إني ما خلقتُ سماءً مبنيةً، ولا أرضاً مدحيةً، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئةً، ولا فلکاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فُلُكاً يسري، إلَّا لأجلکم ومحبتکم».

بل ورد هذا المعنى كثيراً حتَّى في روايات أبناء العامة، ومنها: ما عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَمَّا خلق الله آدم أبو البشر، ونفخ فيه من روحه، التفت آدم يمينه العرش، فإذا في النور خمسة أشباح سجداً وركعاً، قال آدم: يا رب، هل خلقت أحداً من طين قبلي؟

قال: لا، يا آدم.

قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتني؟

قال: هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك، هؤلاء الخمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار، ولا العرش ولا الكرسي،

» شيخ الشيعة والشرعية المفيد، عن شيخه شيخ المحدثين ابن قولويه القمي، عن شيخه ثقة الإسلام الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن القاسم بن يحيى بن جلاء الكوفي، عن أبي بصير، عن أبان بن تغلب، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري (عليهم جميعاً سلام الله ورضوانه) عن سيِّدة النساء فاطمة الزهراء (أرواح العالمين جميعاً لها الفداء)، وليس يوجد في هذا السند الشريف من يُغمز فيه سوى (القاسم بن يحيى) إلَّا أنَّ توثيقه ببعض الوجوه العامة ليس بمتعذر.

ولا السماء ولا الأرض ، ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن» (١). (٢)

الطائفة السابعة:

ما دلّ على كون المعصومين واسطة الأنبياء في مقام التوسّل إلى الله .

وهي كثيرة جداً ، حتّى قال عنها الفقيه الكبير والمتتبّع الخير ، العالم الربّاني الشيخ عبدالله المامقاني رحمته الله : « وقد استقصيتُ الأخبار والآثار ، فوجدتُ أنّه ما تاب الله تعالى على نبيٍّ من أنبيائه ، ولا ملك من ملائكته ، ممّا صدر منهم من الزلات ، إلّا بالتوسّل والاستشفاع بهم عليهم السلام » (٣).

والحقّ كما أفاده (طيّب الله ثراه) ، وقد استفاضت بنقل ذلك أخبار المعتدلين من أبناء العامة قبل الشيعة ، فمن ذلك ما رواه صاحب (فرائد السمطين) عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال على لسان ربّه : « يا آدم ، هؤلاء صفوتي من خلقي ، بهم أنجيهم ، وبهم أهلكهم ، فإذا كان لك إليّ حاجة فبهؤلاء توسّل » (٤).

ومنه : ما أورده السيوطي في (الدرّ المثور) ، قال : وأخرج الديلمي في مسند الفردوس ، بسند رواه عن عليّ ، قال : « سألتُ النبي صلى الله عليه وآله عن قول الله : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ ﴾

(١) فرائد السمطين للحموي ، بواسطة عوالم العلوم - أحوال السيّد الزهراء عليها السلام : ١ : ٢٢ .

(٢) أفاد سيّدنا الأستاذ الشمس (دام ظلّه الشريف) : أنّ المقصود من الروايات المذكورة في هذه الطائفة (السادسة) هو : أنّ المعصومين عليهم السلام من قبيل (شرط القابل) لجميع الكائنات ، والمقصود من شرط القابل هو : ما يحتاج المقبول إليه في وجوده . وعليه فإذا قلنا إنّ المعصومين عليهم السلام هم شرط القابل بالنسبة للمخلوقات ، فهذا يعني أنّ جميع الموجودات محتاجة إليهم عليهم السلام في وجودها ، وما أفاده (دام ظلّه) في غاية الدقّة ، ولكن لسان الروايات المذكورة لا ينسجم معه ، كما مرّ بيانه سابقاً .

(٣) مرآة الكمال : ٣ : ١٢٨ .

(٤) فرائد السمطين للحموي ، بواسطة عوالم العلوم - أحوال السيّد الزهراء عليها السلام : ١ : ٢٢ .

مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴿١﴾؟

فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَمِلْتُ سُوءاً، وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَمِلْتُ سُوءاً، وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾.

قال: وأخرج ابن النجار، عن ابن عباس، قال: «سألت رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟

قال: سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، إِلَّا تَبْتَ عَلَيَّ، فتاب عليه ﴿٣﴾.

وأما عن طريق الخاصة، فالأخبار أكثر من أن تحصى، وقد عقد العلامة المجلسي رحمه الله باباً خاصاً من أبواب بحاره، تحت عنوان: (أَنَّ دَعَاءَ الْأَنْبِيَاءِ اسْتَجِيبَ بِالتَّوَسُّلِ وَالِاسْتِشْفَاعِ بِهِمْ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ) ﴿٤﴾، وجمع فيه بعض الروايات المتعلقة بموضوع الباب، مما يوجب الاطمئنان المتأخم لليقين، بكون المعصومين عليهم السلام هم وسيلة الأنبياء في مقام التوسل.

ومن باب التيمّن، نكتفي بنقل رواية واحدة صريحة في المطلوب، وهي المروية عن معمر بن راشد، قال: «سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: أتى يهودي إلى النبي ﷺ، فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال: يا يهودي، ما حاجتك؟. قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله تعالى، وأنزل عليه التوراة والعصا، وفلق له البحر، وأظله بالغمام؟

(١) البقرة ٢: ٣٧.

(٢) و(٣) الدر المنثور: ١: ٥٩.

(٤) بحار الأنوار: ٢٦: ٣١٩.

فقال له النبي ﷺ: إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه، ولكن أقول: إن آدم ﷺ لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي، فغفر الله له.

وإن نوحاً ﷺ لما ركب السفينة وخاف الغرق قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق، فنجاه الله عنه.

وإن إبراهيم ﷺ لما ألقى في النار قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني منها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً.

وإن موسى لما ألقى عصاه، فأوجس في نفسه خيفة، قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أمتني منها، فقال الله جلّ جلاله: لا تخف إنك أنت الأعلى. يا يهودي، إن موسى ﷺ لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً، ولا نفعته النبوة»^(١).

وهذه الطائفة من الروايات صريحة فيما ذكرناه، فإذا ثبت أن المعصومين ﷺ هم الوسيلة التي يتوسّل بها الأنبياء لله (عزّ وجلّ)، ولا ريب في كون الوسيلة أفضل وأقرب عند المتوسّل إليه من المتوسّل، ثبتت أفضليّتهم ﷺ على الأنبياء الذين توسّلوا بهم.

والخلاصة: فمن خلال هذه الطوائف السبع بمجموعها - بل من إحداها - نستنتج أفضليّة المعصومين ﷺ على غيرهم من الأنبياء والمرسلين، وإذا ثبت لدينا ذلك، وضمّمناه لما ثبت في المقدّمة الأولى من ثبوت مقام الولاية التكوينية للأنبياء والرسل، ثبت هذا المقام للمعصومين ﷺ بالأولوية؛ إذ لا يعقل أن يثبت للمفضول ما ليس للفاضل من الكمالات والخصائص، وإلا كان ذلك موجباً لتعكس النسبة في التفاضل بينهم، وبذلك يكون الدليل الأوّل تاماً ومحكماً.

(١) بحار الأنوار: ٢٦: ٣١٩.

الدليل الثاني:

ما أشار إليه الأستاذ المحقق السيّد الروحاني (دام ظلّه الشريف) بقوله: «وقد دلّ الكتاب الكريم على ثبوت ذلك لأشخاص، قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ وإذا ثبت ذلك لهؤلاء فثبوته للرسول الأعظم وخليفته الذي عنده علم الكتاب بنصّ القرآن، لا يحتاج إلى بيان»^(١).

وتمامية هذا الاستدلال تتوقف على تمامية مقدمات ثلاث:

المقدمة الأولى: إثبات الملازمة بين العلم بالكتاب كلاً أو جزءاً والولاية التكوينية.

وقد نقحنا هذه المقدمة عند بحثنا حول العلاقة الطردية بين العلم والولاية التكوينية، حيث ذكرنا أنّ هناك ثمة ملازمة بين الولاية التكوينية والعلم، وكلّ من ملك العلم بشيء ملك السيطرة عليه، وأثبتنا ذلك من خلال القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام.

والآية المباركة التي استند إليها سيّدنا الأستاذ (دام ظلّه): ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(٢) ظاهرة في وجود ملازمة بين العلم والولاية التكوينية، بلحاظ القاعدة المقرّرة في علم البلاغة، وهي: أنّ الاسناد إلى الوصف مشعر بالعلية.

(١) هذا المعنى استفدناه من عبارة سماحة الأستاذ (دام ظلّه) بعد تحليلها وتفكيكها إلى عدّة أدلة، وإلاّ فإنّها لو لوحظت من حيث المجموع بما هو مجموع، سيكون مفادها هو عين مفاد الدليل الأوّل، كما قرّبناه هناك في الصفحات السابقة.

(٢) منهاج الفقاهة: ٤: ٢٦٨.

فعندما يقال مثلاً: إن الطالب المجتهد ينجح في الامتحان ، يشعر الوصف المذكور ضمن الجملة ، وهو (المجتهد) بالعلية ، بمعنى أن الجهد والنشاط علة للنجاح في الامتحان ؛ إذ لو لم يكن كذلك لما كانت هنالك حاجة لذكره في ثنايا العبارة .

وهكذا الآية عندما قالت : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ، وذكرت الوصف ﴿ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ مع إمكان الاستغناء عنه واستبداله بالاسم العلمي ، إنما ذلك من أجل الإشعار بعلية ، وكونه دخيلاً في القدرة على اختراق حدود الزمان والمكان .

المقدمة الثانية : إثبات العلم بالكتاب لآل محمد ﷺ .

وهذه المقدمة تكفلت بإثباتها الروايات الواردة عن السادة المعصومين ﷺ ، ويكفي الرجوع إلى كتاب بصائر الدرجات (باب ما عند الأئمة ﷺ من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب) ^(١) ، حيث اشتمل الباب المذكور على إحدى وعشرين رواية ، وكلها صريحة في الدلالة على المطلوب .

فمنها : ما رواه في البصائر ، وأورده ثقة الإسلام الكليني رحمه الله في الكافي ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ ومحمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن ذكره ، جميعاً عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن بريد بن معاوية ، قال : « قلت لأبي جعفر عليه السلام : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ^(٢) . قال : إيانا عنى ، وعليّ أولنا ، وأفضلنا ، وخيرنا بعد النبي ﷺ » ^(٣) .

(١) بصائر الدرجات : الجزء ٥ ، الباب الأول ، (باب ما عند الأئمة ﷺ من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب) .

(٢) الرعد ١٣ : ٤٣ .

(٣) بصائر الدرجات : الجزء ٥ ، الباب الأول ، الحديث ١٢ . والكافي : كتاب الحجة - «

وتؤيدها عدة روايات ، منها: ما عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ، قال: ففرج أبو عبدالله عليه السلام بين أصابعه ، فوضعها على صدره ، ثم قال: « والله ! عندنا علم الكتاب كله » ^(١).

والمتحصل: أن كل هذه الروايات صريحة في الدلالة على أن آل محمد عليهم السلام لديهم علم الكتاب بأكمله؛ إذ في قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ والذي كان موضع استشهاد المعصومين عليهم السلام إشارة واضحة إلى أن العلم المختزن لديهم عليهم السلام علم كلي ، في قبال العلم الذي أشارت إليه الآية الأخرى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ ، فإنه علم جزئي.

المقدمة الثالثة: إثبات وحدة الكتابين في الآيتين.

الظاهر من كلام الأستاذ (دام ظلّه): أنه يستدلّ بالآيتين الكريمتين على إثبات الولاية التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، بضمّ كلّ واحدة منهما إلى الأخرى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ ﴾ ، و: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ، بتقريب: أن من عنده علم من الكتاب إذا كان قادراً على التصرف التكويني ، فمن لديه علم الكتاب بكامله يكون أقدر على التصرف ، فتثبت له الولاية التكوينية.

والتحقيق: أن الاستدلال بهذا المقدار لا يتم حتى يتم إثبات وحدة الكتابين في

» الباب ٣٥ ، الحديث ٦. والرواية صحيحة سنداً؛ إذ يرويه ثقة الإسلام الكليني رحمته الله ، عن علي بن إبراهيم القمي ، وهو الثقة الثبت المعتمد ، عن أبيه إبراهيم بن هاشم ، وهو ممن لا ينبغي الشك في وثاقته ، عن ابن أبي عمير ، ووثاقته أجل من أن تذكر ، عن ابن أذينة ، وهو عمر بن أذينة البصري الثقة ، عن بريد بن معاوية ، وهو البجلي الثقة الذي كان من وجوه الأصحاب ، وفقهاء الطائفة ، فسند الرواية في غاية الاعتبار.

(١) بصائر الدرجات: الجزء ٥ ، الباب الأول ، الحديث ٢.

الآيتين؛ لأنه إذا كان المقصود من الكتاب الذي أحاط ببعضه وصي سليمان عليه السلام شيئاً، والكتاب الذي يعلم به آل محمد عليه السلام شيئاً آخر، فإنه لا يمكن الانتقال من هذه الآية إلى الآية الثانية، واستنتاج ثبوت الولاية التكوينية للمعصومين عليه السلام بالأولوية، ومن هنا يتحتم البحث حول إثبات وحدة الكتاب في كلا الآيتين.

وقد كفتنا مؤونة البحث حول هذه النقطة الروايات المعتبرة، والتي تقدم ذكر بعضها، حيث قرنت بين الآيتين في مقام الاستدلال، مما يعني أن وحدة الكتابين أمر مفروغ عنه عند حملة أسرار الكتاب عليه السلام.

فمنها: ما رواه المحدث الطبري الشيعي رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ولا تعجبوا من أمر الله سبحانه، فإن أصف بن برخيا كان وصياً، وكان عنده علم من الكتاب - على ما قصه الله تعالى في كتابه - فأتى بعرش بلقيس من سبأ إلى بيت المقدس قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه، وأنا أكبر قدرة منه، فإن عندي علم الكتاب كله. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١)»^(٢).

ومنها: ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً أنه قال لسلمان: «يا سلمان، الويل كل الويل لمن لا يعرفنا حق معرفتنا، وأنكر فضلنا.

يا سلمان، أيما أفضل: محمد ﷺ أم سليمان بن داود؟

فقال سلمان: بل محمد ﷺ.

(١) الرعد ١٣: ٤٣.

(٢) نوادر المعجزات: ٤٧. وقد علق (طاب ثراه) على هذه الرواية بقوله: «وهذا الفصل من كلامه عليه السلام معروف مشهور بين المؤلف والمخالف».

وأورد الرواية أيضاً صاحب عيوان المعجزات - من أعلام القرن الخامس الهجري -: ٣١، وعلق عليها بنفس التعليق السابق مع تغيير بسيط، حيث قال: «وهذا فصل من كلامه عليه السلام، فقد ذكره في مواطن كثيرة، وهو معروف مشهور في الموافق والمخالف».

قال: فهذا أصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من مكانه إلى سليمان في طرفة عين، إذ كان عنده علم من الكتاب، وكيف لا أفعل أنا أضعاف ذلك وعندي علم ألف كتاب»^(١).

ومن تلك الروايات: ما عن سدير، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يا سدير، ما تقرأ القرآن؟»

قال: قلت: قرأناه جعلتُ فداك.

قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْزُقَ إِلَيْكَ طَرَفُكَ﴾؟
قال: قلتُ: جعلتُ فداك، قد قرأته.

قال: فهل عرفت الرجل؟ وعلمت ما كان عنده من علم الكتاب؟

قال: قلتُ: فأخبرني حتى أعلم.

قال: قدر قطرة من المطر الجود في البحر الأخضر ما يكون ذلك من علم الكتاب؟
قال: قلتُ: جعلتُ فداك، ما أقل هذا!

قال: يا سدير، ما أكثره إن لم ينسبه إلى العلم الذي أخبرك. يا سدير، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾
كله؟ قال: وأوماً بيده إلى صدره، فقال: علم الكتاب كله، والله عندنا ثلاثاً^(٢).

وبعد أن ثبت إجمالاً وحدة الكتاب في الآيتين، فليس من المهم تنقيح المقصود من الكتاب فيهما تفصيلاً، وتحديد أن المراد به هل هو: اللوح المحفوظ، أم الاسم الأعظم، أم الكتب السماوية السابقة، أم كتاب التكوين بما يحتويه من فلسفة وأسرار، أم هو القرآن الكريم؟

(١) المحتضر: ٢٧٨.

(٢) بصائر الدرجات: الجزء ٥، الباب الأول، الحديث ٣.

نعم ، بناءً على كون المقصود من مفردة (الكتاب) في الآيتين ، هو: القرآن الكريم ، كما هو المتعارف في الاستخدامات القرآنية ، من قبيل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١) ، وقوله أيضاً: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٢) قد يخطر في ذهن بآن قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يتحدث عن مرحلة قد سبقت نزول القرآن بفترة زمنية طويلة ، فلذلك لا يمكن حمل مفردة الكتاب في هذه الآية على القرآن الكريم ؛ لعدم وجوده في ذلك الوقت ، مما يوجب الإشكال في هذا الاحتمال .

وحاصل الجواب عن هذه الخاطرة: أن القرآن الكريم له وجودان: وجود تدويني ، ووجود تكويني ، كما يستفاد ذلك من القرآن الكريم نفسه ؛ إذ عند الرجوع إلى الآيات القرآنية المتعلقة بهذه النقطة نستطيع تصنيفها إلى طوائف ثلاث:

الطائفة الأولى: الآيات التي تدلّ على وجود حقيقة للقرآن وراء وجوده التدويني ، الذي نزل على النبي ﷺ .

ومن تلك الآيات: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْتُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) ، وكذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^(٤) .

الطائفة الثانية: الآيات التي صرّحت بوجود آثار تكوينية للقرآن الكريم .

(١) البقرة ٢: ٢ .

(٢) فاطر ٣٥: ٣٢ .

(٣) الواقعة ٥٦: ٧٧ - ٨٠ .

(٤) البروج ٨٥: ٢١ و ٢٢ .

من قبيل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَن قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ مَوْتًى بِلِ اللَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾^(٢).

إذ من المعلوم أن هذه الآثار التكوينية ليست لورق القرآن وقرطاسه ، فإن القرآن بورقه لو وُضِعَ على جبل لم يتصدّع من خشية الله ، ولا يكلم به الموتى ، ولا تقطع به الأرض ، ممّا يعني كون هذه الآثار والخصائص لحقيقته التكوينية ، التي هي وراء ألفاظه ، ووجوده التدويني .

الطائفة الثالثة: الآيات القرآنية التي تدلّ على النزول الدفعي للقرآن الكريم.

من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾^(٣) ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٤).

فإن هذه الآيات الشريفة تدلّ على أن القرآن الكريم كان له نزول دفعي على قلب النبي ﷺ في قبال نزوله التدريجي بحسب المناسبات ، ومن المعلوم أن الذي أنزل عليه دفعة ليس هو القرآن بوجوده التدويني ، وإلا لما نزل عليه مرة أخرى ، فيتعيّن أن يكون النازل دفعة هو الوجود التكويني للقرآن .

إذا عرفت ذلك تعرف: أن الكتاب الذي أطلع عليه آصف بن برخيا ، إن كان هو القرآن الكريم ، فهو ليس القرآن بوجوده التدويني ؛ إذ الوجود التدويني للقرآن

(١) الحشر ٥٩ : ٢١ .

(٢) الرعد ١٣ : ٣١ .

(٣) الدخان ٤٤ : ٣ .

(٤) القدر ٩٧ : ١ .

إنما تحقق بعد بعثة النبي ﷺ ، بل هو شيء من القرآن بحسب حقيقته التكوينية ، والذي كان موجوداً في اللوح المحفوظ فأطلع الله تعالى آصف بن برخيا على شيء منه .

عودة على بدء :

وبعد ما ذكرناه نعود لأصل الاستدلال ، فنقول : إن الولاية التكوينية ثبتت لأصف بن برخيا ؛ لأن لديه علماً من الكتاب ، وآل محمد ﷺ لديهم العلم بنفس ذلك الكتاب كله ، فلازم ذلك ثبوتها للمعصومين ﷺ بشكل أوسع وأقوى ، لعلمهم بالكتاب كله .

ويمكن أن نتجاوز المقدمتين الأخيرتين من الدليل ، ونصوغه بصياغة صناعية أخرى ؛ وذلك بأن نلغي كلا المقدمتين ، ونضيف عوضاً عنهما المقدمة الثانية من الدليل السابق .

وهي : أفضلية محمد وآل محمد ﷺ على جميع الخلق ، فنقول : آصف بن برخيا ثبتت له الولاية التكوينية ، والمعصومون ﷺ أفضل منه شأنًا ، وأعلى منه مقامًا ، فيتحتّم ثبوت الولاية التكوينية لهم ﷺ بالأولوية القطعية ؛ إذ ما يثبت للمفضول من الكمالات والخصائص والمقامات يتعيّن ثبوته للفاضل بالأولوية .

وقف مع مناقشة بعض المعاصرين للاستدلال بالآية الكريمة :

قال بعض المعاصرين : « وربّما يتمسك البعض لإثبات الولاية التكوينية بما ورد في سياق قصة سليمان عليه السلام عن ذلك الذي عنده ﴿ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ الذي أعلن قدرته على الإتيان بعرش ملكة سبأ قبل أن يرتد إليه طرفه ، وذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ، بتقريب : أن سبب القدرة هو العلم من الكتاب ، والأنبياء والأئمة يملكون علم الكتاب ، فلهم الولاية بطريق أولى .

ولكننا نلاحظ على هذا الاستدلال:

أولاً: أننا لا نجد في هذا دليلاً على الولاية التكوينية، إذ ليس من الواضح ما هو الكتاب؟ حتى يعمم الموضوع إلى من عنده علم الكتاب بالأولوية.

ثانياً: أنه من غير المعلوم أن قدرته على الإتيان بعرشها ناشئ من علمه ذلك، إذ قد يقال إن قوله: ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كقوله: ﴿عَفْرِتُ مَنْ الْجَنِّ﴾، فيكون من باب الإشارة إلى الشخص بالوصف، بحيث لا يكون الوصف دالاً على أن قدرته ناشئة من خلاله، بل ناشئة من سبب آخر.

ثالثاً: ثم لو قلنا بدلالة ذلك على الولاية التكوينية، فلازمه إثباتها للعفريت من الجن أيضاً، لأن الفارق بينهما هو في الزمن، حيث العفريت يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه، وذلك قبل أن يرتد إليه طرفه!

رابعاً: ثم بالإمكان إثارة السؤال: لماذا يستعين سليمان عليه السلام بغيره لذلك، مع أنه نبي، والمفروض أنه يعلم الكتاب كله، وبالتالي له الولاية التكوينية حسب المدعى؟! (١).

ولنا على جميع ملاحظاته ملاحظات:

الملاحظة الأولى: لقد ظهر من خلال الروايات المتقدمة - والتي عبر المحدث الطبري عن بعضها بأنه مشهور عند الموافق والمخالف - وحدة الكتابين في الآيتين، فلامجال للدغدة في الاستفادة من نكتة الأولوية.

الملاحظة الثانية: إن العلم المذكور هو منشأ القدرة بلا ريب، وتشهد لذلك مضافاً لما أوضحناه قريباً من كون الإسناد إلى الوصف مشعراً بالعلية، معتبرة ابن

(١) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية: ٤٩ فما بعدها.

بكير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « كنت عنده فذكروا سليمان وما أعطي من العلم ، وما أوتي من الملك ، فقال لي : وما أعطي سليمان بن داود ؟ إنما كان عدده حرف واحد من الاسم الأعظم ، وصاحبكم الذي قال الله : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ كان والله عند علي عليه السلام علم الكتاب »^(١).

ثم إن الاستدلال بهذه الآية المباركة لا يتوقف على تمامية ما ذكر ، لوجود طريق آخر للاستدلال بها لا يمر بالمقدمتين المذكورتين ، وقد أشرنا إليه في نهاية الاستدلال بالآية المباركة ، فلا نعيد.

وقد ورد هذا النحو من الاستدلال في معتبرة أبان الأحمر ، قال الصادق عليه السلام : « يا أبان ، كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين عليه السلام لما قال : لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربت بها صدر ابن أبي سفيان بالشام ، فنكسته عن سريره ، ولا ينكرون تناول آصف وصي سليمان عرش بلقيس ، وإتيان سليمان به قبل أن يرتد إليه طرفه ، أليس نبينا صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء ، ووصيه عليه أفضل الأوصياء ، أفلا جعلوه كوصي سليمان ، حكم الله بيننا وبين من جحد حقنا وأنكر فضلنا »^(٢).

الملاحظة الثالثة : إن اللازم الذي ذكره لا محذور في الالتزام به ، فكما أن لأصف بن برخيا ولاية تكوينية ، كذلك لعفريت الجن أيضاً ، غير أن الولايتين تتفاوتان سعة وضيقاً كما هو واضح من الآيتين ، بل إن بعض الأعلام القائلين بالولاية التكوينية - كالسيد التقي القمي (دام ظله) - قد استدلل لثبوتها - من خلال

(١) بصائر الدرجات : ٢٣٢ . وقد رواها عن محمد بن يحيى العطار ، عن محمد بن الحسن الصفار ، عن يعقوب بن يزيد ، عن الحسن بن علي بن فضال ، عن عبد الله بن بكير ، وكل هؤلاء الرواة ثقة لا مطعن ولا مغمز في وثاقة واحد منهم .

(٢) الاختصاص : ٢١٢ و ٢١٣ . والرواية معتبرة السند كما سيأتي في الصفحة ٢٩٤ .

الاستعانة بنكتة الأولوية - بآية عفريت الجن^(١).

الملاحظة الرابعة: إنَّ التساؤل الذي أثاره هذا المعاصر ولم يجد له جواباً، قد سبق ليحيى بن أكرم أن سألَه الإمام الهادي عليه السلام، فأجاب عنه بقوله: «ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، لكنّه (صلوات الله عليه) أحبّ أن يعرف أمته من الجنّ والإنس أنّه الحجّة من بعده، وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه آصف بأمر الله ففهمه ذلك لثلاثا يختلف عليه في إمامته ودلالته، كما فهم سليمان في حياة داود عليه السلام لتعرف نبوته وإمامته من بعده لتأكّد الحجّة على الخلق»^(٢).

والغريب في الموضوع أنّ هذا المعاصر قد طرح عليه نفس السؤال الذي قام بإثارتِه، فأجاب عنه بقوله: «طلب النبيّ سليمان ممّن حوله أن يأتوا بالعرش لا يدلّ على عدم إمكانية أن يدعو الله تعالى مباشرة بذلك، ولكن كان له موقعه الذي من شأنه أن يتولّى أعوانه أموره، كما أنّ في ذلك حكمة وإظهاراً لما أعطاه الله من قدرة»^(٣)، ولست أدري ماذا حدا ممّا بدا؟!!!

(١) دارساتنا من الفقه الجعفري ٣: ٣٦.

(٢) بحار الأنوار: ١٠: ٣٨٧.

(٣) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية: ٩١.

الدليل الثالث:

ما أشار إليه المحقق الكبير السيّد البجنوردي رحمته بقوله: «وهذه المرتبة من الولاية هي التي قارنها الله في كتابه العزيز بولاية نفسه، حيث قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١)، وهذه الولاية عبارة عن كون الولي متصرفاً في جميع الكون -سمائه وأرضه- بإذن الله جلّ جلاله»^(٢).

ولا يخفى أنّ الاستدلال بهذه الآية المباركة على ثبوت مقام الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام يتوقف على تمامية مقدمات ثلاث:

المقدمة الأولى: تحديد المراد من ولاية الله سبحانه وتعالى.

وحول هذه النقطة يكفي ما أفاده العلامة الطباطبائي رحمته في تفسيره الميزان، وحاصله بتقريب منا: إنّ تتبّع الآيات القرآنية والتأمل فيها يقضي بأنّ ولاية الله في القرآن قد استخدمت بمعانٍ ثلاثة:

المعنى الأوّل: ولاية التكوين.

وقد أقام السيّد الطباطبائي رحمته مجموعة من الشواهد على استخدام لفظ الولاية بهذا المعنى في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٣). ومنها قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾^(٤).

وقد أشرنا في المباحث السابقة إلى مجموعة من الآيات القرآنية التي تثبت

(١) المائدة ٥: ٥٥.

(٢) منتهى الأصول: ٢: ٥٣٣.

(٣) ق ٥٠: ١٦.

(٤) الأنفال ٨: ٢٤.

الولاية التكوينية لله سبحانه وتعالى.

المعنى الثاني: ولاية النصر.

وقد استشهد السيد الطباطبائي رحمته الله على هذا المعنى بعدة آيات من القرآن، منها: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(١)، ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾^(٢)، وكذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

المعنى الثالث: ولاية التشريع.

وقد استشهد السيد الطباطبائي رحمته الله على ثبوت هذه الولاية لله سبحانه بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٤).

والخلاصة: فإن الولاية الثابتة لله (عز وجل) في القرآن الكريم قد استخدمت بمعانٍ ثلاثة:

- ولاية التكوين.
- ولاية النصر.
- ولاية التشريع.

وكما يقول العلامة الطباطبائي رحمته الله: «فهذا ما ذكره الله تعالى من ولاية نفسه في كلامه، ويرجع محصلها إلى ولاية التكوين، وولاية التشريع، وإن شئت

(١) محمد صلوات الله عليه ٤٧: ١١.

(٢) التحريم ٦٦: ٤.

(٣) الروم ٣٠: ٤٧.

(٤) الأحزاب ٣٣: ٣٦.

سميتها: بالولاية الحقيقية ، والولاية الاعتبارية^(١).

ومما يجدر ذكره أن ما ذكرناه من أقسام الولاية ليس عبارة إلا عن الأقسام الرئيسية التي تتفرع عنها جميع أقسام الولاية؛ إذ أن له تعالى الولاية المطلقة بكل ما للكلمة الإطلاق من معنى ، كما أن نفس البرهان الذي قام على خالقيته وصانعيته يقتضي ثبوت الولاية الحقّة الحقيقية له تعالى من غير حاجة للاستدلال بالآيات القرآنية المباركة إلا لأجل التنبيه أو الإرشاد.

المقدمة الثانية: إثبات السخية بين ولاية الله وولاية رسوله والأئمة عليهم السلام.

فإن الاستدلال حتى يكون تاماً لا بد من إثبات المسانحة بين الولايات الثلاث ، بحيث تكون ولاية الذين آمنوا وولاية الرسول من سنخ ولاية الله عز وجل؛ إذ قد يقول قائل: نحن وإن سلمنا بأن ولاية الله سبحانه وتعالى هي ولاية التكوين وولاية التشريع ، ولكننا لا نسلّم أن ولاية الذين آمنوا من قبيل ولاية الله ، وإنما هي من سنخ آخر ، كالمحبة مثلاً ، وهذا يعني أننا ما لم نثبت أن ولاية الذين آمنوا مسانحة لولاية الله ، فلا يمكن أن يتم الاستدلال ، وعليه فلا بد من إقامة البرهان على وجود المسانحة بينها.

والذي يمكن الاستدلال به على وجود المسانحة بين الولايات الثلاث عبارة عن نكتتين:

النكتة الأولى: وحدة النسبة والإسناد.

فإن إسناد الواحد إلى المتعدد أو إسناد المتعدد ونسبته إلى شيء واحد يعني إشراكه في ذلك الشيء.

وفي الآية المباركة تمّ إسناد الواحد إلى المتعدد ، فالله ، ورسوله ، والذين

(١) تفسير الميزان: ٦: ١٢.

آمنوا، أمور متعدّدة، ومع ذلك قد أسندَ إليها شيء واحد، وهو الولاية، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، ممّا يعني اشتراك المتعدّد فيما أسند إليه، وإلا لما صحّ الإسناد إليه إسناداً واحداً.

وهذا ما نبّه عليه العلامة الطباطبائي رحمه الله في الميزان حيث قال: «حيث تضمّن العدّ في قوله: ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، وأسند الجميع إلى قوله: ﴿وَلِيُّكُمُ﴾، وظاهره كون الولاية في الجميع بمعنى واحد»^(١).

وبعبارة أخرى: إنّ الآية الكريمة قد ذكرت ولاية الله، وولاية الرسول، وولاية الذين آمنوا في سياق واحد، وبنفس الإسناد، فلو كانت ولاية الرسول وولاية الذين آمنوا تختلفان عن ولاية الله لما صحّ الإسناد الواحد للجميع، سيّما مع عدم وجود الجامع العرفي بينها، ولكان من اللازم أن يقول القرآن: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَوَلِيُّكُمْ رَسُولُهُ وَوَلِيُّكُمْ الَّذِينَ آمَنُوا، أو يقول: وَوَلِيُّكُمْ رَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وذلك للتنبيه على تعدّد الولاية، واختلاف السنخية، فلمّا لم تنبّه الآية على ذلك، وأسندت الولاية للجميع إسناداً واحداً، كشف ذلك عن كون ولاية الذين آمنوا مسانخة لولاية الله تعالى.

وهذه النكتة يبني عليها القرآن الكريم كثيراً في استعمالاته، فعندما يختلف الأمران ينبّه على ذلك بعدم وحدة الإسناد، وعندما يتحدان ينبّه على ذلك بوحدة النسبة والإسناد.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) لم تتحد فيه النسبة، بل تعدّدت: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ وذلك لأنّ الإيمان بالله يختلف عن الإيمان للمؤمنين، ولما تعدّد المقصود من الإيمان تعدّد الإسناد

(١) تفسير الميزان: ٦: ١٢.

(٢) التوبة ٩: ٦١.

للتنبية على تعدده.

وكذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(١) لم يجعل فيه الإسناد واحداً، وذلك للتنبية على أن طاعة الرسول تختلف عن طاعة الله، فطاعة الرسول ﷺ طاعة الانقياد، بينما طاعة الله طاعة العبادة، وطاعة العبادة تختلف عن طاعة الانقياد والامتثال.

وبالنتيجة: فإن جعل الإسناد واحداً في الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ للتنبية على المساخة بين الولايات؛ إذ لو كانت معانيها متغايرة للزم تكرار لفظ الولاية مرة بعد أخرى.

النكته الثانية: صيغة الإفراد لمفردة الولي.

فإن عدم استخدام صيغة الجمع في الآية الكريمة إنما هو للتنبية على أن الولاية في الآية بمعنى واحد؛ إذ لو كانت الولاية في الآية ليست من سنخ واحد للزم التنبية على ذلك، إما عن طريق تعدد الإسناد، وإما عن طريق تغيير الصيغة من الإفراد إلى الجمع، فيقال: إنما (أولياؤكم).

وقد نبّه على هذه النكته الشيخ المشهدي رحمه الله في تفسيره، حيث قال: «وإنما قال: وليكم، ولم يقل أولياؤكم للتنبية على أن الولاية لله ولرسوله وللمؤمنين واحدة»^(٢).

ملاحظة وتنبيه:

ولكن ما أفاده الله لا يخلو عن نظر؛ إذ الظاهر منه أنه يبني على مسلك صاحب المعالم رحمه الله في مسألة جواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى وعدمه، حيث فصل

(١) النساء ٥٩: ٤.

(٢) تفسير كنز الدقائق: ٤: ١٤٤.

صاحب المعالم بين المفرد، فمنع من استعماله في أكثر من معنى، وبين التثنية والجمع؛ إذ أجاز فيهما استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد، بدعوى: أن التثنية أو الجمع بمثابة تكرار اللفظ، فعندما تقول: «أولياؤكم» كأنك قلت: «وليّ ووليّ ووليّ»، وكما يصحّ في تكرار اللفظ استخدامه في عدّة معانٍ مختلفة، كذلك يصحّ في الجمع والتثنية لكونهما بمثابة التكرار، بينما ذلك لا يصحّ في المفرد؛ نظراً لوحده، فلا يصحّ إرادة أكثر من معنى واحدٍ منه^(١).

وعلى ضوء هذه النظرية استفاد الشيخ المشهدي رحمته أن إفراد لفظ (الولاية) من أجل التنبيه على كون المقصود منها في الآية معنى واحداً بالنسبة لله والرسول والذين آمنوا؛ إذ لو كان المعنى المقصود من الولاية متعدّداً لعدّل القرآن من صيغة الإفراد إلى صيغة الجمع.

ويلاحظ عليه: ما أفاده المتأخرون من محققي علم الأصول، من أن التثنية والجمع وإن كانا بمنزلة تكرار اللفظ، ولكنّه من باب تكرار أفراد نفس المعنى المراد من المادة، وليس من باب تكرار المعنى المراد منها، بل المعنى يبقى واحداً، غاية الأمر تعدّدت أفرادها.

وبعبارة أخرى: إن غاية ما يصحّ عن طريق الجمع: «أولياؤكم» هو إرادة تعدّد أفراد الولاية ذات المعنى الواحد، وأمّا إرادة تعدّد نفس معاني الولاية، فإنّه لا يصحّ إلا بناءً على جواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى، وهو لا يصحّ إمّا لاستحالة عقله، كما هو مسلك المحقّق الأخند^(٢) والمحقّق النائيني^(٣) رحمتهما،

(١) معالم الأصول: ١٠٣.

(٢) كفاية الأصول: ٣٦.

(٣) أجود التقريرات: ١: ٧٦.

وإما لعدم حسنه مع عدم وجود الجامع العرفي ، أو نصب القرينة المعيّنة ، كما هو مختار المحقق الخوئي رحمته الله ^(١) ، وتفصيل الكلام مع البرهان موكل إلى محله .

والحاصل : فإنَّ النكته الثانية لا يصحَّ التعويل عليها لإثبات المسانحة بين ولاية الله ورسوله والذين آمنوا ؛ نظراً لما ذكرناه ، فتبقى لدينا النكته الأولى ظاهرة في سنجية الولاية ووحدتها في الآية المباركة .

وإذا تمَّ ذلك ثبت أنَّ الولاية التي كانت لله تعالى ثابتة للذين آمنوا ، وبما أنَّ ولاية الله هي ولاية التكوين والتشريع ، فولاية الذين آمنوا أيضاً ولاية التكوين والتشريع ، غاية الأمر أنَّ ولاية الله تعالى ولاية استقلالية ذاتية بالأصالة ، وولاية الذين آمنوا ولاية إفاضية بالغير .

المقدمة الثالثة : إثبات أنَّ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ في الآية هم آل محمد .

وهذه المقدمة تكفلت بإثباتها الروايات الكثيرة والمستفيضة :

فمنها : حسنة الحسين بن أبي العلاء ، قال : « ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام قولنا في الأوصياء أنَّ طاعتهم مفروضة .

قال : فقال : نَعَمْ ، هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .

وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(٢) .

(١) محاضرات في أصول الفقه : ١ : ٢٣٨ .

(٢) الكافي : كتاب الحجّة - الباب ٨ (فرض طاعة الأئمة) ، الحديث ٧ . والرواية إن لم تكن موثقة سنداً ، فهي على أقلِّ التقادير حسنة ؛ إذ يرويه ثقة الإسلام الكليني رحمته الله ، عن أحمد بن محمد ، وهو إما العاصمي الكوفي - كما هو الأقرب - أو ابن سعيد بن عقدة ، وكلاهما ثقتان ، عن علي بن الحكم ، وهو النخعي الأنباري ، الذي قيل في حقّه : « ثقة »

وتؤيدها الكثير من الروايات:

فمنها: ما عن زرارة بن أعين ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال: «سألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾»^(١).

قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَمْنَعُ مِنْ أَنْ يُظْلَمَ، وَلَكِنَّهُ خَلَقَنَا بِنَفْسِهِ فَجَعَلَ ظَلَمَنَا ظُلْمَةً، وَوَلَايَتَنَا وَلَايَةً، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَعْنِي الْأَئِمَّةَ مِنَّا»^(٢).

ومنها: ما عن الفضيل ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

قال: هم الأئمة عليهم السلام»^(٣).

ومنها: رواية ابن أبي يعفور ، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أعرض عليك ديني الذي أدين الله به؟ قال: هاته.

قلت: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأقر بما جاء به من عند الله ، ثم وصفت له الأئمة حتى انتهيت إلى أبي جعفر عليه السلام ، قلت: أقول فيك ما أقول فيهم.

فقال: أنهاك أن تذهب باسمي في الناس.

« جليل القدر » ، عن الحسين بن أبي العلاء ، وهو خالد الخفاف ، وعبارة النجاشي في « حقه إن لم تكن ظاهرة في التوثيق ، كما استقرب ذلك المحقق الخوئي رحمته الله فلا أقل من ظهورها في المدح ، فتكون الرواية حسنة سنداً.

(١) البقرة ٢: ٥٧. الأعراف ٧: ١٦٠.

(٢) الكافي: كتاب التوحيد - الباب ٢٣ ، الحديث ١١.

(٣) البرهان في تفسير القرآن ٢: ٤٨٣.

قال أبان: قال ابن أبي يعفور: قلت له مع الكلام الأول: وأزعم أن هم الذين قال الله في القرآن: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ؟

قال: فقال: رحمك الله.

قال: قلت: تقول رحمك الله على هذا الأمر؟

قال: فقال: رحمك الله.

قال: قلت: تقول رحمك الله على هذا الأمر؟

قال: فقال: رحمك الله على هذا الأمر.

ومن خلال مجموع هذه الروايات نستنتج أن الذين آمنوا في آية الولاية هم آل محمد ﷺ.

والنتيجة:

أن الله سبحانه وتعالى قد ثبتت له ولاية التكوين والتشريع بنص القرآن، وهذه الولاية قد ثبتت للذين آمنوا بنكتة المسانخة بين ولايتهم وولايته، والذين آمنوا هم محمد وآل محمد ﷺ، فتثبت لهم ولاية التكوين والتشريع^(١).

(١) وقد يقال - كما عن بعض أساتذتنا -: إن المقدمات المذكورة في مطاوي الاستدلال لا تكفي لإثبات الولاية التكوينية بالآية المذكورة، بل لا بد من إثبات الإطلاق في المحمول؛ إذ قولك: «المعصوم ولي» - كما هو مؤدى الآية المباركة - نظير قولك: «المجتهد عالم»، فكما أن هذه القضية لا إطلاق في محمولها بحيث يثبت كون المجتهد عالماً بكل العلوم، فكذلك تلك لا إطلاق في محمولها بحيث يثبت كون المعصوم ﷺ ولياً بجميع أنحاء الولاية.

والصحيح: أنه لا فرق بين الموضوع والمحمول من ناحية انعقاد الإطلاق فيما لو كان المتكلم في مقام البيان، وأما عدم انعقاده في بعض القضايا نظير «المجتهد عالم»، «

والى هنا ينتهي البحث حول القسم الأول من الأدلة الإثباتية، وهي الأدلة القرآنية، ويقع الكلام فعلاً حول الأدلة الروائية.

« أو الرمان حامض »، فإنما هو لقيام القرينة الخارجية على عدم إمكانه في حد نفسه، وهذه القرينة الخارجية في مثل « المعصوم ولي » مفقودة؛ إذ لا مانع عقلاً ولا شرعاً من كونه غائباً ولياً بجميع أنحاء الولاية، فينقذ الإطلاق في المحمول كما هو منعقد في الموضوع، ويتم الاستدلال بالآية.

القسم الثاني: الأدلة الروائية.

والروايات التي يمكن الاستدلال بها^(١) على ثبوت مقام الولاية التكوينية للمعصومين عليهم السلام روايات كثيرة، ولكن يمكن الاكتفاء بذكر ثلاث طوائف منها:

الطائفة الأولى:

ما دلّ على أنّ الأئمة عليهم السلام ولاية أمر الله.

وروايات هذه الطائفة روايات مستفيضة جداً، بل قد ادّعى بعض الباحثين تواترها الإجمالي، وهي دعوى ليست ببعيدة، ولا بأس في المقام من الإشارة إلى بعضها:

فمنها: صحيحة ابن أبي يعفور، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يابن أبي يعفور،

(١) ذكر بعض المعاصرين في كتابه (نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية) ٤١: «أنّ هناك ثمّة ملاحظة أساسية في المقام، وهي أنّه لا يمكن الاعتماد في مثل هذه المسألة الاعتقادية على الأخبار ما لم تكن متواترة أو مفيدة للاطمئنان على أقلّ تقدير، والروايات التي قد تذكر لإثبات الولاية التكوينية هي أخبار آحاد، ولا تتوفر فيها شروط التواتر، ولا يحصل الاطمئنان بمضمونها، ولا سيّما بملاحظة وجود معارض لها، واشتمال بعضها على مضامين غريبة».

ولا يخفى ما في كلامه من التأمل، فإنّ الروايات التي سنعرضها عبر الطوائف الثلاث روايات كثيرة ومتعدّدة، فدعوى تواترها الإجمالي - إن لم يكن المعنوي - محقّقة بلا ريب، على أنّ هذا النحو من القضايا الاعتقادية يكفي فيه خبر الواحد المفيد للاطمئنان والعلم العادي، كما حُقّق في محله.

إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ، مُتَوَحِّدٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، مُتَفَرِّدٌ بِأَمْرِهِ، فَخَلَقَ خَلْقًا فَقَدَّرَهُمْ لِذَلِكَ الْأَمْرِ، فَنَحْنُ هُمْ يَا بَنِي أَبِي يَعْفُورٍ، فَنَحْنُ حُجَجُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَخُزَائِنُهُ عَلَى عِلْمِهِ، وَالْقَائِمُونَ بِذَلِكَ»^(١).

ومنها: ما عن الأسود بن سعيد، قال: «كنت عند أبي جعفر عليه السلام، فأنشأ يقول ابتداءً من غير أن يُسأل: نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاية أمر الله في عبادِهِ»^(٢).

ومنها: ما رواه أبي بصير، قال: «قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: ألا تحدثني فيكم بحديث؟

قال: نحن ولاية أمر الله، وورثة وحي الله، وعتره نبي الله»^(٣).

وكذلك جاء هذا العنوان (ولاية أمر الله) في بعض الأدعية الماثورة عن الأئمة عليهم السلام، كما في التوقيع الصادر عن الإمام الحجة عليه السلام بواسطة أحد سفرائه الأربعة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وِلَاةُ أَمْرِكَ الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ»^(٤).

(١) الكافي: كتاب الحجة - الباب ١١، الحديث ٥، والرواية صحيحة السند؛ إذ يرويه ثقة الإسلام الكليني عليه السلام عن أحمد بن إدريس، وهو الأشعري القمي الثقة، عن محمد بن عبد الجبار، وهو الشيباني الثقة، عن محمد بن خالد، وهو ابن عبد الرحمن البرقي، بقرينة روايته عن فضالة بن أيوب، ورواية محمد بن عبد الجبار عنه، عن فضالة بن أيوب، وهو الأزدي الثقة، عن عبد الله بن أبي يعفور، وهو العبدي، الذي قيل في حقه «ثقة ثقة» فالرواية صحيحة سنداً.

(٢) بصائر الدرجات: الجزء ٢، الباب ٣، الحديث ١.

(٣) بصائر الدرجات: الجزء ٢، الباب ٣، الحديث ١٥.

(٤) بحار الأنوار: ٩٥: ٣٩٣.

وتقريب الاستدلال بهذه الطائفة من الروايات يتوقف على تحديد المراد من الأمر المضاف إلى الله (سبحانه وتعالى)، والذي جعل المعصومين عليهم السلام ولاية عليه، بحيث صح أن يقال عنهم: (ولاية أمر الله).

وتحقيق المطلب أن الأمر المضاف إلى الله (سبحانه وتعالى) له إطلاقات ثلاثة:

الإطلاق الأول: الأمر التكويني.

وهو بمعنى: السلطنة على الكون بأسره، من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة، وهذا صريح كثير من الآيات القرآنية، فمنها:

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾^(٣).

وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾^(٤).

فالأمر في مجموع هذه الآيات، وفي غيرها، يُراد به: الأمر التكويني، وهو الذي صرحت بعض الآيات القرآنية بأن الله منحه لغيره سبحانه وتعالى، على نحو

(١) الرعد ١٣: ٢.

(٢) يس ٣٦: ٨٢.

(٣) يونس ١٠: ٣.

(٤) يونس ١٠: ٣١.

الموجبة الجزئية ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾^(١).

الإطلاق الثاني : الأمر التشريعي .

وهو عبارة عن سنّ الأحكام ، وتقنين القوانين العامة والخاصة المتعلقة بحياة الإنسان ، وهذا أيضاً يستفاد من مجموعة من الآيات القرآنية الشريفة ، ومنها :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾^(٢) ؛ إذ المقصود من الأمر فيها هو الأمر التشريعي الاعتباري .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾^(٣).

وأيضاً قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾^(٤) ، فالمراد من الأمر فيها هو : الأمر التشريعي .

وهذا الأمر التشريعي هو الذي أشار إليه القرآن الكريم ، وصرّحت روايات أهل البيت عليهم السلام بأن الله تعالى قد فوضه لمحمد وآل محمد عليهم السلام ، وقد أفرد كل من الشيخ صاحب البصائر رحمته الله والشيخ الكليني رحمته الله باباً كاملاً يثبتان فيه تفويض الأمر التشريعي لمحمد وآل محمد عليهم السلام ، وقد اشتمل البابان على روايات كثيرة تدلّ على المطلوب .

منها : صحيحة أبي إسحاق النحوي ، قال : « سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَبَ نَبِيَّهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ ، فَقَالَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٥).

(١) النازعات ٧٩ : ٥ .

(٢) النحل ١٦ : ٩٠ .

(٣) الرعد ١٣ : ٢١ .

(٤) يوسف ١٢ : ٤٠ .

(٥) القلم ٦٨ : ٤ .

ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢).

قال: ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ فَوَّضَ إِلَيَّ وَاتَّصَنَّهُ، فَسَلَّمْتُمْ وَجَحَدَ النَّاسُ... وَنَحْنُ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا جَعَلَ اللَّهُ لِأَحَدٍ خَيْرًا فِي خِلَافِ أَمْرِنَا^(٣).

ومنها: معتبرة الحسن بن زياد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سمعتَه يقول: إِنَّ اللَّهَ أَدَبَ رَسُولَهُ حَتَّى قَوْمَهُ عَلَى مَا أَرَادَ، ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، فَمَا فَوَّضَ اللَّهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ فَوَّضَهُ إِلَيْنَا»^(٤).

(١) الحشر ٥٩: ٧.

(٢) النساء ٤: ٨٠.

(٣) الكافي: كتاب الحجّة - الباب ٥٢، الحديث ١، والرواية صحيحة السند؛ إذ يرويه ثقة الإسلام الكليني رحمه الله بسندها الثاني، عن عدّة من أصحابنا، وتقدّم الكلام حول إفادة هذه الجملة للتوثيق فلا نعيد، عن أحمد بن محمد، وهو مردّد بين ابن عيسى الأشعري، وابن خالد البرقي، بقرينة رواية مشايخ الكليني رحمه الله عنهما، ولا يهّم التمييز بينهما بعد اشتراكهما في الوثاقة، عن ابن أبي نجران، وهو عبد الرحمن بن أبي نجران، الذي قيل في حقّه: «ثقة ثقة»، عن عاصم بن حميد، وهو الحنّاط الحنفي، الذي قيل في حقّه: «ثقة»، عن عيسى بن عاصم، صدوق، عن أبي إسحاق النحوي، وهو ثعلبة بن ميمون، الذي قيل في حقّه: «ثقة»، عن خير، فاضل، مقدّم، معلوم في العلماء والفقهاء الأجلّة، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) بصائر الدرجات: الجزء ٨، الباب ٥، الحديث ٦. والرواية معتبرة السند؛ إذ يرويه الثقة الثبت محمد بن الحسن الصفّار، عن محمد بن عبد الجبار، وهو ابن أبي الصهبان الثقة، عن الحسن بن الحسين، وهو اللؤلؤي الثقة، بقرينة روايته عن لاحقته، واستثناء ابن الوليد له من روايات أحمد بن محمد لا يعدّ تضعيفاً له لمن تأمل، فلا يعارض توثيقه.

والروايات بهذا المعنى كثيرة جداً ومتعددة، وكلها تدلّ على أن أمر الدين والتشريع الثابت لله تعالى، قد فوضه لمحمد وآل محمد عليهم السلام ^(١).

الإطلاق الثالث: أمر الحاكمية والسلطنة.

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ ^(٢)، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ^(٣)، حيث ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من الأمر فيها، هو أمر الحاكمية والسلطنة، ولكن الظاهر أن الأمر فيها ليس منحصرًا بأمر الحاكمية والسلطنة فقط، بل كما هي نظرة إلى أمر الحاكمية نظرة إلى أمر التشريع أيضاً، بلحاظ السياق؛ إذ طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله عامة في أوامر التشريع، وأمر السلطنة والحاكمية.

عودة على بدء:

وبعد أن تحدّد مفهوم الأمر الإلهي من خلال الآيات القرآنية، نرجع إلى الروايات التي ذكرناها في بداية البحث، والتي عبّرت عن الأئمة عليهم السلام بأنهم (ولاة أمر الله) سبحانه وتعالى، أي الذين جعلهم الله تبارك وتعالى أولياء على أمره، وأمره سبحانه - كما اتّضح - لا ينحصر بأمر الحاكمية، ولا بأمر التشريع، بل لديه

» النجاشي له، عن أحمد بن الحسن، وهو اللؤلؤي، الذي وثّقه الشيخ الطوسي رحمته الله في رجاله، بقرينة رواية سابقة عنه، عن محمد بن الحسن بن زياد، وهو العطار الثقة، عن أبيه، وهو الحسن بن زياد العطار الثقة، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(١) لاحظ: الكافي: كتاب الحجّة، الباب ٥٢ (باب التفويض إلى رسول الله وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدين)، وكذلك: بصائر الدرجات: الباب ٥ (باب في أن ما فوض لرسول الله صلى الله عليه وآله فقد فوض إلى الأئمة عليهم السلام).

(٢) الروم ٣٠: ٤.

(٣) النساء ٤: ٥٩.

من الأمر: الأمر التكويني ، وعليه: فيثبت للأئمة عليهم السلام أمر التكوين ، وأمر التشريع ، وأمر الحاكمية ، بمقتضى كونهم عليهم السلام ولاية لأمر الله تعالى .

حيث صرحت الروايات بأنهم ولاية أمر الله تعالى ، ولم تقيد ولايتهم بجانب معين ، بل أطلقت هذا العنوان عليهم من غير تحديد أو تقييد ، ومن هذا الإطلاق يستفاد أنهم عليهم السلام ولاية لأمر الله في التكوينية والتشريعية ، وكذلك في أمر الحاكمية والسلطنة .

ويمكن تأييد ذلك بروايه البرنطي ، عن محمد بن حمران ، عن الأسود بن سعيد ، قال : « كنتُ عند أبي جعفر عليه السلام ، فقال مبتدئاً من غير أن أسأله : نحن حجة الله ، ونحن باب الله ، ونحن لسان الله ، ونحن وجه الله ، ونحن عين الله في خلقه ، ونحن ولاية أمر الله في عباده .

ثم قال : يا أسود بن سعيد ، إن بيننا وبين كل أرض ترأ^(١) مثل ترّ البناء ، فإذا أمرنا في أمرنا جذبنا ذلك التّر ، فأقبلت إلينا الأرض بقلبها وأسواقها ودورها ، حتى ننفذ فيها ما نؤمر فيها من أمر الله تعالى »^(٢) .

(١) التّر: هو الخيط الذي يوضع ليقاس به البناء .

(٢) بحار الأنوار : ٢٥ : ٣٨٤ .

الطائفة الثانية:

ما دلّ على وجود الاسم الأعظم عند المعصومين عليهم السلام.

وتقريب الاستدلال بهذه الروايات: أن المستفاد من النصوص هو أن كل من كان عنده شيء من الاسم الأعظم كانت لديه قدرة على التصرف في التكوينية، والمعصومون عليهم السلام عندهم جلّ حروف الاسم الأعظم، فلا بد أن تكون عندهم ولاية على التكوين، مما يعني أن الاستدلال بهذه الطائفة من الروايات يتوقف على ثبوت مقدمتين:

المقدمة الأولى: وجود القدرة على التصرف التكويني عند من يوجد عنده الاسم الأعظم أو بعض حروفه.

المقدمة الثانية: وجود الاسم الأعظم عند المعصومين عليهم السلام.

وقبل الدخول في إثبات كلا المقدمتين لا بأس بإلقاء الضوء قليلاً على مفهوم الاسم الأعظم، وبيان المقصود منه، وبما أنه لا طريق إلى معرفة حقيقة الاسم الأعظم وآثاره وما يتعلق به، إلا الطريق التعبدي - نظراً لكون الاسم الأعظم من الأمور الغيبية، والأمور الغيبية لا طريق لمعرفة إلا عن طريق العالمين بالغيب والعارفين به؛ إذ لا مجال للأحكام العقلية في استكناه ومعرفة الحقائق الغيبية - لذلك يتحتم الرجوع إلى روايات أهل البيت عليهم السلام لمعرفة ما أفادوه عليهم السلام.

وبعد تتبّع الروايات التي تحلّثت عن الاسم الأعظم يمكن أن يستفاد منها ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الاسم الأعظم يتكوّن من ثلاثة وسبعين حرفاً.

وهذا ما اتّفقت عليه جميع الروايات التي تحلّثت عن الاسم الأعظم، ما خلا رواية واحدة، وهي المروية عن سعد بن أبي عمر الجلاب، عن الإمام أبي عبد الله

الصادق عليه السلام: «إن اسم الله الأعظم على اثنين وسبعين حرفاً»^(١)، فإنها تنص على أن عدد حروف الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، في قبال الروايات الأخرى التي تؤكد على أن حروف الاسم الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، وقد حملها الأعلام على الاشتباه، إما من الراوي، وإما من النسخ، والوجه في حملها على الاشتباه: كونها مخالفة لمجموع الروايات التي تحدثت عن حروف الاسم الأعظم، مضافاً إلى ضعفها السندي.

الأمر الثاني: إعطاء الاسم الأعظم لبعض الأنبياء عليه السلام فقط.

والذي يستفاد من الروايات: أن الذين حصلوا على الاسم الأعظم من الأنبياء ستة، وهم:

الأول: النبي آدم عليه السلام، وباتفاق الروايات أنه أعطي خمسة وعشرين حرفاً من حروف الاسم الأعظم.

الثاني: النبي عيسى عليه السلام، وباتفاق الروايات أنه أعطي حرفين من حروف الاسم الأعظم فقط.

الثالث: النبي موسى عليه السلام، وباتفاق الروايات أيضاً أنه أعطي أربعة حروف من حروف الاسم الأعظم.

الرابع: النبي إبراهيم عليه السلام، وبحسب أصح الروايات سنداً أنه أعطي ستة حروف من حروف الاسم الأعظم^(٢).

(١) بحار الأنوار: ١٤: ١١٤.

(٢) بصائر الدرجات: الجزء ٤، الباب ١٢، الحديث ٤. والرواية يرويها الثقة الشيباني محمد بن الحسن الصفار صاحب البصائر، عن محمد بن عبد الجبار، وهو ابن أبي الصهبان الثقة، عن أبي عبد الله البرقي، وهو محمد بن خالد البرقي، الذي وثقه الشيخ «

الخامس: النبي نوح عليه السلام، وقد اختلفت الروايات في تحديد عدد الحروف التي أعطيت له عليه السلام، فرواية تقول: خمسة عشر حرفاً، ورواية تقول: ثمانية أحرف، وهي أصح الروايات^(١).

السادس: النبي سليمان عليه السلام، وباتفاق الروايات أنه أعطي حرفاً واحداً فقط. وهؤلاء الأنبياء الستة فقط هم الذين ثبت لهم من خلال الروايات التي بين أيدينا، أن الله قد تفضل عليهم بالاسم الأعظم، وأكثرهم كانوا من أولي العزم، ما عدا النبي سليمان عليه السلام.

ومن هنا نستكشف أن الاسم الأعظم ما كان يُعطى إلا لأصحاب المراتب العالية جداً من الأنبياء، وإلا لما تفرّد به تقريباً خصوص أولي العزم من الأنبياء، ولعل إعطاءه لنبي الله سليمان عليه السلام مع عدم كونه من أولي العزم بلحاظ معجزته التي طلبها من الله، وهي السلطنة على الكائنات، وليس لأنه وصل إلى مراتب أولي العزم من الأنبياء.

هذا بالنسبة للأنبياء، وأما غير الأنبياء فلم يثبت إعطاء الاسم الأعظم إلا لوصي النبي سليمان عليه السلام، والذي أطلقت عليه الروايات اسم: آصف بن برخيا، ولعل هذا الإعطاء له بلحاظ نفس النكتة التي من أجلها أعطي الاسم الأعظم لنبي زمانه

» الطوسي رحمه الله ولا معارض لتوثيقه، عن فضالة بن أيوب، وهو الأزدي الثقة، عن عبد الصمد بن بشير، وهو العرامي العبدي، الذي قيل في حقّه: «ثقة، ثقة»، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما، وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف، وكان مع إبراهيم ستة أحرف، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً، وكان مع نوح ثمانية، وجمع ذلك كله لرسول الله ﷺ - إن اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً - وحجب عنه واحداً».

(١) حديث الخمسة عشر حرفاً نقله في بصائر الدرجات: الجزء ٤، الباب ١٢، الحديث ٢ و ٣، ولكن الأول ضعيف بالإرسال، والثاني بالرفع.

سليمان عليه السلام ، ولذلك فإنه أعطي حرفاً واحداً من حروف الاسم الأعظم فقط ، كالنبي سليمان نفسه .

الأمر الثالث : لا طاقة لأحدٍ على حمل الاسم الأعظم .

وهذا ما تؤكد عليه مجموعة من النصوص الشريفة ، ومنها رواية عمر بن حنظلة ، قال : « قلت لأبي جعفر عليه السلام : إني أظن أن لي عندك منزلة ، قال : أجل .

قلت : فإن لي إليك حاجة ، قال : وما هي ؟

قلت : تعلمني الاسم الأعظم ، قال : وتطبيقه ؟ .

قلت : نعم ، قال : فادخل البيت .

قال : فدخل البيت ، فوضع أبو جعفر عليه السلام يده على الأرض ، فأظلم البيت ،

فأرعدت فرائص عمر ، فقال : ما تقول أعلمك ؟ .

فقال : لا ، قال : فرفع يده فرجع البيت كما كان ^(١) .

وكذلك رواية عمّار الساباطي ، قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ،

أحب أن تخبرني باسم الله تعالى الأعظم ، فقال لي : إنك لن تقوى على ذلك .

قال : فلمّا ألححت ، قال : فمكانك إذا ، ثمّ قام فدخل البيت هنيئاً ، ثمّ صاح بي :

ادخل ، فدخلت ، فقال لي : ما ذلك ؟

فقلت : أخبرني به جعلت فداك .

قال : فوضع يده على الأرض ، فنظرت إلى البيت يدور بي ، وأخذني أمر

عظيم ، كدت أهلك ، فضحك ، فقلت : جعلت فداك حسبي لا أريد ^(٢) .

(١) بحار الأنوار : ٢٧ : ٢٧ ، كتاب الإمامة - الباب ١٢ ، الحديث ٦ ، والرواية مرسلة .

(٢) المصدر المتقدم : الحديث ٨ ، والرواية مرسلة .

ومن هاتين الروایتين استفاد: أنَّ الاسم الأعظم لا طاقة لأحد على حمله ، إلا من بلغ مراتب عالية من القرب والسمو إلى حضرة الله سبحانه وتعالى .

ولم تتعرض الروایات لأكثر من هذا المقدار من خصائص وأثار الاسم الأعظم ، ولعل ذلك بلحاظ ما ذكرناه في الأمر الثالث من أنَّ الاسم الأعظم لا طاقة للناس على معرفته .

والى هنا فغاية ما نتعبد به بحسب الأدلة أنَّ هناك ثمّة شيء اسمه : الاسم الأعظم ، وعدد حروفه ثلاثة وسبعون حرفاً ، وقد أعطي لقلّة من الأنبياء أصحاب المنازل العالية ، كما أعطي للمعصومين عليهم السلام .

عودة على بدء :

وبعد بيان هذه المقدمة ، يقع البحث حول المقدمتين اللتين يتوقف عليهما الاستدلال :

المقدمة الأولى :

ثبوت الولاية التكوينية لمن لديه الاسم الأعظم .

وهذه المقدمة ثابتة وقطعية من خلال الروایات المستفيضة ، ولا بأس بالتدليل على ذلك ببعض النصوص :

فمنها : صحيحة عبد الصمد بن بشير (المقدمة) عن : أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما ، وكان مع موسى عليه السلام أربعة حروف ، وكان مع إبراهيم ستة أحرف ، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً ، وكان مع نوح ثمانية ، وجمع ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - إنَّ اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً - وحجب عنه واحداً^(١) .

(١) بصائر الدرجات : الجزء ٤ ، الباب ١٢ ، الحديث ٤ من نواذر الباب المذكور .

ويمكن تأييد هذا النصّ بنصوص أخرى، منها: رواية النوفلي، عن أبي الحسن العسكري عليه السلام، قال: «سمعتَه يقول: اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، وإنّما كان عند آصف منه حرف واحد، فتكلّم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتّى صيره إلى سليمان، ثمّ انبسطت الأرض في أقلّ من طرفة عين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب»^(١).

فتحصل لدينا من خلال النصوص: أنّ من كانت لديه بعض حروف الاسم الأعظم كانت له قدرة على التصرف في الأمور الكونيّة. وإنّما وقع الكلام بين الأعلام في أنّ تأثير الاسم الأعظم في التكوينيّات، هل هو من خلال حروفه اللفظيّة؟ أم هو تأثير حقيقته؟ وفي المسألة يوجد لدينا رأيان:

الرأي الأوّل:

رأي العلامة الطباطبائي رحمته الله، وحاصله: أنّ الاسم الأعظم لا يؤثر بحروفه ولفظه، ولا بصوره الذهنيّة، أو بمعانيه المستفادة من ألفاظه، وإنّما يؤثر بحقيقته. ورأيه مبني على نظرية لزوم السنخية بين العلة والمعلول؛ إذ أنّه بعد البناء على لزوم المسانحة بين العلة والمعلول، فالألفاظ بما هي ألفاظ لا يمكن أن تؤثر في التكوينيّات بما هي كذلك؛ إذ الأثر التكويني، كقطع الأرض وطيّها، ليس من سنخ الألفاظ حتّى تكون الألفاظ علة له، ومؤثّرة فيه، وليس مسانحة للصورة الذهنيّة المستفادة من معاني الألفاظ، حتّى تكون هذه الصور هي المؤثّرة فيه، فلا بدّ من الالتزام بأنّ المؤثّر ليس هو الحرف، أو اللفظ، أو معنى ذلك الحرف،

(١) بصائر الدرجات: الجزء ٤، الباب ١٢، الحديث ٣ من نوارد الباب المذكور.

وإنما حقيقة ذلك الاسم عند الله (سبحانه وتعالى).
 وإليك نصّ كلامه ﷺ: «والأسماء الإلهية، واسمه الأعظم خاصّة، وإن كانت
 مؤثرة في الكون، ووسائط وأسباب لنزول الفيض من الذات المتعالية في هذا
 العالم المشهود، ولكنها إنما تؤثر بحقائقها، لا بألفاظها الدالة عليها، ولا بمعانيها
 المفهومة من ألفاظها المتصورة في الأذهان»^(١).

الرأي الثاني:

رأي الشيخ الخراساني رحمه الله صاحب كتاب (هداية الأمة إلى معارف الأئمة)،
 وحاصله: أن التأثير للحروف، وليس التأثير لحقائقها المجهولة.
 بدعوى: أن الله (سبحانه وتعالى) بإمكانه وقدرته أن يجعل اسماً معيناً، مركباً
 من هذه الحروف، ويجعل لحروفه تأثيراً في الحقائق الكونية لمن يعرفها ويحيط
 بها، وهذا هو مقتضى الالتزام بظواهر الأدلة.
 وإليك نصّ كلامه: «ومن الجائز غير البعيد عندي أن العظمة والأعظمية آثارية،
 ولكن وضعيّة إلهيّة، بأن يكون الله تعالى وضع لنفسه اسماً، أو أسامي مخصوصة،
 وجعل لها أو لحروفها آثار خاصّة قهرية، بحيث تترتب عليها عند ذكرها»^(٢).
 والذي يلاحظ على كلا الرأيين: أنهما قد أخذوا كون الاسم الأعظم مركباً من
 الحروف الهجائية أخذ المسلّمات، وإنما اختلفا في رجوع التأثير لحقيقته أم
 لحروفه؟ والحال أن كون الاسم الأعظم من سنخ الأسماء الهجائية والحروف
 العادية ممّا لا يمكن إثباته؛ لعدم ذكره في روايات المعصومين عليه السلام، ومجرد
 التعبير بالحرف لا يفيد ذلك، كما لا يخفى على المتأمل.

(١) تفسير الميزان: ٨: ٣٥٥.

(٢) هداية الأمة إلى معارف الأئمة عليهم السلام: ٨٣١.

كلمة حول الاسم الأعظم:

ولعل الذي تجنح إليه النفس أن الاسم الأعظم موجود عيني ، وليس مجرد وجود لفظي ، ووجهه يتم بالاتفات لمقدمات ست :

المقدمة الأولى : إن الوجود الضعيف لا يمكن أن يؤثر في الوجود القوي ، كما أن الوجود القوي لا يمكن أن يؤثر في الوجود الأقوى ، وبما أن الوجود اللفظي أضعف من الوجود العيني ، فإنه بوجوده اللفظي لا يمكن أن يؤثر فيه ، ولذا لا يمكن البناء على تأثير مجرد الحروف اللفظية للاسم الأعظم - كما هو المتبادر إلى أذهان الكثيرين - في الحقائق الكونية الخارجية .

المقدمة الثانية : إن أسماء الذات المقدسة غيرها ، وتشهد لذلك عدة من الروايات الشريفة ، ومنها معتبرة هشام بن الحكم ، عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام : « الاسم غير المسمى ... إن لله تسعة وتسعين اسماً ، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً ، ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء ، وكلها غيره »^(١) .

وهذا في قبال ما يدعيه ابن عربي ومتصوفة العرفاء من وحدة الاسم والمسمى ، بناءً على نظرية وحدة الوجود والموجود .

المقدمة الثالثة : إن الاسم يُراد به : « ما دل على الذات » ، وبما أن بعض الموجودات الإمكانية تدل على الذات المقدسة ، كما أن بعض الألفاظ تدل عليها أيضاً ، لذلك صحّ تقسيم الأسماء الإلهية إلى قسمين :

(١) الكافي : ١ : ٨٧ ، وقد رواها الشيخ الكليني (أعلى الله درجته) ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن هشام بن الحكم ، وكلهم ثقات أجلاء ، فالرواية لا مطعن في سندها .

القسم الأول: الأسماء التكوينية.

القسم الثاني: الأسماء الجعلية.

وفي مقام بيان الفرق بينهما يقول المحقق الخوئي (طاب ثراه): «فالأسماء الجعلية هي: الألفاظ التي وضعت للدلالة على الذات المقدسة، أو على صفة من صفاتها الجمالية والجلالية، والأسماء التكوينية هي الممكنات الدالة بوجودها على وجود خالقها وعلى توحيده ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(١) ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٢)، ففي كل شيء دلالة على وجود خالقه وتوحيده»^(٣).

المقدمة الرابعة: إن الحروف ما بها قوام الأسماء، وبها تتم دلالتها على الذات، وبما أن بعض الأسماء لفظية جعلية، وبعضها أسماء تكوينية، فإن حروف الأولى عبارة عن الحروف الهجائية المعروفة، بينما حروف الثانية عبارة عن الكمالات والخصائص الوجودية.

المقدمة الخامسة: إن الأسماء اللفظية تتفاوت في دلالتها على الذات المقدسة، فالكريم -مثلاً- يدل على صفة من صفاتها، والحكيم يدل على صفة أخرى، بينما اسم الجلالة (الله) يدل على الذات المستجمعة لكل الكمالات، وبما أن الموجودات الإمكانية تتفاوت كمالاتها ونقصاً، لذلك فإنها تتفاوت في دلالتها على الذات المقدسة بمقدار ما تتوفر عليه من الكمالات والصفات، وبما أن الذوات الطاهرة هي الذوات المستجمعة لجميع الكمالات الإمكانية، لذا كانت

(١) الطور ٥٢: ٣٥.

(٢) الأنبياء ٢١: ٢٢.

(٣) البيان في تفسير القرآن: ٤٣٤.

دلالته على الذات المقدسة أتم وأقوى ، ومن هنا صحّ تطبيق عنوان (الأسماء الحسنى) عليها ، كما ورد في كثير من الروايات ، ومنها : معتبرة معاوية بن عمار ، عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ^(١) قال : « نَحْنُ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا » ^(٢).

المقدمة السادسة : إن الذي يظهر من الروايات والأدعية الشريفة أن للاسم الأعظم تأثيراً كبيراً في العالم الإمكانى ، ومن ذلك ما رواه السيّد ابن طاووس (طيب الله تربته) ضمن دعاء صلاة زيارة الصديقة الطاهرة الزهراء (عليها آلاف التحية والثناء) ، حيث جاء فيه : « وأسألك باسمك الأعظم الذي أمرت به إبراهيم أن يدعو به الطير فأجابته ، وباسمك العظيم الذي قلت للنار : ﴿ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(٣) فكانت برداً » ^(٤).

وجاء في دعاء شهر رجب الوارد عن الناحية المقدسة : « بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَجَلُّ الْأَكْرَمِ ، الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى النَّهَارِ فَأَضَاءَ ، وَعَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ » ^(٥).

وجاء أيضاً في بعض الأدعية المباركة : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الَّذِي بِهِ

(١) الأعراف ٧ : ١٨٠.

(٢) الكافي : ١ : ١٤٣ ، ولا مغمز في سند الرواية إلا من ناحية سعدان بن مسلم ؛ لعدم توثيقه ، ولكن الصحيح هو البناء على وثاقته ؛ لرواية الأجلاء عنه ، كابن محبوب وصفوان ويونس بن عبدالرحمن وابن أبي عمير ، كما أن المحقق في الأخير أنه لا يروي إلا عن ثقة.

(٣) الأنبياء ٢١ : ٦٩.

(٤) إقبال الأعمال : ٣ : ١٦٦.

(٥) إقبال الأعمال : ٣ : ٢١٥.

تقوم السماء والأرض ، ومن فيهنّ وما بينهنّ ، وبه تحيي الموتى وتميت الأحياء ، وبه أحصيت عدد الآجال ، ووزن الجبال ، وكيل البحار ، وبه تعزّ الذليل ، وبه تذلّ العزيز ، وبه تفعل ما تشاء ، وبه تقول للشيء كن فيكون ، وإذا سألك به السائلون أعطيتهم سؤلهم ، وإذا دعاك به الداعون أجبتهم ، وإذا استجارك به المستجيرون أجرتهم ، وإذا دعاك به المضطرون أنقذتهم ، وإذا تشفع به إليك المتشفعون شفعتهم ، وإذا استصرخك به المستصرخون أصرختهم ، وإذا ناجاك به الهاربون إليك سمعت نداءهم وأعنتهم ، وإذا أقبل به إليك التائبون قبلت توبتهم»^(١).

ومن هنا قال العلامة الطباطبائي (أعلى الله درجته): «إذا تأملت الأخبار والأدعية وما يثبت فيها من الآثار للاسم الأعظم ، علمت أنه الاسم الذي يترتب عليه كل أثر متصور من الإيجاد والإعدام ، ومن الإبداء والإعادة ، والخلق ، والرزق ، والإحياء والإماتة ، ، والحشر والنشر ، والجمع والفرق .
وبالجملة: كل تحويل وتحول جزئي وكلي»^(٢).

نتيجة المقدمات الست:

وعلى ضوء جميع المقدمات المذكورة ننتهي إلى النتيجة التالية ، وهي: أن الاسم الأعظم بما أن له كل تلك الطاقة التأثيرية التي تحدث عنها المقدمة السادسة ، فيتعيّن أن يكون موجوداً عينياً بمقتضى المقدمة الأولى ، وبما أن الاسم الأعظم هو أعظم الأسماء - كما هو ظاهر وصفه - فليس هو إلا أفضل الموجودات ، والذي نعتقد جازمين أنه يتمثل في الذوات الطاهرة لمحمد وآل محمد عليهم السلام.

وقد صرّحت بذلك كلمات علماء الطائفة ، وإليك بعضها:

(١) بحار الأنوار: ٩٤: ٢١٩.

(٢) رسالة الأسماء (المطبوعة ضمن مجموعة رسائل العلامة الطباطبائي): ٧٧.

■ قال العارف الإلهي الشيخ الملكي التبريزي (طاب ثراه): «إن جميع أفعال الله في العالم - من الإبداع والخلق والرزق والحفظ وغيرها - إنما هي قضية أسمائه ، وأن الله تعالى إنما جعل بعض مخلوقاته واسطة لخلق بعضها الآخر ، وسمّاه اسماً لنفسه .. وإن لأسمائه تعالى مراتب بعضها فوق بعض ، فيكون أعظم أسمائه مخلوقه الأول ، والواسطة بينه وبين الكل ، فينطبق بمعونة بعض الأخبار بحقيقة نور نبينا وآله المتّحدين معه في النورانية»^(١).

■ وقال المحقق الخوئي (أعلى الله درجته): «وعلى الجملة: ابتداء الله كتابه التدويني بذكر اسمه ، كما ابتداء في كتابه التكويني باسمه الأتم ، فخلق الحقيقة المحمّدية ونور النبي الأكرم قبل سائر المخلوقين ... فالواجب جلّ وعلا قد ابتداء في أكمل كتاب من كتبه التدوينية بأشرف الألفاظ وأقربها إلى اسمه الأعظم من ناظر العين إلى بياضها ، كما بدأ في كتابه التكويني باسمه الأعظم في عالم الوجود العيني ، وفي ذلك تعليم البشر بأن يتدثروا في أقوالهم وأفعالهم باسمه تعالى»^(٢).

■ وقال المحقق السيّد الخميني رحمه الله: «وأما الاسم الأعظم بحسب الحقيقة العينية ، فهو الإنسان الكامل خليفة الله في العالمين ، وهو الحقيقة المحمّدية ﷺ .. فالحقيقة المحمّدية هي التي تجلّت في العوالم من العقل إلى الهوى ، والعالم ظهورها وتجليها ، وكلّ ذرّة من مراتب الوجود تفصيل هذه الصورة ، وهذه هي الاسم الأعظم»^(٣).

ومما ذكرناه اتّضح أنّ الاسم الأعظم بحقيقته العينية يعني محمّداً وآل محمّد ﷺ ، كما اتّضح من خلال المقدّمة الرابعة أنّ حروف الاسم الأعظم التي

(١) أسرار الصلاة: ٢٩٢.

(٢) البيان في تفسير القرآن: ٤٣٤.

(٣) شرح دعاء السحر: ٨٧.

أعطيت لهم تعني الكمالات الإلهية التي تجلّت في ذواتهم ، وبما أنّ غيرهم لم ينل ما نالوه ؛ لذلك عبّرت الروايات عن غيرهم بأنّه أعطي حرفاً واحداً أو اثنين أو ثمانية ، في إشارة لمستوى الكمالات التي توفّرت عليها الذوات الأخرى .

وقد ظهر أيضاً - في ظلّ ما ذكرناه - أنّ الحرف الواحد الذي استأثر الله تعالى به ، هو عبارة عن كمال الربوبية والألوهية ، كما أشار لذلك دعاء الناحية المقدّسة : « لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ ، فَتَقْهَا وَرَثَقَهَا بِيَدِكَ ، بِذَوِّهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ »^(١) .

ختام الكلمة : وكيف كان ، فسواء قلنا بأنّ تأثير الاسم الأعظم عن طريق حروفه اللفظية ، أم قلنا بأنّ تأثيره عن طريق حقائق حروفه ، فلا ترديد لدينا في أنّ من امتلك حرفاً واحداً من حروف الاسم الأعظم ، كانت له قدرة على التصرف التكويني ، كما صرّحت بذلك الروايات .

المقدمة الثانية :

وجود الاسم الأعظم عند المعصومين عليه السلام .

وقد يقال : إنّ وجود الاسم الأعظم عند الأئمة عليهم السلام في الجملة ، من ضروريّات

(١) مصباح المتعجّد : ٨٠٣ ، وممّا يجدر تسجيله في المقام ما أفاده العلامة الجامع لفنون العلوم والمعارف ، المحقّق الأكبر ، الشيخ أبو الحسن الشعراني (أعلى الله درجاته) حيث يقول في تعاليقه الشامخة على شرح أصول الكافي : ٥ : ٣٨٢ : « وليس اختصاص حرف واحد بالله تعالى يوجب نسبته بالقلة والكثرة ، كما أنّ وحدته لا توجب نقصه عن الممكنات بكثرتهم ، بل هي وحدة شاملة ، والحرف الخاصّ به تعالى أيضاً حرف جامع لجميع حروف الاسم الأعظم ، ومرجعه إلى نقصان الممكن في التأثير كلّما بلغ في الكمال ، فيبقى شيء غير متناهٍ في القوّة والشدّة ، وهو الحرف الواحد الخاصّ به » .

المذهب ، التي لا يناقش فيها منتسب إليه .

وقد عقد الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي باباً كاملاً في إثبات وجود الاسم الأعظم عند المعصومين عليهم السلام ، وكذلك صنع الشيخ صاحب بصائر الدرجات رحمه الله في البصائر ، ومن تلك الروايات :

صحيحة عبد الصمد بن بشير (المتقدمة) عن : أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما ، وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف ، وكان مع إبراهيم ستة أحرف ، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً ، وكان مع نوح ثمانية ، وجمع ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه وآله - إن اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً - وحجب عنه واحداً ،^(١) .

وكذلك : رواية جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد ، فتكلم به ، فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ، ثم تناول السرير بيده ، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ، وعندنا نحن اثنان وسبعون حرفاً ، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »^(٢) .

ومنها أيضاً : رواية عن الإمام الصادق عليه السلام : « وإنه جمع الله ذلك لمحمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته ، وإن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً ، أعطى الله محمداً صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً ، وحجب عنه حرفاً واحداً »^(٣) .

وكذلك : ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال : « إن الله عز وجل جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً ، وأعطى نوحاً منها خمسة عشر حرفاً ، وأعطى منها إبراهيم ثمانية أحرف ، وأعطى موسى منها أربعة

(١) بصائر الدرجات : الجزء ٤ ، الباب ١٢ ، الحديث ٤ .

(٢) المصدر المتقدم : الحديث ١ .

(٣) المصدر المتقدم : الحديث ٢ .

أحرف ، وأعطى عيسى منها حرفين ، وكان يحيى بهما الموتى ، ويبرئ بهما الأكمه والأبرص ، وأعطى محمداً اثنين وسبعين حرفاً ، وحجب حرفاً ، لئلا يعلم ما في نفسه ، ويعلم ما في نفس العباد»^(١).

والروايات بهذا المضمون كثيرة ومستفيضة ، بحيث لو ادعى شخص تواترها الإجمالي لم يكن مجانباً للصواب ، ويستفاد من مجموعها أن المعصومين عليهم السلام لديهم من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً.

والنتيجة: ثبت من المقدمة الأولى وجود التلازم بين معرفة الاسم الأعظم وثبوت الولاية التكوينية ، وثبت من المقدمة الثانية أن آل محمد عليهم السلام قد أطلعهم الله تعالى على أكثر حروف الاسم الأعظم ، فيثبت بالضرورة أن آل محمد عليهم السلام لهم مقام الولاية التكوينية.

بل نقول: إذا كان من لديه حرف واحد من حروف الاسم الأعظم وهو وزير نبي الله سليمان عليه السلام ، قادراً على التصرف في الأمور التكوينية ، فمن تتوافر لديه اثنان وسبعون حرفاً من حروف الاسم الأعظم تثبت له هذه القدرة بالأولوية القطعية ، بل تكون عنده بشكل أوسع وأقوى ؛ لأنه كلما عرف حرفاً ازدادت قدرته ، وليس ذلك إلا لمحمد وآله عليهم السلام.

(١) الكافي: ١ : ٤٧٠.

الطائفة الثالثة:

ما دلّ صريحاً على قدرتهم عليهم السلام على التصرف في الأمور الكونية.

وهذه الطائفة يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: الروايات التي دلت على إمكان تصرف المعصومين عليهم السلام في الأمور الكونية.

وهي كثيرة جداً، ولا بأس بذكر بعضها تيمناً وتبركاً.

الرواية الأولى: معتبرة أبي بصير، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام وقلتُ لهما: أنتما ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم.

قلتُ: فرسول الله وارث الأنبياء؟ عليمٌ كلُّ ما علموا؟ قال لي: نعم.

فقلتُ: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى، وتبرؤا الأكمه والأبرص.

قال: نعم، بإذن الله»^(١).

الرواية الثانية: موثقة أبان الأحمر، قال: قال الصادق عليه السلام: «يا أبان، كيف ينكر

الناس قول أمير المؤمنين عليه السلام لما قال: لو شئتُ لرفعتُ رجلي هذه فضربت بها صدر ابن

أبي سفيان في الشام، فنكسته عن سريرته، ولا ينكرون تناول آصف وصي سليمان

عرش بلقيس، وإتيانه سليمان به قبل أن يرتد إليه طرفه؟! أليس نبينا صلى الله عليه وآله أفضل

الأنبياء، ووصيه أفضل الأوصياء؟ أفلا جعلوه كوصي سليمان؟ حكم الله بيننا وبين من

جحد حقنا، وأنكر فضلنا»^(٢).

(١) بصائر الدرجات: الجزء ٦، الباب ٣، الحديث ١٠، وقد تقدّم بيان حال سندها.

(٢) الاختصاص: ٢١٢، والرواية بناءً على ثبوت نسبة كتاب الاختصاص للشيخ المفيد رحمته الله.

كما هو مختار جملة من أهل التبّع، في غاية الاعتبار؛ إذ يرويه الشيخ المفيد «

ويمكن تأييد ذلك بروايات أخرى:

منها: رواية إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبيه ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام ، قال : « قلت له : جعلت فداك ، النبي صلى الله عليه وآله ورث علم النبيين كلهم ؟ قال لي : نعم .

قلت : من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه ؟ قال : نعم .

قلت : ورثهم النبوة ، وما كان في آبائهم من النبوة والعلم ؟

قال : ما بعث الله نبياً إلا وقد كان محمد صلى الله عليه وآله أعلم منه .

قال : قلت : إن عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله !

قال : صدقت ، وسليمان بن داود كان يفهم كلام الطير ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله

يقدر على هذه المنازل ؟ !

فقال : إن سليمان بن داود قال للهدد حين فقده وشك في أمره : ﴿ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ^(١) ، وغضب عليه ، فقال : ﴿ لَا عَذْبَنُهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَا ذَبْحَنُهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٢) .

وإنما غضب عليه لأنه كان يدلّه على الماء ، فهذا ، وهو طير قد أعطي ما لم يعط

» عن محمد بن علي ، وهو الشيخ الصدوق رحمته الله ، وكلاهما فوق الوثاقة ، عن أبيه ، وهو علي ابن الحسين ابن بابويه القمي ، الذي قال عنه النجاشي : (شيخ القميين في عصره ، ومتقدمهم ، وفقيههم ، وثقتهم) ، عن علي بن إبراهيم ، وهو القمي صاحب التفسير ، عن أبيه ، وهو إبراهيم بن هاشم ، الذي لا ينبغي الشك في وثاقته ، عن ابن أبي عمير ، وهو محمد بن أبي عمير ، الذي كان من أوثق الناس وأعبدتهم ، كما قال عنه الشيخ الطوسي رحمته الله في الفهرست ، عن أبان الأحمر ، وهو أبان بن عثمان الأحمر البجلي ، الذي هو من جملة الأشخاص الذين أجمعت العصابة على تصحيح ما صح عنهم .

(١) النمل ٢٧ : ٢٠ .

(٢) النمل ٢٧ : ٢١ .

سليمان ، وقد كانت المردة والريح والنمل والإنس والجنّ والشياطين له طائعين ، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء ، وكانت الطير تعرفه ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾^(١) ، فقد ورثنا نحن هذا القرآن ، فعندنا ما يقطع به الجبال ، ويقطع به البلدان ، ويحيا به الموتى بإذن الله ، ونحن نعرف ما تحت الهواء ، وإن كان في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر من الأمور ، التي أعطاها الله الماضين : النبيين والمرسلين ، إلا وقد جعله الله ذلك كله لنا في أم الكتاب ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^(٢) .

ثم قال جل وعزّ : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾^(٣) ، فنحن الذين اصطفانا الله ، فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء^(٤) .

ومنها : رواية سماعة بن مهران ، قال : « قال أبو عبد الله عليه السلام : إِنَّ الدُّنْيَا تَمَثَّلُ لِلْإِمَامِ فِي فَلَقَةِ الْجَوْزِ ، فَمَا تَعْرُضُ لشيء منها ، وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء ، فلا يعزب عنه منها شيء »^(٥) .

وقريب منها : رواية المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، « قلت : جُعِلَتْ فداك ، يتناول الإمام ما ببغداد بيده ؟ !

قال : نعم ، وما دون العرش »^(٦) .

(١) الرعد ١٣ : ٣١ .

(٢) النمل ٢٧ : ٧٥ .

(٣) فاطر ٣٥ : ٣٢ .

(٤) بصائر الدرجات : الجزء ٣ ، الباب ١ ، الحديث ٣ .

(٥) المصدر المتقدم : الجزء ٢ ، الباب ٤ .

(٦) بحار الأنوار : ١٧ : ١٠٦ ، الحديث ١٦ .

وهذه الروايات - ومثلها كثير - تدلّ بوضوح على إمكان تصرف المعصومين عليه السلام في الأمور الكونية، بإذن الله تعالى.

القسم الثاني: الروايات التي دلت على وقوع تصرف المعصومين عليه السلام في الأمور الكونية.

وقد ذكرنا في بداية هذا البحث: أن مقتضى الصناعة هو البحث عن كل قضية تارة من ناحية الإمكان والثبوت، وأخرى من ناحية الوقوع والإثبات، فإن ثبت إمكان القضية في مرحلة الثبوت، صحّ البحث عن أدلتها في مرحلة الوقوع والإثبات.

ولكن هنالك طريقة أخرى قد يسلكها بعض الباحثين في مقام الاستدلال، وهي: الانتقال من مرحلة الإثبات والوقوع إلى مرحلة الإمكان؛ لما هو مقرر عندهم من أنه (لا شيء أدلّ على الإمكان من الوقوع)، فإذا ثبت من خلال الروايات المتوفرة على شرائط الحجية: أن الأئمة عليهم السلام قد وقع منهم التصرف في الأمور الكونية في مورد التحدي وغيره، دلّ ذلك على إمكانه بالضرورة القطعية. والإنصاف: أن الروايات التي دلت على وقوع التصرفات الكونية من المعصومين عليهم السلام فوق حدّ الاحصاء، وقد ألف علماؤنا (رضوان الله تعالى عليهم) مؤلفات خاصة في هذا الباب، بذلوا فيها غاية الجهد من أجل لملمة معاجز المعصومين عليهم السلام وتصرفاتهم التكوينية، واحتوائها في كتاب واحد، فكانت بالمشات، بل بالآلاف، مع الاعتراف منهم بتمام العجز والقصور عن استيعابها جميعاً.

فألف الشيخ الحرّ العاملي رحمته الله صاحب الموسوعة الحديثة: (وسائل الشيعة) موسوعة كبيرة أسماها: (إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات)، وضمّنها الكثير من التصرفات التكوينية، التي صدرت عن كل معصوم من المعصومين عليهم السلام في

مورد التحدي وغيره^(١).

وكذلك أيضاً ألف السيد هاشم البحراني رحمته الله موسوعة ضخمة جداً أطلق عليها اسم: (مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر)، وقد اشتهرت باسم: (مدينة المعاجز)، وقد ضمّنها لكل معصوم من المعصومين عليهم السلام عشرات التصرفات التكوينية التي صدرت عنه في مورد التحدي وإثبات المنصب الإلهي، وغيره^(٢).

وتيمناً ببعض تلك الروايات الشريفة، وتبرّكاً بذكر السادة الهداة عليهم السلام، ورغبة في الدخول في زمرة الناشرين لفضائلهم ومناقبهم، والحافظين لها في ظل موجات التشكيك والتهميش، سنقوم بذكر بعضها:

الرواية الأولى: معتبرة أبي بصير (المتقدمة)، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام وقلت لهما: أنتما ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم.

قلت: فرسول الله وارث الأنبياء؟ علم كل ما علموا؟ قال لي: نعم.

فقلت: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى، وتبرؤا الأكمه والأبرص؟

(١) قال العلامة الطهراني رحمته الله في موسوعته القيّمة: (الذريعة إلى تصانيف الشيعة):

١: ١١١: «إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات» في مجلدين، وفيه أكثر من عشرين ألف حديث، وأسانيد تقرب من سبعين ألف سند، منقولة عن مائة واثنين وأربعين كتاباً لأصحابنا بلا واسطة، وأربعة وعشرين كتاباً من كتب العامة بلا واسطة أيضاً، ونقل فيه أيضاً عن خمسين كتاباً من كتب الخاصة، ومائتين وثلاثة وعشرين كتاباً من كتب العامة، بواسطة أصحاب الكتب السابقة.

(٢) قال محققها في مقدّمته لها: ١: ٢٠ ما هذا نصّه: «أدرج فيها ما يبلغ من (٢٠٦٦)

معجزة، وفي ذيل بعض المعاجز روايات متعدّدة من المصادر المعتبرة... وفيها كتب معتبرة من الفريقين، وبعضها لم يطبع إلى الآن.

قال: نعم، بإذن الله. ثم قال لي: ادن مني يا أبا محمد، فمسح يده على عيني ووجهي، وأبصرت الشمس، والسماء، والأرض، والبيوت، وكل شيء في الدار. قال: أتحب أن تكون هكذا، ولك ما للناس، وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصاً؟

قلت: أعود كما كنت. قال: فمسح على عيني، فعدت كما كنت.

قال علي: فحدثت به ابن أبي عمير، قال: أشهد أن هذا حق، كما أن النهار حق^(١).

الرواية الثانية: معتبرة يونس بن ظبيان، والمفضل بن عمر، وأبي سلمة السراج، والحسين بن ثوير بن أبي فاختة، قالوا: «كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: لنا خزائن الأرض ومفاتيحها، ولو شئت أن أقول بإحدى رجلتي أخرجني ما فيك من الذهب لأخرجت.

قال: فقام بإحدى رجليه فخطها في الأرض خطأ، فانفجرت الأرض، ثم قام بيده فأخرج سبيكة ذهب قدر شبر، فتناولها، فقال: انظروا فيها حساً حسناً، لا تشكوا، ثم قال: انظروا في الأرض، فإذا سبائك في الأرض كثير، بغضها على بغض يتلألأ.

فقال له بعضنا: جعلت فداك، أعطيتهم كل هذا وشيعتكم محتاجون؟

فقال: إن الله سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة، يدخلهم جنات النعيم، ويدخل عدونا الجحيم^(٢).

(١) بصائر الدرجات: ٦: ٢٨٩، الباب ٣، الحديث ١، وقد تقدم بيان حال سندها.

(٢) بصائر الدرجات: الجزء ٨، الباب ٢، الحديث ١. والرواية معتبرة السند؛ إذ يرونها

الثقة الثبت محمد بن الحسن الصفار صاحب البصائر، عن أحمد بن محمد، وهو إما «

الرواية الثالثة: صحيحة عبدالله بن المغيرة، قال: «مرَّ العبد الصالح بامرأة بمنى وهي تبكي، وصبيانها حولها يبكون، وقد ماتت لها بقرة، فدنى منها ثم قال لها: ما يبكيك يا أمة الله؟

قالت: يا عبدالله، إن لنا صبياناً يتامى، وكانت لي بقرة، معيشتي ومعيشة صبيانني منها، وقد ماتت وبقيت منقطعاً بي وبولدي لا حيلة لنا.
فقال: يا أمة الله، هل لك أن أحييها لك؟

فألهمت أن قالت: نعم، يا عبد الله، فتنحى وصلى ركعتين، ثم رفع يده هنيئة وحرَّك شفتيه، ثم قام فصوَّت بالبقرة فنخسها نخسة، أو ضربها برجله فاستوت على الأرض قائمة، فلما نظرت المرأة إلى البقرة صاحت وقالت: عيسى بن مريم ورب الكعبة، فخالط الناس، وصار بينهم، ومضى ﷺ^(١).

الرواية الرابعة: معتبرة علي بن يقطين، قال: «استدعى الرشيد رجلاً يُبطل به

» ابن عيسى، أو ابن خالد البرقي، بقرينة رواية الصَّفَّار عنهما، ولا حاجة للتمييز بينهما بعد كونهما مشتركين في الوثاقة، عن عمر بن عبدالعزيز، وهو ابن أبي بشار، المعروف بزحل، وقد بنى المحقق الخوئي رحمه الله على وثاقته، عن الحميري، وهو الثقة الجليل عبدالله بن جعفر الحميري، عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، وغيره، وهو ثقة ثبت، فالرواية معتبرة السند.

(١) الكافي: كتاب الحجّة - الباب ١٢٠، الحديث ٦. وهي صحيحة السند؛ إذ يرويهما ثقة الإسلام الكليني رحمه الله، عن عدّة من أصحابنا، وقد تقدّم وجه إفادة هذه العبارة للتوثيق، عن أحمد بن محمد، وهو الثقة الثبت ابن عيسى الأشعري، بقرينة روايته عن علي بن الحكم، عن علي بن الحكم، وهو النخعي الأنباري، الذي قال عنه الشيخ الطوسي رحمه الله: «ثقة، جليل القدر»، عن عبدالله بن المغيرة، وهو أبو محمد البجلي، الذي قيل في حقّه: «ثقة، ثقة، لا يعدل به أحد في جلالتة ودينه وورعه».

أمر أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ، ويقطعه ويخجله في المجلس ، فانتدب له رجل معزم^(١) ، فلما أحضرت المائدة عمل ناموساً^(٢) على الخبز ، فكان كلما رام خادم أبي الحسن عليه السلام تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه ، واستفز هارون الفرح والضحك لذلك ، فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام أن رفع رأسه إلى أسد مصور على بعض الستور ، فقال له : يا أسد الله ، خذ عدو الله .

قال : فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع ، فافتربت ذلك المعزم ، فخر هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم ، وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه ، فلما أفاقوا من ذلك بعد حين ، قال هارون لأبي الحسن عليه السلام : أسألك بحقي عليك لما سألت الصورة أن ترد الرجل .

فقال : إن كانت عصا موسى عليه السلام ردت ما ابتلعت من حبال القوم وعصيهم ، فإن هذه الصورة ترد ما ابتلعت من هذا الرجل ، فكان ذلك أعمل الأشياء في إفاقة نفسه^(٣) .

الرواية الخامسة : صحيحة أحمد بن إسحاق ، قال : « دخلت على أبي محمد عليه السلام ... فقلت : جعلت فداك ، إني مغتمٌ لشيءٍ يصيبني في نفسي ، وقد أردت أن أسأل أباك فلم يقض لي ذلك .

فقال : وما هو يا أحمد ؟

فقلت : يا سيدي ، روي لنا عن آبائك : أن نوم الأنبياء على أفقيتهم ، ونوم

(١) المعزم : هو الذي يستخدم العزائم ، وهي : الرقي التي يتم بها تسخير الجن والأرواح .

(٢) الناموس : يعني الحيلة الخفية .

(٣) الأمالي : ٢١٢ ، وسند الرواية لا مغمز فيه ، إذ يرويها الشيخ الصدوق (طاب ثراه) عن شيخه ابن الوليد (طابت نفسه) ، عن كل من محمد بن الحسن الصفار وسعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أخيه الحسين ، عن أبيه علي بن يقطين ، وكل هؤلاء الرواة ثقة أجلاء .

المؤمنين على أيمانهم ، ونوم المنافقين على شمائلهم ، ونوم الشياطين على وجوههم .
فقال ﷺ : كذلك هو .

فقلت : يا سيدي ، فإنني أجهد أن أنام على يميني فما يمكنني ، ولا يأخذني النوم عليها ، فسكت ساعة ثم قال : يا أحمد ، ادنُ مني ، فدنوت منه ، فقال : أدخل يدك تحت ثيابك ، فأدخلتها ، فأخرج يده من تحت ثيابه ، وأدخلها تحت ثيابي ، فمسح بيده اليمنى على جانبي الأيسر ، ويده اليسرى على جانبي الأيمن ثلاث مرّات ، فقال أحمد : فما أقدر أن أنام على يساري منذ فعل بي ﷺ ، وما يأخذني نومٌ عليها أصلاً^(١) .

وبهذه الروايات الشريفة نكتفي ، ومن أحب أن يستزيد فليرجع إلى المطوّلات التي أشرنا إليها .

ومن جميع ما ذكرناه يتّضح وجه الخدشة في كلام بعض المعاصرين ، حيث يقول : « ومن خلال هذا البحث الطويل نستطيع أن نخرج بالفكرة التي تنفي الولاية التكوينية بمعناها التكويني الذي منحه الله للأنبياء والأئمة ، لأنّ الدليل لم يدلّ عليه حسب فهمنا القاصر »^(٢) .

(١) الكافي : كتاب الحجّة - الباب ١٢٤ ، الحديث ٢٧ . والرواية صحيحة السند ؛ إذ يرونها ثقة الإسلام الكليني رحمته الله ، عن محمد بن يحيى ، وهو أبو جعفر العطار القمي ، الذي قال عنه النجاشي : « شيخ أصحابنا في زمانه ، ثقة ، عين ، كثير الحديث » ، عن أحمد بن إسحاق ، وهو ابن عبدالله بن سعد ، الذي قال عنه الشيخ الطوسي رحمته الله : « كبير القدر ، وكان من خواصّ أبي محمد رحمته الله ، ورأى صاحب الزمان رحمته الله ، وهو شيخ القميين ووافدهم » ، فالرواية قليلة الوسائط ، عالية الإسناد .

(٢) من وحي القرآن : ٦ : ٣٤ .



البحث السابع

نقد الإشكالات المثارة
حول الولاية التكوينية

الإشكال الأول:

عدم وجود الدليل الإثباتي على الولاية التكوينية.

وحاصله: أنَّ الولاية التكوينية أمر ممكن ثبوتاً، ولا مانع منه، ولكن لم يقم عليها دليل إثباتاً، ومع عدم قيام الدليل لا يمكن الاعتقاد بها.

وقد يستظهر هذا الإشكال من كلمات الشيخ مغنية، حيث قال: «وتسأل: نحن نؤمن بأنَّ التكوين بشئى أنواعه وألوانه هو لله وحده، وأنَّ نسبة أي لون منه إلى غيره شرك، ولكن سمعنا عن قائل يقول: إنَّ الله سبحانه وتعالى خصَّ بشكل أو بآخر المعصومين بولاية التكوين على الأشياء، وإنَّ في قدرتهم أن يُخضعوها لإرادتهم إن شاؤا، فتخضع لهم تماماً كما تخضع لإرادة خالقها وباريها، وإن كانوا لا يفعلون ذلك ولا يشاؤون، ولكنَّ الله خصَّهم بهذا الفضل، وهو بيده يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم، فما رأيك في ذلك؟

الجواب: كلُّ شيء ممكن بإذن الله، حتَّى إطباق السماء على الأرض بكلمة يقولها عبد من عباده تعالى، ولكنَّ العبرة بالوقوع لا بالإمكان، وبالإثبات لا بالثبوت، وليس من شك أنَّ طريق الإثبات هنا منحصر بالنص القطعي متناً وسنداً، فأين هو؟»^(١).

(١) فلسفة الولاية: ٢٧ و ٢٨، وقد يقال: إنَّ مقصوده ﷻ نفي الولاية التكوينية على

وتبنى هذا الإشكال بعض المعاصرين أيضاً، فقال: «فإن هذا وإن كان أمراً ممكناً من حيث الثبوت، إلا أن الكلام في إثبات ذلك يحتاج إلى دليل»^(١).
فالإشكال من خلال هذين النصين يركز على عدم قيام الدليل الإثباتي على الولاية التكوينية.

ويلاحظ عليه: ما تقدم ذكره في المباحث السابقة من النصوص القرآنية والمعصومية الدالة على ثبوت الولاية التكوينية للمعصومين عليهم السلام، مما يؤكد قيام الدليل الإثباتي على مبدأ الولاية التكوينية.

» نحو الاستقلال، وليس نفيها مطلقاً، ولكنه بعيد عن ظاهر كلامه، بل إن حكمه بالإمكان في ذيل كلامه يعين نظره للولاية التكوينية الإعطائية.

(١) الحوزة العلمية تدين الانحراف: ٢٨١.

الإشكال الثاني: ضعف الأدلة الإثباتية.

وحاصل هذا الإشكال: أن الدليل الإثباتي على مبدأ الولاية التكوينية ليس منعماً، غاية الأمر أنه دليل ضعيف، لا يمكن الاعتماد عليه.

وقد صرح بهذا الإشكال بعض المعاصرين في ردوده على الشيخ التبريزي رحمته الله حيث قال: «وأما الأخبار الواردة في ذلك فهي ضعيفة سنداً ودلالة»^(١).

والجواب عن هذا الإشكال، ببيان أمرين:

الأمر الأول: أوضحنا في المباحث السابقة أن الأدلة على ثبوت الولاية التكوينية لا تنحصر بالأدلة الروائية، وقد فصلنا البحث حول ثلاثة أدلة من القرآن الكريم، واستظهرنا دلالتها على ثبوت مقام الولاية التكوينية، فحتى لو سلّمنا بضعف الأدلة الروائية سنداً ودلالة، كما هو المدعى، لم نسلّم بانحصار الدليل على الولاية التكوينية بها؛ لوجود عدة آيات قرآنية كافية في دلالتها على ثبوت الولاية التكوينية.

الأمر الثاني: أن الروايات التي تم الاستدلال بها على ثبوت الولاية التكوينية ليست روايات ضعيفة، كما هو حاصل هذه الدعوى، وقد دللنا على ذلك في مباحث الأدلة، حيث عرضنا هناك مجموعة من الروايات الصحيحة سنداً، والقوية دلالة، والتي تدلّ على ثبوت القدرة للمعصومين عليهم السلام على التصرف في الأمور الكونية.

(١) الحوزة العلمية تدين الانحراف: ٢٨٣.

ولعل صاحب الإشكال قد تنبه لاشتباهه بعد ذلك؛ ولذا تراجع عن رميهِ كل الروايات بالضعف إلى رمي معظمها، فقال: «هذا، مع العلم أنَّ الروايات في هذا المجال هي في معظمها ضعيفة السند»^(١).

(١) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية: ٤٠.

الإشكال الثالث:

مخالفة الأحاديث للقرآن الكريم.

وحاصل هذا الإشكال: أن الأدلة الروائية التي دلت على ثبوت الولاية التكوينية مخالفة للكتاب الكريم، فإنه في مجموعة من آياته قد صرح بأن النبي ﷺ لا يمتلك نفعا ولا ضرا لنفسه، ولا يتصرف تصرفات تكوينية حتى وإن طُلب منه ذلك.

بينما الأدلة الروائية تؤكد أن المعصومين ﷺ لهم الولاية التكوينية، والتي تعني أنهم ﷺ يمتلكون لأنفسهم أسباب النفع والضرر، وهذا مخالف لصريح الكتاب، وقد ورد في تعاليم أهل البيت ﷺ القطعية: «ما خالف كتاب الله فهو زخرف»، وكذلك: «ما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فذروه»، مما يعني ضرورة رد هذه الأدلة، وعدم الأخذ بها.

وإليك نصّ كلام المستشكل: «إن القرآن يقول هذا، ويمكن لأي إنسان أن يناقش طروحاتي في هذا المجال، فالأحاديث قد وردت بخلاف ذلك، وإذا ثبت بأن القرآن يقول ذلك، والأحاديث تخالفه، فإن ما خالف كتاب الله فهو زخرف»^(١).

وقال في كتاب آخر: «ولا بد من الإشارة هنا إلى أن القرآن عندما يكون دليلاً على نفي الولاية التكوينية، فإنه لا يمكن بعد ذلك قبول ما يُنافي القرآن مما ورد في إطار السُّنة، ويدلّ على ثبوت الولاية، لأن «ما خالف كتاب الله فهو زخرف»

(١) الندوة: ١: ٣٩.

لا بد من طرحه أو تأويله إذا كان التأويل ينسجم مع طبيعة اللغة العربية في تعبيراتها واستعمالاتها»^(١).

ويلاحظ على هذا الاستدلال: أنه ليس كل رواية يكون بينها وبين القرآن الكريم مجرد تعارض بدوي تكون مخالفة للقرآن، فتطرح، بل الذي يطرح إنما هو الحديث الصحيح الذي لا يمكن الجمع بينه وبين القرآن جمعاً عرفياً.

وأما مع إمكان الجمع العرفي بينهما، كالجمع بين قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢)، وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(٣) بحمل الآية الأولى على كون الله (سبحانه وتعالى) هو المالك لفعل الإمامة، وحمل الآية الثانية على كون ملك الموت هو المباشر لفعل الإمامة.

أو كالجمع بين قول الإمام الهادي عليه السلام في زيارة الجامعة: «وَأَيُّبُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ»، وبين قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^(٤) بحمل الآية المباركة على كون مالك الحساب حقيقة هو الله (سبحانه وتعالى)، وحمل الزيارة الشريفة على كون المباشر للحساب هم محمد وآل محمد عليه السلام، فنُسب الحساب إلى الله لمالكيته له، ونُسب الحساب إلى محمد وآل محمد عليهم السلام لأنهم المباشرون له.

فإنه مع إمكان مثل هذا الجمع العرفي بين القرآن الكريم والرواية، لا يطلق على الرواية أنها مخالفة للكتاب.

وعليه: فحتى لو سلمنا بظهور الآيات القرآنية في عدم ثبوت الولاية التكوينية،

(١) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية: ٣٩.

(٢) الزمر ٣٩: ٤٢.

(٣) السجدة ٣٢: ١١.

(٤) الغاشية ٨٨: ٢٥ و ٢٦.

والى جانب ذلك جاءتنا روايات كثيرة جامعة لشرائط الحجية ، ودلت على ثبوت الولاية التكوينية ، فإنه من الممكن أن نجتمع بينها جمعاً عرفياً ، فنقول : إن الآيات النافية للولاية التكوينية إنما تنفي مرتبة الاستقلال في الولاية التكوينية ، بينما الروايات المثبتة للولاية التكوينية إنما تثبت الرتبة المفاضة عليهم من قبل الله (سبحانه وتعالى).

الإشكال الرابع:

ما طرحه بعض المعاصرين ، ومحصله على طوله : إن تتبع الآيات القرآنية التي تحدثت عن معاجز الأنبياء ﷺ يفضي إلى نفي الولاية التكوينية ، لأنها جميعاً قد أسندت المعاجز إلى الله تعالى ، ولو كانت للأنبياء ﷺ ولاية تكوينية لتم إسناد المعاجز إليهم .

وإليك نص كلامه : « فلتقي في البداية بالنبى نوح في قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرَ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ ^(١) ، وهي واضحة الدلالة على أن المسألة كانت دعاء نوح واستجابة ربه له بإغراق الكافرين بالطوفان ، من دون أن يكون لنوح أي دور عملي فيه .

فإذا انتقلنا إلى إبراهيم عليه السلام فنجد قوله تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ ^(٢) أنه اللطف الإلهي بنبیه إذ أرادوا إحراقه ، فأنجاه الله من النار فحوّلها إلى عنصر بارد .

فإذا انتقلنا إلى الطلب الذي قدمه النبى إبراهيم عليه السلام إلى ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تَوَئِمِنَ قَالِ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ

(١) القمر ٥٤ : ٩ - ١٢ .

(٢) الأنبياء ٢١ : ٦٨ - ٧٠ .

ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾، فإننا نرى أن دور إبراهيم في المسألة هو أن يأتي بالطيور ويدبحها ويقسمها إلى أجزاء، ثم يدعوهم لتأتينه سعيًا، لنشاهد الصورة الواضحة في كيفية إحياء الله الموتى، فإن الله هو الذي أحيها بطريقة مباشرة ولم يكن لإبراهيم دور في ذلك.

ونصل إلى موسى ﷺ الذي تمثلت المعجزة لديه أولاً في مجلس فرعون الذي قال - كما جاء به قوله تعالى -: ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (٢)، ثم في ذروة التحدي الذي واجهه في صراعه مع السحرة، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (٣).

ونحن لا نرى أي جهد لموسى في الموضوع، فإنه كان يعيش دور المنفعل الذي يحول الله يده السمراء إلى بيضاء، ويحول العصا التي يمسكها إلى ثعبان، وكان خاضعاً للخوف من تجربة السحرة، وللحيرة في ما يمكن أن يقوموا به رداً للتحدي، لأنه كان ينتظر تدخل الله غير العادي في المسألة، وذلك هو قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (٤).

ثم نلتقي بالنبى سليمان ﷺ الذي قال: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا

(١) البقرة ٢: ٢٦٠.

(٢) الأعراف ٧: ١٠٦ - ١٠٨.

(٣) الأعراف ٧: ١١٧.

(٤) طه ٢٠: ٦٧ - ٦٩.

لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١﴾.

واستجاب الله دعاءه: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حِينًا أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتَنُوا أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢)، فليس في القصة إلا دعاء واستجابة ربانية أعطته ما يريد من دون أن يكون له أي دور عملي أو قدرة واقعية في تحقيق ذلك (٣).

مناقشة الإشكال الرابع:

ولنا ملاحظتان على هذا الإشكال:

الملاحظة الأولى: الملاحظة الإجمالية.

وحاصلها: إنَّ مَنْ يقول بثبوت الولاية التكوينية للمعصوم عليه السلام لا يلغي ولاية الله التكوينية، بل يرى تلك في طول هذه بالمعنى الصحيح للطولية.

وعلى هذا فحتى في الموارد الخاضعة لسلطة المعصوم التكوينية، فإنَّ الله تعالى أن يتدخل في إحداث الفعل الخارق للعادة، لحكمة من الحكم الكثيرة المرتبطة بعالم الملك أو الملكوت.

وبالتالي، فإنه ليس من الصحيح وضع اليد على بضع آيات قرآنية - ليست بصدد بيان القانون العام - لإثبات أنَّ كُلَّ الأفعال الخارقة للعادة هي فعل الله جلَّ جلاله، على أنَّ الآيات المباركة التي تمسك بها هذا المعاصر ليست جميعها تدلُّ على مدَّعاه، كما سيُتَّضح.

(١) ص ٣٨ : ٣٥.

(٢) ص ٣٨ : ٣٦ - ٣٩.

(٣) من وحي القرآن : ٦ : ٢٨. نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية : ٤٣.

الملاحظة الثانية: الملاحظة التفصيلية.

وبيانها: إن الموارد التي استند لها هذا المعاصر لإثبات مدعاه عبارة عن خمسة موارد:

المورد الأول: قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ * فدعا ربه أني مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر ﴿١﴾.

وغاية ما يستفاد من هذه الآية الشريفة: أن نبي الله نوح عليه السلام قد طلب من ربه تعالى أن يتخذ الموقف المناسب من قومه المكذبين له، ومن الواضح أنه في مقام التكذيب العام للرسالة ليس يقوم المرسل بالدعاء على المرسل إليهم، بل شأنه -بما هو رسول- أن يرجع في المسألة إلى مرسله، وهو الذي يختار الموقف المناسب من الأمر بالاستمرار أو العذاب، فالآية أجنبية عما نحن فيه.

المورد الثاني: قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ * وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ﴿٢﴾.

وهذه الآية وإن أفادت أن صيرورة النار برداً إنما هي فعل الله تعالى لا فعل إبراهيم، ولكن هذا لا يعني أن معاجز الأنبياء والرسل عليهم السلام لا تكون إلا كذلك، سيما مع وجود العديد من الآيات الكريمة التي أسندت الفعل الخارق للعادة لنفس المعصوم عليه السلام، كقوله تبارك وتعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (١).

المورد الثالث: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيَعْلَمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ

(١) آل عمران ٣: ٤٩.

اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا تُثَمُّ اذْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
ومن الواضح أن هذه الآية الكريمة على خلاف مدعى هذا المعاصر؛ إذ أنها صريحة جداً في كون عملية الإحياء قد تمت على يد خليل الله ﷺ، بإذن الله تعالى وإمداده.

المورد الرابع: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿١١﴾.

والظاهر أن هذه الآية لا تدل على مدعى هذا المعاصر أيضاً؛ إذ غاية ما يستفاد منها أن إلقاء العصا كان بأمر الله تعالى، وهذا لا نزاع فيه، ولكنها لا دلالة لها على كون تحولها ثعباناً هو فعل الله تعالى، بل لعل الآيات الأخرى التي تناولت نفس الحادثة ظاهرة في رجوع الفعل لنبي الله موسى ﷺ، ومنها قوله تعالى مجده: ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِنَّتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٢﴾.

وأما قضية خوف نبي الله موسى ﷺ فإنها لا تصلح للقرينية؛ إذ أن خوفه ليس ناتجاً عن عدم ثقته بقدرته، كما يطرح ذلك بعضهم، بل هو ناتج عن إخلاصه لرسالته الإلهية، وحرصه على عدم ضلال أحد من الناس عند مشاهدة التحدي الكبير.

المورد الخامس: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ * فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٣﴾ (١).

وهذه الآية أيضاً لا تدلّ على مدّعاء، وذلك بالالتفات إلى نكتتين:

النكته الأولى: إنّ طلب النبيّ سليمان عليه السلام للملك - مع تقييده له بكونه لا ينبغي - لا ظهور له في طلب أصل الملك، بل يحتمل جداً أن يكون طلباً لمرتبة واسعة من مراتبه، وبما أنّ الولاية التكوينية - كما ذكرنا في بداية الكتاب - ذات مراتب، فبالتالي من الممكن أن يُقال: إنّ النبيّ سليمان عليه السلام كانت لديه ولاية تكوينية في مرتبة معينة، وبما أنّها قدرة إعطائية لا ذاتية، لذلك لما أراد نيل مرتبة أعلى منها طلب من الله تعالى إعطاءه ذلك، فاستجاب له^(١).

النكته الثانية: إنّ الله (سبحانه وتعالى) بعد أن استجاب لنبيّه سليمان عليه السلام، ووهبه ما أراد، بدأ عليه السلام باستخدام ولايته، وكانت الأفعال الخارقة للعادة تصدر منه نتيجة امتلاكه لهذه الولاية الواسعة؛ ولذلك فإنّ نفس الآية محلّ البحث قد أسندت الأفعال إليه، فقالت: ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ فَجَرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حِينُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢)، وهي - كما ترى - صريحة جداً في إسناد جريان الريح لأمر سليمان عليه السلام، كما أسندت إليه المنّ والإمساك بغير حساب.

(١) وبالالتفات لهذه النكته يتّضح وجه الإشكال في كلام آخر لهذا المعاصر يقول فيه: «ويتصاعد التساؤل عندما ندرس الآيات التي تتحدّث عن أنّ هذا الملك الواسع لسليمان عليه السلام كان بطلبه ذلك من الله تعالى، حيث حكى عنه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾»، وقد استجاب له الله، وسحر له الريح والجنّ والطير وما إلى ذلك، ما يوحي بأنّ المسألة ليست عامّة لكلّ الأنبياء، ولا أنّها قضيّة ولاية لازمة للنبوّة، وإنّما هي منّة خاصّة من الله امتنّ بها على سليمان عليه السلام من خلال استجابة الله دعاءه». نظرة إسلاميّة حول الولاية التكوينية: ٥١.

الإشكال الخامس:

ما طرحه بعض المعاصرين أيضاً، ومحصله: أن هنالك ثلاثة منبهات قرآنية تنبه على عدم ثبوت الولاية التكوينية:

المنبه الأول: بشرية الرسول ﷺ.

فإنها منبهة على وجود عناصر الضعف البشري في ذات الرسول ﷺ، ولكن بالمستوى الذي لا ينافي العصمة، وكون الرسول كذلك يعني عدم امتلاكه أية قدرة خلاف المؤلف في حياة البشر، ومنها ولاية التكوين، وسيأتي ما ادّعت دلالاته على ذلك قريباً.

وقد تحدّث هذا الكاتب المعاصر عن هذا المنبه ولاحقه، فقال: «ليس في الكتاب ما يدلّ على ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء والأولياء، بل ربّما نجد الدليل على نفيها من خلال الآيات التي تدلّ على أن النبي لا يملك شيئاً من ذلك كلّ، وأن مهمته الأولى والأخيرة هي الرسالة في حركتها في الإبلاغ والتبشير والإنذار وهداية الناس إلى سبل السلام في الطريق إلى الله، بل إن القرآن يؤكد وجود عناصر الضعف البشري في ذات الرسول، ولكن بالمستوى الذي لا ينافي العصمة»^(١).

المنبه الثاني: عدم حاجة الرسول في مهمته الرسالية للولاية التكوينية.

إذ الذي يظهر من الآيات القرآنية الشريفة: أن مهمة النبي في حركته الرسالية

(١) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية: ٦٠.

ليست إلا التبشير والتبليغ والإنذار، وهذه المهمة لا تقتضي ثبوت ولاية الرسل والأنبياء ﷺ.

ومن هنا لما قال المشركون: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرؤه﴾ أجابهم النبي ﷺ قائلاً: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(١).

وفي إجابته هذه بعد طلبهم المذكور إيماء إلى أن مهمته ليست إشغال نفسه بتنفيذ الطلبات التي لا معنى لها بعد إقامة الحجّة، وأن ذلك لا يدخل في مهمته الرسالية، كما أنه لا يملك القدرة على ذلك باعتبار بشريته التي تختزن في داخلها نقاط الضعف البشري.

واليك نصّ كلام هذا المعاصر في التعليق على الآية المباركة، حيث قال: «فنحن نلاحظ أن النبي ﷺ لم يتحدث - من خلال ما ذكرته الآية - عن رفضه للمعجزات الاقتراحية التي يوجهها الناس الكافرون إلى الأنبياء كوسيلة للتحدي والتعجيز مما يرفضه الأنبياء؛ لأن مهمة النبي ليست إشغال نفسه بتنفيذ هذه الطلبات التي لا معنى لها بعد إقامة الحجّة عليهم من قبله، بل تحدّث عن أن ذلك لا يدخل في مهمته الرسالية، كما أنه لا يملك هذه القدرة باعتبار بشريته التي تختزن في داخلها الضعف البشري»^(٢).

(١) الإسراء ٩٧: ٩٠ - ٩٣.

(٢) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية: ٦١.

عدم المبرر لثبوت الولاية التكوينية:

ونفس هذا الطرح قد طرحه هذا المعاصر أيضاً بصيغة (عدم وجود المبرر للولاية التكوينية)، حيث قال: «لماذا يجعل الله لهم هذه الولاية التكوينية؟ هل هناك مهمة تتوقف على ذلك، بحيث تكون المسألة هي أن يملكوا القدرة الفعلية الشخصية، بحيث يصدر الفعل منهم فلا يتحقق الهدف إلا من خلال ذلك، أم هي قضية تشريف إلهي لهم حيث يمنحهم هذا الموقع الكبير الذي لا يملكه أحد في الوجود غيرهم؟

هذه علامات استفهام تطوف في ذهن، فلانجد لها جواباً إيجابياً يؤكد النظرية، فنحن نعلم أن دور الأنبياء هو دور تبشير وإنذار وتبليغ، وإذا كان لهم دور تنفيذي فإنهم يتحركون فيه من خلال الوسائل العادية المطروحة بين أيديهم في الحالات العادية، فإذا جاء التحدي الكبير الذي يحول الموقف إلى خطر كبير على الرسالة والرسول، بحيث كانت الوسائل العادية ذات مردود سلبي على الموقف والموقع - لأنها تجعل القضية في حالة الضعف الشديد - فإن المعجزة عندئذ تتحرك لتحفظ توازن الرسالة في موقع الرسول، وتصدم واقع الكافرين بالصدمة القوية القاهرة التي ترد كيدهم، وتهدم كيانهم، وتؤدي بهم إلى الضعف والهزيمة، كما في طوفان نوح عليه السلام، ونار إبراهيم عليه السلام، وعصا موسى عليه السلام، أو يده البيضاء، وخلق البحر له، وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لدى عيسى عليه السلام، وقرآن محمد صلى الله عليه وآله، وتنتهي المسألة عند هذا الحد، فتكون بمثابة قضية في واقعة، وتعود الرسالة إلى مجراها الطبيعي، ويعود الرسول إلى الوسائل العادية، ويتحرك الصراع من جديد ليعيش النبي هنا وهناك أكثر من مشكلة وهم وبلاء فيتحمّل الألم القاسي، ويواجه التحديات الصعبة كأني إنسان حرّ من دون أن يبادر إلى أية وسيلة غير عادية للتخلص من ذلك كله.

أما التشريف ، فإنه لا يتمثل في إعطاء القدرة من دون قضية ، أو توسيع السلطة من دون مسئولية ، والله يشرف أنبياءه من خلال رفع درجاتهم عنده من خلال تقريبهم إليه ، ومحبة لهم ، وعلو مقامهم في الآخرة ، أما الدنيا فلا قيمة لها عنده ، ولذلك لم يجعلها أجراً لأوليائه ، بل أتاح الفرصة الكبرى فيها لأعدائه .

إننا لا نجد أية ضرورة أو حاجة تفرض إعطاء الولاية التكوينية المطلقة لهم ، إلا بالمقدار الذي تحتاجه الرسالة في أصعب أوقات التحدي مع احتمال أنها ليست من قدرتهم ، ولكنها قدرة الله بصورة مباشرة»^(١).

المنبه الثالث : انحصار الآيات بالله تعالى .

فقد تكرر قوله تعالى في أكثر من آية : ﴿ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٢) ، وهو ظاهر في أن أمر الآيات والمعاجز بيد الله تعالى ، وأن النبي ﷺ لا يملك من أمرها شيئاً ، وهو نفى واضح للولاية التكوينية .

وقد تحدث هذا المعاصر عن هذا المنبه ، فقال : « ومن الآيات القرآنية الدالة على عدم امتلاك النبي طاقة أو قدرة ممكنة من التصرف في الكائنات ، قوله تعالى في أكثر من آية : ﴿ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، فإنه ظاهر في أن أمر الآيات والمعاجز هو بيد الله ، وأن النبي ﷺ لا يملك من أمرها شيئاً . قال سبحانه : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾^(٣) .

وقال أيضاً : « وقد تحدث المشركون عن هذه المسألة - وهي عدم قيام النبي ﷺ بالمعجزة المماثلة لما قام به الأنبياء السابقون - وذلك في قوله تعالى :

(١) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية : ٦٣ .

(٢) الأنعام ٦ : ١٠٩ . العنكبوت ٢٩ : ٥٠ .

(٣) العنكبوت ٢٩ : ٥٠ .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾^(٢)، فقد يظهر من هذه الآية أن إنزال الآيات ليس أمراً ضرورياً للنبوّة، إلا في حالات التحدي الكبير الذي يهدد حركتها في ساحة الصراع والمواجهة، ولذلك لم ينزل الله على النبي آية؛ لأن التحدي لم يصل إلى هذه المرتبة الحاسمة. وفي قوله تعالى دلالة على ذلك أيضاً: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً ﴾^(٣)، وظاهرها نفي الإرسال بالآيات بالرغم من أنها كانت مطلباً ملحاً للمشرّكين، كما جاء في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٤)، فإنّ المسألة لم تكن في مستوى الضرورة، ولم تكن في واقع الحاجة للمهمّة الرساليّة^(٥).

التشكيك في معجزة شق القمر:

ولم يكتفِ هذا المعاصر بنفي الولاية التكوينية استيحاءً من الآية المباركة، بل أشرك معها حادثة شق القمر أيضاً، فقال: «وقد نستوحي من بعض الآيات

(١) الأنعام ٦: ٣٧.

(٢) الرعد ١٣: ٧.

(٣) الإسراء ١٧: ٥٩.

(٤) الأنعام ٦: ١٠٩.

(٥) نظرة إسلاميّة حول الولاية التكوينية: ٦٤.

المتقدمة ومن غيرها ، أن المعجزة الوحيدة للنبي محمد ﷺ هي القرآن الكريم ، وذلك في مقابل ما يُنقل عن قيام النبي بمعجزة أخرى ، كانشقاق القمر ، بحيث لو كانت منه ، لكانت أكثر استجابةً للتحدي الذي واجهه النبي ﷺ من قبل المشركين ، كما أنها أكثر صعوبةً من هذه الاقتراحات»^(١).

وملخص هذه المنبهات الثلاثة: أن القرآن الكريم -تصريحاً أو تلويحاً- ينفي الولاية التكوينية.

مناقشة الإشكال الخامس :

ولأجل مناقشة هذا الإشكال لا بد أن نقف عند المنبهات الثلاثة واحداً تلو آخر ، ليندفع الإشكال من أساسه .

مناقشة المنبه الأول :

ليس يخفى أن من يطرح فكرة وجود عناصر الضعف البشري في شخصية الرسول ﷺ يتشبث بظواهر بعض الآيات القرآنية ، نظير قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾^(٣) ، ونحوهما .

والغريب في الأمر : أن هؤلاء يتمسكون بمثل الآيات المتقدمة ، ويتغافلون عن آيات أخرى صريحة في ذم من يصبون اهتمامهم على الجنبه البشرية في وجود الأنبياء ﷺ ، وإليك بعضها :

(١) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية : ٦٣ .

(٢) الكهف ١٨ : ١١٠ . فصلت ٤١ : ٦ .

(٣) الإسراء ١٧ : ٩٣ .

قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُّخَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السُّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾^(١).

ومثله قوله تعالى أيضاً: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾^(٢).

وكذا قوله تعالى شأنه العالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٣).

ومع مرور الباحث بمجموع هذه الآيات المباركات يتأكد عليه السعي للتوفيق بينها، والذي يبدو أن القرآن الكريم قد رفض فكرة التركيز على بشرية الرسول رفضاً تاماً، وسعى إلى ترسيخ فكرة الشخصية الثنائية ذات الوجه البشري من ناحية، والوجه الإلهي الغيبي من ناحية أخرى، ولذلك تراه حين يقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ يقول أيضاً: ﴿ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ للتأكيد على أن النبي مركب ثنائي من جنبتين: البشرية والغيبية.

وحين يقول في آية أخرى: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ يعطف عليها بلا فصل قوله: ﴿ رَسُولًا ﴾، وما هذا إلا لأجل تأسيس فكرة الوجود الثنائي لشخصية الرسول ﷺ في قبال ما كان يروج له المشركون من اختزال

(١) الأنبياء ٢١: ١ - ٣.

(٢) المؤمنون ٢٣: ٣٣ و ٣٤.

(٣) الشعراء ٢٦: ١٨٦ و ١٨٧.

الذات النبوية في الجنبه البشرية فقط ، كما مرّت عليك كلماتهم من خلال الآيات السابقة .

ومما ذكرنا يظهر: أنّ القاعدة الأساسية التي أراد هذا الكاتب المعاصر تشييدها -وهي: بشرية الرسول ، وتوفّر ذاته على نقاط الضعف البشري- ومن ثمّ إنكار الولاية التكوينية بناءً عليها ، لم نفهمها من القرآن الكريم ، بل الذي فهمناه جمعاً بين الآيات المختلفة هو اهتمام القرآن بترسيخ تصوّر الثنائي لشخصية الرسول ﷺ ، وبالتالي فهو وإن كان من سنخ البشر إلا أنّه كان يمتاز عنهم بتوفّر شخصيته على الجانب الغيبي ، الذي يمنحه من القدرات والطاقات ما لا يتوفّر عليه غيره .

مناقشة المنبه الثاني :

وأما مسألة انحصار دور الرسول ﷺ في الإبلاغ والتبشير والإنذار ، ولا علاقة للولاية التكوينية بتحقيق هذا الدور ، فهذا أقصى ما يفيد -لو سلّمنا به ، ولا نسلّم- عدم اقتضاء المهمة الرسالية للولاية التكوينية ، لا اقتضاء عدمها ، كما قد يتوهم ، مع أنّ البون شاسع جداً بين الأمرين .

وحقّ البحث في مثل هذه القضايا هو التحقيق في أدلتها ، فإن لم يقدّم عليها دليل معتبر يثبتها فهو ، وإن قام الدليل عليها لزم الإذعان والتسليم بها ، سواء فهمنا لها مبرراً أم لا ، وهذا نظير غيبة الإمام المهدي عليه السلام ، فإنّه ليس من المستساغ لباحثٍ إنكارها بحجّة عدم إدراك ما يبرّرها ، بل يلزمه البحث عن أدلتها ، فإن قاده البحث للإذعان بولادة الإمام المهدي (أرواح من سواه فداه) لزمه الإذعان بغيبته الطويلة ، سواء أدرك وجه الحكمة منها أم لا .

والى هذه الحقيقة أشار الإمام الصادق عليه السلام بقوله : « إنّ هذا الأمر أمر من أمر الله ، وسرّ من سرّ الله ، وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا أنّه عزّ وجلّ حكيم صدقنا بأنّ أفعاله

كلها حكيمة ، وإن كان وجهها غير منكشف»^(١).

ولو فتحنا باب إنكار القضايا - لعدم إدراك ما يبررها - على مصراعيه ، للزم إنكار الكثير من الأحكام الشرعية والقضايا المعرفية ، نظير لزوم كون صلاة المغرب ثلاث ركعات والفجر اثنتين ، ووجود ملكين حافظين يرافقان الإنسان في كل فترة نهارية ومسائية من كل يوم ، مع أنه بالإمكان توظيف ملكين اثنين للقيام بهذه المهمة طوال عمر الإنسان ، من غير حاجة إلى استبدالهما كل يوم مرتين ، وهكذا.

مما يعني أن المنهج العلمي الصحيح في التعامل مع أمثال هذه القضايا هو التركيز على أدلتها الإثباتية ، لالتهاء إلى قبولها أو رفضها ، وفي فرض تمامية الدليل يلزم الإذعان والتعبد وإن لم يدرك المبرر.

على أن قضية الولاية التكوينية لو أراد الباحث إيجاد المبرر لها ، فإنه لن يُعدم العثور عليه ، وما نجمَ عن هذا المعاصر إنما هو نتيجة فهمه الخاص للدور الوظيفي لحجج الله تعالى في الأرض ، ولسنا نتفق معه في فهمه الذي يقرر أن المعصوم عليه السلام لا دور له إلا التبليغ والهداية ، بل الذي نؤمن به طبقاً للنصوص الكثيرة - قرآناً وسنة - أن الدور الوظيفي للحجج أكبر بكثير من مهمة الإبلاغ والإرشاد ، كما تومئ لذلك الأحاديث الكثيرة على مختلف ألسنتها ، ومن أشهرها أحاديث: «لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها» ، وهي أحاديث مستفيضة النقل في مجاميع الحديث ، وذات إيماء واضح لعدم انحصار دور الحجّة في الجانب التشريعي ، بل له دور وظيفي يرتبط بالجانب التكويني للوجود ، وعلى ضوء هذا الفهم - المقتنص من النصوص الحديثية ، بل والآيات القرآنية أيضاً - يتسنى إدراك

المبرر لثبوت الولاية التكوينية للمعصوم عليه السلام بشكل واضح.

مناقشة المنبه الثالث:

ولترك مناقشة هذا المنبه لسيد الطائفة الخوئي (أعلى الله درجته)، حيث ناقشه مناقشة ضافية في تفسيره (البيان) فقال: «وقد كتب بعض الجهلاء والمموهين على البسطاء^(١) أن في آيات القرآن ما يدل على نفي كل معجزة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله غير القرآن، وأن القرآن هو معجزته الوحيدة ليس غير، وهو حجته على نبوته. ونحن نذكر هذه الآيات التي احتجوا بها، ونذكر وجه احتجاجهم، ثم نوضح فساد ذلك:

■ فمن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾^(٢).

ووجه دلالتها - على ما يزعمون - أنها ظاهرة في أن النبي صلى الله عليه وآله لم يأت بآية غير القرآن، وأن السبب في عدم الإرسال بالآيات هو أن الأولين من الأمم السابقة قد كذبوا بالآيات التي أرسلت إليهم.

الجواب: إن المراد بالآيات التي نفتها الآية الكريمة، والتي كذب بها الأولون

(١) مراده عليه السلام ممن وصف بالوصف المذكور: مجموعة من القساوسة الذين حاولوا التقليل من شأن النبي صلى الله عليه وآله وتصويره شخصاً عاجزاً كلما طُلب بمعجزة من قبل قومه اعتذر لهم عن تحقيقها، وأحالهم إلى القرآن الكريم، حتى قال أحدهم: «إن محمداً كلما طالبه قومه بأن يأتي لهم بمعجزة لاذ بالصمت، أو تهرب من ذلك الطلب مكتفياً بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ و: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ - ص ٣٨: ٦٥ - إلى غير ذلك من العبارات»، وقد نقل الشيخ السبحاني (حفظه الله) كلمات هؤلاء القساوسة في موسوعته القيمة (مفاهيم القرآن): ٤: ٧٦، فراجع.

(٢) الإسراء ١٧: ٥٩.

من الأمم هي الآيات التي اقترحتها الأمم على أنبيائها، فالآية الكريمة تدل على أن النبي ﷺ لم يجب المشركين إلى ما اقترحوه عليه من الآيات، ولا تنفي عنه صدور المعجزة مطلقاً، ويدل على أن المراد هي الآيات الاقتراحية أمور:

الأول: إن الآيات جمع آية بمعنى العلامة، وهو جمع معرّف بالالف واللام.

والوجوه المحتملة في معناه ثلاثة: فإما أن يراد منه جنس الآية الذي يصلح للانطباق على كل فرد من الآيات، ومعنى هذا أن الآية الكريمة تنفي وقوع كل آية تدل على صدق مدعي النبوة، ولازم هذا أن يكون بعث الرسول لغواً؛ إذ لا فائدة في إرساله إذا لم تكن معه بيّنة تقوم على صدقه، وأن يكون تكليف الناس بتصديقه، ولزوم اتباعه تكليفاً بما لا يطاق.

وإما أن يراد به جميع الآيات، وهذا التوهم أيضاً فاسد؛ لأن إثبات صدق النبي ﷺ يتوقف على آية ما من الآيات، ولا يتوقف على إرساله بجميع الآيات، ولم يقترح المقترحون عليه أن يأتي بجميعها، فلامعنى لحمل الآية عليه، فلا بد وأن يراد بهذه الآية الممنوعة خصوص آيات معهودة من الآيات الإلهية.

الثاني: أن تكذيب المكذبين لو صلح أن يكون مانعاً عن الإرسال بالآيات، لكان مانعاً عن الإرسال بالقرآن أيضاً؛ إذ لا وجه لتخصيص المنع بالآيات الأخرى.

وقد أوضحنا أن القرآن أعظم المعجزات التي جاء بها الأنبياء، وقد تحدى به النبي ﷺ جميع الأمم لإثبات نبوته ما دامت الليالي والأيام، وهذا يدلنا أيضاً على أن الآيات الممنوعة قسم خاص وليس مطلق الآيات.

الثالث: إن الآية الكريمة صرحت بأن السبب المانع عن الإرسال بالآيات هو تكذيب الأولين بها، وهذا من قبيل تعليل عدم الشيء بوجود مانعه، ومن البين أن التعليل بوجود المانع لا يحسن في نظر العقل، إلا إذا كان السبب المقتضي لوجود

ذلك الشيء موجوداً، ولذلك يقبح عند العقلاء أن يعلّل عدم احتراق الخشبة -مثلاً- بوجود الرطوبة عليها إذا كانت النار غير موجودة، وذلك واضح لا يقبل الشك، وإذن فلا بدّ وأن يكون المقتضي للإرسال بالآيات موجوداً، ليصحّ تعليل عدمه بوجود التكذيب، والمقتضي للإرسال لا يخلو من أن يكون هي الحكمة الإلهية لإرشاد العباد وهدايتهم إلى سعادتهم، أو أن يكون اقتراح الأمة على النبي شيئاً من الآيات زائداً على المقدار اللازم من الآيات لإتمام الحجّة.

أمّا إذا كان المقتضي للإرسال بالآيات هي الحكمة الإلهية، فلا بدّ من إرسال هذه الآيات، ويستحيل أن يمنع من تأثير الحكمة الإلهية شيء، لأنّه يستحيل على الحكيم أن يختار في عمله ما تنافيه حكمته، سواء في ذلك وجود التكذيب وعدمه، على أنّ تكذيب الأمم السابقة لو صلح أن يكون مانعاً عن تأثير الحكمة الإلهية في الإرسال بالآيات، لصلح أن يكون مانعاً عن إرسال الرسول، وهذا باطل بالضرورة، وخلاف للمفروض أيضاً، فتعيّن أن يكون المقتضي للإرسال بالآيات هو اقتراح المقترحين، ومن الضروري أنّ المقترحين إنّما يقترحون أموراً زائدة على الآيات التي تتمّ بها الحجّة، فإنّ هذا المقدار من الآيات ممّا يلزم على الله أن يرسل به لإثبات نبوّه نبيّه، وما زاد على هذا المقدار من الآيات لا يجب على الله أن يرسل به ابتداءً، ولا يجب عليه أن يجيب إليه إذا اقترحه المقترحون.

نعم، لا يستحيل عليه ذلك إذا اقتضت المصلحة أن يقيم الحجّة مرّة ثانية وثالثة، أو أن يجيب المقترحين إلى ما طلبوا، وعلى هذا فاقترح المقترحين إنّما يكون بعد إتمام الحجّة عليهم بما يلزم من الآيات، وتكذيبهم إيّاها، وإنّما كان تكذيب الأمم السابقة مانعاً عن الإرسال بالآيات المقترحة في هذه الأمة، لأنّ تكذيب الآيات المقترحة يوجب نزول العذاب على المكذّبين، وقد ضمن الله تعالى رفع العذاب الدنيوي عن هذه الأمة إكراماً لنبيّه ﷺ وتعظيماً لشأنه، فقد قال

الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(١).

أما أن تكذيب الآيات المقترحة يوجب نزول العذاب على المكذبين ، فلا أن الآية الإلهية إذا كانت مبتدأة كانت متمخضة في إثبات نبوة النبي ، ولم يترتب على تكذيبها أكثر مما يترتب على تكذيب النبي من العقاب الأخروي ، وأما إذا كانت مقترحة كانت كاشفة عن لجاجة المقترح وشدة عناده ، إذ لو كان طالباً للحق لصدق بالآية الأولى لأنها كافية في إثباته ، ولأن معنى اقتراحه هذا أنه قد التزم على نفسه بتصديق النبي إذا أجابه إلى هذا الاقتراح ، فإذا كذب الآية المقترحة بعد صدورها كان مستهزئاً بالنبي وبالحق الذي دعا إليه ، وبالآية التي طلبها منه ، ولذلك سمى الله تعالى هذا النوع من الآيات: (آيات التخويف) كما في آخر هذه الآية الكريمة ، وإلا فلامعنى لحصر مطلق الآيات بالتخويف ، فإن منها ما يكون للرحمة بالعباد وهدايتهم وإنارة سبيلهم.

ومما يدلنا على أن المراد من الآيات الممنوعة هي آيات التعذيب والتخويف: ملاحظة مورد هذه الآية الكريمة وسياقها ، فإن الآية التي قبلها هي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾^(٢).

وقد ذكرت فيها آية ثمود التي أعقبها نزول العذاب عليهم ، وقصتهم مذكورة في سورة الشعراء ، وختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾^(٣) ، وكل هذه القرائن دالة على أن المراد بالآيات الممنوعة هي الآيات

(١) الأنفال ٨ : ٣٣ .

(٢) الإسراء ١٧ : ٥٨ .

(٣) الإسراء ١٧ : ٥٩ .

المقترحة التي تستلزم نزول العذاب.

ونحن إذا سبرنا الآيات القرآنية يظهر لنا ظهوراً تاماً لا يقبل التشكيك أن المشركين كانوا يقترحون إنزال العذاب عليهم ، أو يقترحون آيات أخرى نزل العذاب على الأمم السابقة بسبب تكذيبها.

فمن القسم الأول قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْ بَعْدَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١).

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٢).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَغِجِلُّ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٣).

﴿وَلَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾^(٤).

﴿وَيَسْتَغِجُلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥).

ومن القسم الثاني قوله تعالى:

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا

(١) الأنفال ٨: ٣٢.

(٢) الأنفال ٨: ٣٣.

(٣) يونس ١٠: ٥٠.

(٤) هود ١١: ٨.

(٥) العنكبوت ٢٩: ٥٣.

يَمْكُرُونَ ﴿١﴾.

﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾.

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴾ ﴿٣﴾.

ويدلنا على أن نظير هذه الآيات المقترحة قد كذبها الأولون فاستحقوا به نزول العذاب قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٤﴾.

﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٥﴾.

وما أكثر الشواهد على ذلك من الكتاب العزيز، وقد ورد في تفسير الآية عن طريق الشيعة وأهل السنة ما يؤكد هذا الذي استفدناه من ظاهرها.

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ سَأَلَهُ قَوْمُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ ﴿٦﴾، وَكُنَّا إِذَا أَرْسَلْنَا إِلَى قَرِيشٍ آيَةً فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا أَهْلَكْنَاهُمْ، فَلَذَلِكَ أَخْرَجْنَا عَنْ قَوْمِكَ الْآيَاتِ ».

وعن ابن عباس، قال: «سَأَلَ أَهْلَ مَكَّةَ النَّبِيَّ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصِّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يَنْحِيَ عَنْهُمْ الْجِبَالَ فَيُزْرِعُوا. فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ نَسْتَأْذِنَ بِهِمْ لَعَلَّنَا نَجْتَبِي، وَإِنْ

(١) الأنعام ٦: ١٢٤.

(٢) الأنبياء ٢١: ٥.

(٣) القصص ٢٨: ٤٨.

(٤) النحل ١٦: ٢٦.

(٥) الزمر ٣٩: ٢٥.

(٦) الإسراء ١٧: ٥٩.

شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم.
قال: بل تستأني بهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ...﴾^(١).
وهناك روايات أخرى من أراد الاطلاع عليها فليراجع كتب الروايات وتفسير الطبري.

■ ومن الآيات التي استدلت بها الخصم على نفي المعجزات للنبي ﷺ غير القرآن قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفاً أَوْ تَأْتِيَ بِلَهُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً﴾^(١).

ووجه استدلال الخصم بهذه الآيات الكريمة: أن المشركين قد دعوا النبي إلى إقامة المعجزة شاهدة على صدقه بالنبوة، فامتنع عن ذلك واعترف لهم بالعجز، ولم يثبت لنفسه إلا أنه بشر أرسل إليهم، فالآيات دالة على نفي صدور المعجزة منه.

الجواب:

أولاً: أننا قد أوضحنا للقارئ حال الآيات المقترحة في جواب الاستدلال المتقدم، ولا شك في أن هذه المعجزات التي طلبها المشركون من النبي آيات مقترحة، وأن هؤلاء المشركين في مقام العناد للحق.

ويدلنا على ذلك أمران:

١ - أنهم قد جعلوا تصديقهم بالنبي موقوفاً على أحد هذه الأمور التي

(١) الإسراء ١٧: ٩٠ - ٩٣.

اقترحوها ، ولو كانوا غير معاندين للحق لاكتفوا بكل آية تدل على صدقه ، ولم تكن لهذه الأمور التي اقترحوها خصوصية على ما سواها من الآيات .

٢- قولهم: ﴿ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ﴾ وأي معنى لهذا التقييد بإنزال الكتاب ؟ أفليس الرقي إلى السماء وحده آية كافية في الدلالة على صدقه ؟ أو ليست في هذه الشبهات الباردة دلالة واضحة على عنادهم للحق ، وتمردهم عليه ؟ !

ثانياً: إن هذه الأمور التي اقترحها المشركون في الآيات المتقدمة منها ما يستحيل وجوده ، ومنها ما لا يدل على صدق دعوى النبوة ، فلو وجب على النبي ﷺ أن يجيب المقترحين إلى ما يطلبونه ، فليس هذا النوع من الأمور المقترحة مما تجب إجابته .

وإيضاح هذا: أن الأمور المقترحة على النبي ﷺ المذكورة في هذه الآيات ستة: ثلاثة منها مستحيلة الوقوع ، وثلاثة منها غير مستحيلة ، ولكنها لا تدل على صدق المدعي للنبوة .

فالثلاثة المستحيلة :

أولها: سقوط السماء عليهم كسفاً ، فإن هذا يلزم خراب الأرض وهلاك أهلها ، وهو إنما يكون في آخر الدنيا ، وقد أخبرهم النبي ﷺ بذلك ، ويدل عليه قولهم: ﴿ كَمَا زَعَمْتَ ﴾ ، وقد ذكر هذا في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ ^(١) .

(١) الانشقاق ٨٤ : ١ .

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(١).

﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسِفِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾^(٢).

وإنما كان ذلك مستحيلاً، لأن وقوعه قبل وقته خلاف ما تقتضيه الحكمة الإلهية من بقاء الخلق، وإرشادهم إلى كمالهم، ويستحيل على الحكيم أن يجري في أعماله على خلاف ما تقتضيه حكمته.

ثانيها: أن يأتي بالله، بأن يقابلوه وينظروا إليه، وذلك ممتنع؛ لأن الله لا تدركه الأبصار، وإلا لكان محدوداً في جهة، وكان له لون وله صورة، وجميع ذلك مستحيل عليه تعالى.

ثالثها: تنزيل كتاب من الله، ووجه استحالة ذلك أنهم أرادوا تنزيل كتاب كتبه الله بيده، لا مجرد تنزيل كتاب ما، وإن كان تنزيله بطريق الخلق والإيجاد، لأنهم لو أرادوا تنزيل كتاب الله بأي طريق اتفق لم يكن وجه معقول لطلبهم إنزاله من السماء، وكان في الكتاب الأرضي ما في الكتاب السماوي من الفائدة والغرض، ولا شك أن هذا الذي طلبوه مستحيل؛ لأنه يستلزم أن يكون الله جسماً ذا جارحة (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

وأما الأمور الثلاثة الأخرى: فهي وإن كانت غير مستحيلة، لكنها لا تدل على صدق دعوى النبوة، فإن تفجير ينبوع من الأرض، أو كون النبي ﷺ مالكاً لجنة من نخيل وعنب مفجرة الأنهار، أو كونه يملك بيتاً من زخرف، أمور لا ترتبط بدعوى النبوة، وكثيراً ما يتحقق أحدها لبعض الناس ثم لا يكون نبياً، بل فيهم من يتحقق له جميع هذه الأمور الثلاثة، ثم لا يحتمل فيه أن يكون مؤمناً، فضلاً عن

(١) الانفطار ٨٢: ١.

(٢) سبأ ٣٤: ٩.

أن يكون نبياً، وإذا لم ترتبط هذه الأمور بدعوى النبوة، ولم تدل على صدقها، كان الإتيان بها في مقام الاحتجاج عبثاً، لا يصدر من نبي حكيم.

وقد يتوهم متوهم أن هذه الأمور الثلاثة لا تدل على صدق النبوة، إذا وجدت من أسباب عادية مألوفة، أما إذا وجدت بأسباب غير عادية فلا ريب أنها تكون آيات إلهية، وتدل على صدق النبوة.

الجواب:

إن هذا في نفسه صحيح، ولكن مطلوب المشركون أن تصدر هذه الأشياء ولو من أسبابها العادية، لأنهم استبعدوا أن يكون الرسول الإلهي فقيراً لا يملك شيئاً ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١)، فطلبوا من النبي ﷺ أن يكون ذا مال كثير، ويدلنا على ذلك أنهم قيدوا طلبهم بأن تكون الجنة والبيت من الزخرف للنبي دون غيره، ولو أرادوا صدور هذه الأمور على وجه الإعجاز لم يكن لهذا التقييد وجه صحيح، بل ولا وجه لطلب الجنة أو البيت، فإنه يكفي إيجاد حبة من عنب أو مثقال من ذهب.

وأما قولهم: ﴿حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾ فلا يدل على أنهم يطلبون ينبوع لهم لا للنبي، وإنما يدل على أنهم يطلبون منه فجر ينبوع لأجلهم، وبين المعنيين فرق واضح.

ولم يظهر النبي لهم عجزه عن الإتيان بالمعجزة - كما توهمه هؤلاء القائلون - وإنما أظهر بقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾^(٢) أن الله تعالى منزّه عن العجز، وأنه قادر على كل أمر ممكن، وأنه منزّه عن الرؤية والمقابلة وعن أن يحكم عليه بشيء من

(١) الزخرف ٤٣: ٣١.

(٢) الإسراء ١٧: ٩٣.

اقتراح المقترحين ، وأن النبي بشر محكوم بأمر الله تعالى ، والأمر كله لله وحده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

■ ومن الآيات التي استدلت بها القائلون بنفي المعجزات للنبي عدا القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(١).

ووجه الاستدلال: أن المشركين طالبوا النبي بآية من ربه ، فلم يذكر لنفسه معجزة ، وأجابهم بأن الغيب لله ، وهذا يدل على أنه لم يكن له معجزة غير ما أتى به من القرآن.

وبسياق هذه الآية آيات أخرى تقاربها في المعنى ، كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢).
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

الجواب:

أولاً: هو ما تقدم ، فإن هؤلاء المشركين وغيرهم لم يطلبوا من النبي إقامة آية ما من الآيات التي تدل على صدقه ، وإنما اقترحوا عليه إقامة آيات خاصة ، وقد صرح القرآن بها في مواضع كثيرة ، منها ما تقدم ، ومنها:
﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾^(٤).

(١) يونس ١٠ : ٢٠.

(٢) الرعد ١٣ : ٧.

(٣) الأنعام ٦ : ٣٧.

(٤) الأنعام ٦ : ٨.

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾^(١).

﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٢).

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾^(٣).

﴿ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾^(٤).

وقد علمنا أنَّ الآيات المقترحة لا تجب الإجابة إليها ، ويدلنا على أنَّ المشركين إنما يريدون الإتيان بما اقترحوه من الآيات : أنهم لو أرادوا من النبي أن يأتي بآية ما تدل على صدقه لأجابهم عن الأقل بالإتيان بالقرآن الذي تحدى به في كثير من مواضعه .

نعم ، يظهر من الآيات المتقدمة التي استدل بها الخصم ، ومما يشبهها من الآيات أمران :

١ - إنَّ تحدِّي النبي ﷺ لعامة البشر إنما كان بالقرآن خاصة من بين سائر معجزاته ، وقد أوضحنا فيما سبق أنَّ الأمر لا بد وأن يكون كذلك ، لأنَّ النبوة الأبدية العامة تستدعي معجزة خالدة عامة ، وهي منحصرة بالقرآن ، وليس في سائر معجزاته ﷺ ما يتصور له البقاء والاستمرار .

(١) الحجر ١٥ : ٦ .

(٢) الحجر ١٥ : ٧ .

(٣) الفرقان ٢٥ : ٧ .

(٤) الفرقان ٢٥ : ٨ .

٢ - إن الإتيان بالمعجزة ليس اختيارياً للنبي ﷺ ، وإنما هو رسول يتبع في ذلك إذن الله تعالى ، ولا دخل لاقتراح المقترحين في شيء من ذلك ، وهذا المعنى ثابت لجميع الأنبياء ، ويدل عليه قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾^(١).

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾^(٢).

ثانياً: إن في القرآن أيضاً آيات دالة على صدور الآيات من النبي ﷺ ، منها قوله تعالى :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^(٣).

﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾^(٤).

﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾^(٥).

ويدلنا على أن المراد من الآية هنا هي المعجزة: أنه عبر برؤية الآية ، ولو كان المراد هو آيات القرآن لكان الصحيح أن يعبر بالسماع دون الرؤية ، وأنه ضم إلى ذلك انشقاق القمر ، وأنه نسب إلى الآية المعجزة دون الإنزال وما يشبهه ، بل وفي قولهم: ﴿ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ دلالة على تكرار صدور المعجزة عنه ﷺ .

وإذن ، فلو سلّمنا دلالة الآيات السابقة على نفي صدور المعجزة عنه ، فلا بد

(١) الرعد ١٣ : ٣٨ .

(٢) غافر ٤٠ : ٧٨ .

(٣) القمر ٥٤ : ١ .

(٤) القمر ٥٤ : ٢ .

(٥) الأنعام ٦ : ١٢٤ .

وأن يراد من ذلك نفيه في زمان نزول هذه الآيات الكريمة ، وما بمعناها ، ولا يمكن أن يراد منه نفي الآية حتى بعد ذلك^(١) .

المتحصل من كلام المحقق الخوئي رحمه الله :

والمتحصل من كلام المحقق الخوئي (أعلى الله درجته) على طوله : ثلاثة مطالب مهمة :

الأول : إن الآيات الكريمة الظاهرة في حصر الآيات بالله تعالى ناظرة إلى آيات خاصة ، لا إلى مطلق الآيات ، وبالتالي فلا يستفاد منها عدم ثبوت الولاية التكوينية للنبي ﷺ ، وانحصر معجزته بخصوص القرآن الكريم .

الثاني : إن هنالك مجموعة من الآيات القرآنية الظاهرة في ثبوت آيات أخرى للنبي ﷺ غير القرآن الكريم ، وهي على نحوين :

النحو الأول : ما أشار لوجود الآيات بشكل عام ، نظير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾ ، فإنه ظاهر في تكرار طلبهم للآيات رغم الآيات التي كانت تأتيهم .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ * وقالوا إن هذا إلا سحر مبين^(٢) ، فإنه بقرينة استخدامه لمفردة (الرؤية) دون مفردة السماع ظاهر في إرادة الآيات الإعجازية .

النحو الثاني : ما أشار لآية خاصة بعينها ، نظير قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَاتَّشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعَرِفٌ ، والآية الأولى بضميمة الثانية - واشتمالها على لفظ (الرؤية) ، وتوصيفها الحدث بالسحر - ظاهرة ظهوراً

(١) البيان في تفسير القرآن : ١٠٦ - ١١٨ .

(٢) الصافات ٣٧ : ١٤ و ١٥ .

لا يقبل الشك في إرادة حادثة شق القمر على يد النبي الأعظم ﷺ ، لا انشقاق القمر الذي يحدث على مشارف يوم القيامة ، كما طرح ذلك بعضهم .

بل إن توصيفها للسحر بالاستمرار لا يخلو عن إشعار - بل ظهور - باستمرار الآيات ، بحيث صح وصفها بالسحر المستمر .

الثالث : ثبوت معجزة شق القمر ، وأن الآية المباركة ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ناظرة إليها بالتقريب المتقدم ، وهذا ما أكدت عليه كلمات أساطين الطائفة من العصر الأول حتى عصرنا هذا .

ولا بأس أن نسوق كلمتين لعلمين من أعلام الطائفة (قدس الله أسرارهم) للتدليل على ذلك :

١ - كلمة شيخ الطائفة الطوسي (أعلى الله درجته) : «ومن أنكر انشقاق القمر وأنه كان ، وحمل الآية على كونه في ما بعد - كالحسن البصري وغيره ، واختاره البلخي - فقد ترك ظاهر القرآن ، لأن قوله : ﴿ وَانْشَقَّ ﴾ يفيد الماضي ، وحمله على الاستقبال مجاز ، وقد روى انشقاق القمر عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وابن عمر وحذيفة وابن عباس وجبير بن مطعم ومجاهد وإبراهيم ، وقد أجمع المسلمون عليه ، ولا يعتد بخلاف من خالف فيه لشذوذه ، لأن القول به اشتهر بين الصحابة فلم ينكره أحد ، فدل على صحته ، وأنهم أجمعوا عليه ، فخلاف من خالف في ما بعد لا يلتفت إليه»^(١) .

٢ - كلمة العلامة الطباطبائي (أعلى الله درجته) : «وقوله : ﴿ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ أي انفصل بعضه عن بعض فصار فرقتين شقتين ، تشير الآية إلى آية شق القمر التي أجراها الله تعالى على يد النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة إثر سؤال المشركين

(١) التبيان في تفسير القرآن : ٩ : ٤٤٣ .

من أهل مكة، وقد استفاضت الروايات على ذلك، واتفق أهل الحديث والمفسرون على قبولها كما قيل، ولم يخالف فيه منهم إلا الحسن وعطاء والبلخي^(١).

(١) تفسير الميزان: ١٩ : ٥٥.

الإشكال السادس:

التمسك بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(١).

بتقريب: أن لفظة ﴿شَيْءٌ﴾ في الآية نكرة واقعة في سياق النفي، وهي -كما تحرّر في علم الأصول- تفيد العموم، وبالتالي فهي تدلّ على عدم ولاية النبي على شيء من الأمور، وهذا ما ينفي الولاية التكوينية من أساسها.

مناقشة الإشكال السادس:

والصحيح أن هذه الآية المباركة لا ظهور لها في المدعى، إلا مع قطعها عن سياقها، وإلا فإنّ من لاحظ ذيلها مع ما سبقها يدعن أنّها ناظرة للموقف الإلهي من المشركين، فإنّه أمر يرجع لله تعالى، وليس للنبي ﷺ دخالة في تقريره، ولا بأس بسرد ذلك في المقام ليتّضح الأمر، حيث يقول تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ * لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).

والمتحصّل منه أن قبول التوبة من الكافرين، أو إنزال العذاب بهم، ليس أمراً راجعاً للنبي ﷺ، وإنّما هو أمر راجع لله سبحانه وتعالى.

وحتى لو أغمضنا عمّا ذكرناه، فإنّ غاية ما تفيده الآية المباركة هو سلب

(١) آل عمران ٣: ١٢٨.

(٢) آل عمران ٣: ١٢٧ - ١٢٩.

الأمر عن النبي ﷺ ، وهذا يصدق حتى مع إرادة الخصوص الأمر الاستقلالي .
 جمعاً بين هذه الآية والأدلة الأخرى الصريحة في امتلاكه الأمر بعطاء الله تعالى
 وإفاضته .

الإشكال السابع:

التمسك بقوله (تبارك وتعالى): ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(١). بتقريب: أن الله سبحانه وتعالى قد نفى سيطرة النبي على الناس، وهذا يقتضي بالأولوية نفي ما يدعيه القائلون بالولاية التكوينية من سيطرته على الكون كله، وانحصار دوره في التذكير والإبلاغ فقط، كما هو مقتضى الحصر بأداة ﴿إِنَّمَا﴾.

مناقشة الإشكال السابع:

والصحيح عدم ورود هذا الإشكال، إذ أن هذه الآية ونظائرها إنما هي في مقام إفادة أن مهمة النبي ﷺ ليست هي الهداية التكوينية، وإنما هي الهداية التشريعية، أو فقل: ليست هي الإيصال إلى المطلوب، وإنما هي إراءة المطلوب، وبالتالي فإن هذه الآية الشريفة لا نظر لها لقدرات النبي ﷺ التكوينية نفيًا أو إثباتًا، وإنما هي تتحدث عن واحدة من سنن الله تعالى، وهي عدم قسرية الإيمان.

وبذلك يندفع الإشكال الذي يحوم حول نظائرها من الآيات الشريفة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾

(١) الغاشية ٨٨: ٢١ و ٢٢.

(٢) الأنعام ٦: ٦٦.

وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِغْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٢﴾.

قوله تعالى أيضاً: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٣﴾.

وقد اتضح ممّا ذكرناه أنّ هذه الآيات وأمثالها ليست بصدد نفي قدرة النبي ﷺ على التصرفات التكوينية، وتعجيزه عن القيام بشيء منها، كما قد يستظهر من الآية الأخيرة، وإنّما هي بصدد بيان أنّ مسألة هداية الناس -بمعنى الإيصال إلى المطلوب لا مجرد إرائته- ليست مهمة منوطة به، بل هي راجعة إلى الله تعالى؛ ولذا فإنّه حتّى لو جاءهم بآية من الآيات فإنّ ذلك لن يؤثر فيهم شيئاً، لكون سنة الله تعالى قد جرت على اختيارية الإنسان للكفر والإيمان.

والظاهر أنّ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿٤﴾ يصبّ في هذا المصّب أيضاً، وذلك من خلال ملاحظة سياق الآيات صدرأ وذيلاً، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي

(١) الأنفال ٨: ٦٣.

(٢) القصص ٢٨: ٥٦.

(٣) الأنعام ٦: ٣٥.

(٤) الجنّ: ٧٢: ٢١ - ٢٣.

لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً * إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاً إِلَيْهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا أَبَداً ﴿١﴾ فهو يوضح لهم أن وظيفة - بما هو رسول - هي إراءة الطريق في سبيل الدعوة إلى عبادة الله تعالى وإبلاغ رسالته ، وأما دفع الضرر والعذاب وجلب الخير والثواب فهو بيد الله تعالى .

(١) الجن: ٧٢ : ١٩ - ٢٣ .

الإشكال الثامن:

عدم استخدام الولاية التكوينية في الموارد التي ينبغي فيها الاستخدام، كموارد دفع الضرر، دليل على عدم.

وقد قرّر بعضهم هذا الإشكال بقوله: «ثمّ ما معنى هذه الولاية التي لا أثر لها في حياتهم من قريب أو من بعيد، ولا دخل لها في حماية رسالتهم، فلم يستعملوها في إذهاب الخطر عنهم، ولم يتحرّكوا بها في الانتصار لرسالتهم، وذلك من خلال قراءة تاريخهم الصحيح كلّ؟»^(١).

وبيّانه: أنّه لو كان المعصومون عليهم السلام يمتلكون الولاية التكوينية؛ لدفعوا الضرر عن أنفسهم، فمثلاً لو كان الإمام الحسين عليه السلام يمتلك الولاية التكوينية لجاء بالماء إلى طفله الرضيع، عوض أن يذهب به إلى المعركة، ويعرضه للقتل والشهادة، فعدم استخدام المعصومين عليهم السلام للولاية التكوينية في الموارد التي ينبغي فيها الاستخدام، كما في موارد دفع الضرر، وجلب المنفعة، دليل على عدم ثبوت الولاية التكوينية.

ويلاحظ على هذا الإشكال:

أولاً: إنّ لا ملازمة بين عدم الاستخدام وعدم القدرة، فإنّ عدم استخدام الله سبحانه وتعالى لولايته التكوينية في بعض الموارد، كإيجاد الولد للعقيم مثلاً، ودفع الضرر عن رسله وأنبيائه الذين يبلغون عنه، وعن المؤمنين المخلصين له،

(١) تفسير من وحي القرآن: ٦: ٢٨.

لا يعني عدم قدرة الله على ذلك ، ممّا يعني أنّه لا ملازمة بين عدم الاستخدام وعدم القدرة ، وتصور الملازمة بينهما لا يعقل له وجه وجيه .

وثانياً: إنّ المتتبع للمصادر التي كتبت عن معاجز أهل البيت عليه السلام ، وكراماتهم ، وتصرفاتهم التكوينية ، وهي فوق حدّ الإحصاء ، يلحظ أنّ الأئمة عليهم السلام قد استخدموا ولايتهم التكوينية في دفع الضرر ، وجلب المنفعة لأنفسهم ولشيعتهم في كثير من الأحيان .

فما ذكره صاحب الشبهة على نحو السلب الكلّي ، من أنّ المعصومين عليهم السلام لم يستخدموا ولايتهم لدفع الضرر عن أنفسهم ، أو لجلب المنافع لها ، ليس بصحيح ؛ لما ثبت من استخدامهم لها ، والموجبة الجزئية تחדش السالبة الكلية ، كما هو معروف منطقياً .

ومن تلك الموارد: المورد الذي يشير إليه المحقق الخوئي رحمته الله تبعاً للشيخ الأنصاري رحمته الله في المكاسب^(١) ، قال: عن ابن يقطين ، قال: استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ، ويقطعه ، ويخجله في المجلس ، فانتدب له رجلاً ، فلما أحضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز ، فكان كلما رام خادم أبي الحسن عليه السلام تناول رغيف من الخبز ، طار من بين يديه ، واستقر هارون الفرح والضحك لذلك ، فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام أن رفع رأسه إلى أسد مصوّر على بعض الستور ، فقال: « يا أسد الله ، خذ عدوّ الله » ، فوثبت تلك الصورة ، كأعظم ما يكون من السباع ، فافترست ذلك المعزم ، فخرّ هارون ونُدّامة على وجوههم مغشياً عليهم ، وطار عقولهم خوفاً من هول ما رأوه^(٢) .

(١) المكاسب : ١ : ١٨٤ .

(٢) مصباح الفقاهة : ١ : ٢٩١ .

وهذه حادثة واحدة تدلّ على أنّ الإمام عليه السلام قد استخدم ولايته التكوينية لدفع الضرر، والسيد الخوئي رحمه الله علّق على هذه الرواية بقوله: «ومن هنا يعلم أنّه لا استحالة في صيرورة الصور الأسديّة المنقوشة على البساط أسداً حقيقياً، وحيواناً مفترساً، بأمر الإمام عليه السلام، غاية الأمر أنّه من الأمور الخارقة للعادة»^(١).

والحاصل: فإنّ الأئمة عليهم السلام في مثل هذا المورد، الذي كان يُستهزء فيه بمقام الإمامة، كانوا عليهم السلام يستخدمون ولايتهم التكوينية، ومثل هذا المورد كثير جداً لمن جاس خلال الديار، وتتبع النصوص والأخبار.

وثالثاً: إنّ الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تؤكد على أنّ الأئمة عليهم السلام يمتلكون القدرة على التصرف في الأمور الكونية، ولكنهم لا يستخدمونها في بعض الموارد، مع قدرتهم على استخدامها.

ومن تلك الروايات: موثقة أبان الأحمر، قال: قال الصادق عليه السلام: «يا أبان، كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين عليه السلام لما قال: لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربت بها صدر ابن أبي سفيان في الشام، فنكسته عن سريرته، ولا ينكرون تناول آصف وصي سلمان عرش بلقيس، وإتيانه سليمان به قبل أن يرتد إليه طرفه؟! أليس نبينا صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء، ووصيه أفضل الأوصياء؟ أفلا جعلوه كوصي سليمان؟ حكم الله بيننا وبين من جحد حقنا، وأنكر فضلنا»^(٢).

ولعلّ عدم استخدامهم عليهم السلام يرجع إلى بعض الحكم الإلهية، والتي أشار إلى بعضها سفير الإمام الحجة عليه السلام الحسين بن روح رحمه الله، حينما سأله أحدهم: أخبرني عن الحسين بن علي عليه السلام أهو وليّ الله؟

(١) مصباح الفقاهة: ١: ٢٩١.

(٢) الاختصاص: ٢١٢، وقد تقدّم بيان حال سندها مفصلاً.

قال: نعم.

قال: أخبرني عن قاتله (لعنه الله) أهو عدو الله؟

قال: نعم.

قال الرجل: فهل يجوز أن يسلط الله (عز وجل) عدوه على وليه؟!

فأجابه الحسين بن روح عليه السلام بعد مقدمة مطولة: «كان من تقدير الله جل جلاله ولطفه بعباده وحكمته، أن جعل أنبياءه مع هذه المعجزات في حال غالبين، وأخرى مغلوبين، وفي حال قاهرين، وأخرى مقهورين، ولو جعلهم الله في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة من دون الله عز وجل، ولما عُرِفَ فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار، ولكنه جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم، ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين، وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين، غير شامخين ولا متجبرين، وليعلم العباد أن لهم عليهم السلام إلهاً، هو خالقهم ومدبرهم فيعبده ويطيعون رسله، وتكون حجة الله ثابتة على من تجاوز الحد فيهم، وادّعى لهم الربوبية»^(١).

والحاصل: فإن عدم استخدام المعصومين عليهم السلام لولايتهم التكوينية، لا يعني عدم ثبوتها لهم؛ لعدم الملازمة بين الأمرين، لا عقلاً ولا عادةً.

والى هنا نكون قد وصلنا إلى نهاية المطاف، متناولين أهم الإشكالات المثارة حول الولاية التكوينية، وهناك إشكالات أخرى، وجدنا أن الإعراض عنها أولى لعدم استحقاق ذكرها.

(١) الاحتجاج: ٢: ٤٧٣.

كلمة الختام

وبختام هذا البحث يتم الكلام حول مباحث الولاية التكوينية ، والحمد لله على التوفيق للبحث وإتمامه ، وقد انتهيت من مراجعة هذه البحوث وتهذيبها والتعليق عليها وأنا أسمع صوت أذان صلاة المغرب من يوم الأربعاء الموافق لتاريخ الحادي والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام لعام ألف وأربعمائة وأربعة وعشرين من الهجرة النبوية ، على مهاجرها وآله أفضل التحية وأزكى السلام ، في مدينة القطيف المحروسة ، بعيداً عن حاضرة العلم الكبرى في زماننا وهي بلدة (قم) المقدسة ، محروماً من النظر إلى تلك الحضرة الفاطمية ، والتزوّد من أنوارها وبركاتنا الإلهية ، على ساكتها ومشرفتها سيّدتنا ومولاتنا كريمة آل محمّد السيّدة فاطمة المعصومة أفضل الصلوات وخالص التحية ، سائلاً من المولى سبحانه وتعالى أن يجعل ثواب هذا الكتاب عوضاً عن ذلك الحرمان ، وأن لا يحرمني في مستقبل أيّامي من مجاورتها وزيارتها وشفاعتها في الدنيا والآخرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

واللعنة المؤتدة على أعدائهم أجمعين

ضياء السيّد عدنان الخبّاز القطيفي



الفهارس

١ - فهرس الآيات الكريمة

سورة البقرة - ٢

٢٥٦	﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٢
٢٤٨	﴿ فَتَلَقَّى آدَمَ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾	٣٧
٢٤	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾	٤٣
٢٦٩	﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	٥٧
٢٣٦ ، ٢٣٥ - ٢٣٤	﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾	١٢٤
١٧٦	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ	١٤٣
٢٣٢	﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ	٢٥٣
٦٣	﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا	٢٥٥
٣١٥ ، ٣١٢ ، ٢٢٧	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَىٰ ﴾	٣٦٠

سورة آل عمران - ٣

٦٣	﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن	٣٦
١٦٨ ، ١٤٠ ، ١٣٤ ، ٨٥٤ ، ٥٣	﴿ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ ... ﴾	٤٩
٣١٥ ، ٢٤١ ، ٢٠٨ ، ١٨٧		
٨٢٤	﴿ وَفِيهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ	٩٧
٣٤٣	﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ	١٢٧
٣٤٣	﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ	١٢٨

﴿ ١٢٩ ﴾ وَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ٣٤٣

سورة النساء - ٤

﴿ ٤١ ﴾ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ٢٣٨

﴿ ٥٤ ﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ١٦١

﴿ ٥٩ ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴿ ٢٧٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٦ ، ١١٠

﴿ ٨٠ ﴾ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ٢٧٦

سورة المائدة - ٥

﴿ ٥٥ ﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٢ ، ١٩٣ ، ٢٨ ، ١٨

٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨

﴿ ١١٠ ﴾ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ﴿ ١٦٨ ، ٥٥٤

﴿ ١١٤ ﴾ خَيْرُ الرَّاغِبِينَ ﴿ ١٣١

سورة الأنعام - ٦

﴿ ٨ ﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴿ ٣٣٧

﴿ ٣٥ ﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ٣٤٦

﴿ ٣٧ ﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ٣٣٧ ، ٣٢٢

﴿ ٥٠ ﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ٧١

﴿ ٥٩ ﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴿ ١٦٨

﴿ ٦٦ ﴾ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿ ٣٤٥

﴿ ١٠٩ ﴾ وَأَنصِرُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِنَبَأِ مَا هُمَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٢٢ ، ٣٢١

﴿ ١٢٤ ﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ تَأْتِيَ مَثَلَ مَا أُوتِيَ ٣٤٠ ، ٣٣٩ ، ٣٣١

سورة الأعراف - ٧

- ﴿ ١٢ ﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ ١٢١ هـ
- ﴿ ٥٤ ﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى ١٢١ هـ
- ﴿ ١٠٦ ﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٣١٦، ٣١٣
- ﴿ ١٠٧ ﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ٣١٦
- ﴿ ١٠٨ ﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْنُضَاءٍ لِلنَّاطِرِينَ ٣١٦
- ﴿ ١١٧ ﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ ٣١٦، ٣١٣
- ﴿ ١٤٥ ﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ٢٣٨
- ﴿ ١٦٠ ﴾ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ ٢٦٩
- ﴿ ١٨٠ ﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴿ ٢٨٨
- ﴿ ١٨٨ ﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ١٦٧، ١٦٦

سورة الأنفال - ٨

- ﴿ ٢٤ ﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ٢٦٢، ٢١٠
- ﴿ ٣٢ ﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ٣٣١
- ﴿ ٣٣ ﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴿ ٣٣١، ٣٣٠، ١١١ هـ، ١٠٩
- ﴿ ٦٣ ﴾ وَاللَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ٣٤٥

سورة التوبة - ٩

- ﴿ ٦١ ﴾ قُلْ أَدُنُّ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ ٢٦٥
- ﴿ ٧٤ ﴾ أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿ ١٣١

سورة يونس - ١٠

- ﴿ ٢ ﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ... ٢٧٤ ، ٢١٨ ، ٦٣
- ﴿ ٢٠ ﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ٣٣٧
- ﴿ ٣١ ﴾ وَمَنْ يُدَبِّرْ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴿ ٢٧٤
- ﴿ ٥٠ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَّاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَغْفِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿ ٣٣١

سورة هود - ١١

- ﴿ ٨ ﴾ وَلَئِنْ أَخْرَنَّا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ﴿ ٣٣١
- ﴿ ٢١ ﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ٧١

سورة يوسف - ١٢

- ﴿ ٢٣ ﴾ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴿ ١٥٢ هـ
- ﴿ ٤٠ ﴾ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴿ ٢٧٥
- ﴿ ٩٣ ﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ ٢٢٧
- ﴿ ٩٦ ﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴿ ٢٢٧

سورة الرعد - ١٣

- ﴿ ٢ ﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى ٢٧٤
- ﴿ ٧ ﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ٣٣٧ ، ٣٢٢
- ﴿ ١٦ ﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ ١٣١ ، ١٢٠ هـ
- ﴿ ٢١ ﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴿ ٢٧٥
- ﴿ ٣١ ﴾ وَلَوْ أَنْ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ ٢٩٦ ، ٢٥٧ ، ١٤٧
- ﴿ ٢٨ ﴾ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿ ٣٣٩ ، ١٣٤

﴿ ٤٢ ﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠

سورة إبراهيم - ١٤

﴿ ٢٩ ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ ٢٣٦

سورة الحجر - ١٥

﴿ ٦ ﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿ ٣٣٨

﴿ ٧ ﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ ٣٣٨

﴿ ٥١ ﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٢٣٦

﴿ ٥٢ ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ٢٣٦

﴿ ٥٣ ﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ٢٣٦

﴿ ٥٤ ﴾ قَالَ أَبَشِّرْهُمُنِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ ٢٣٦

﴿ ٥٥ ﴾ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تُكُنْ مِنَ الْقَاطِطِينَ ٢٣٦

سورة النحل - ١٦

﴿ ٦ ﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ ٣٣٢

﴿ ٢٨ ﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴿ ٢١٩ ، ١٣٢

﴿ ٨٩ ﴾ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ ٢٣٨

﴿ ٩٠ ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ٢٧٥

سورة الإسراء - ١٧

﴿ ١ ﴾ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى ٤٧

﴿ ٢٠ ﴾ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿ ٨٦ ، ٨٢

- ﴿ ٥٨ ﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا ۚ ۝ ٣٣٠
- ﴿ ٥٩ ﴾ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ ﴿ ٥٩ ﴾ ۝ ٣٣٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٠ ، ٣٢٧ ، ٣٢٢ ، ١٣٣
- ﴿ ٦٠ ﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ۝ ٣٣٦ ، ٣٣٣ ، ٣١٩ ، ١٦٥ ، ٧٣ ، ٧١ ، ٧٠
- ﴿ ٦١ ﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ ۝ ٣٣٣ ، ٣١٩ ، ١٦٥ ، ٧١ ، ٧٠
- ﴿ ٦٢ ﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ ۝ ٣٣٣ ، ٣١٩ ، ١٦٥ ، ٧١ ، ٧٠
- ﴿ ٦٣ ﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى ۝ ٣١٩ ، ١٦٦ ، ١٦٥ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠
- ٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٣
- ﴿ ٦٤ ﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ ۝ ٣٢٦ ، ٣٢٥ ، ١٦٦ ، ١٦٥ ، ٧٣ ، ٧١ ، ٧٠
- ﴿ ٦٥ ﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ١٦٦ ، ١٦٥

سورة الكهف - ١٨

- ﴿ ١١٠ ﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴿ ١١٠ ﴾ ۝ ٣٢٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٣

سورة مريم - ١٩

- ﴿ ١٦ ﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ ١٣٨
- ﴿ ١٧ ﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا ١٣٨
- ﴿ ١٨ ﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ١٣٨
- ﴿ ١٩ ﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا مريم ١٣٨

سورة طه - ٢٠

- ﴿ ١٩ ﴾ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴿ ١٩ ﴾ ١٣٤
- ﴿ ٢٠ ﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿ ٢٠ ﴾ ١٣٤
- ﴿ ٤١ ﴾ وَاضْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿ ٤١ ﴾ ١١٥

- ٦٧ ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ ٣١٣، ٥٧١
- ٦٨ ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ ٣١٣، ٥٧١
- ٦٩ ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ٣١٣

سورة الأنبياء - ٢١

- ١ ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ ٣٢٤
- ٢ ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ٣٢٤
- ٣ ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ٣٢٤
- ٥ ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴾ ٣٣٢
- ٢٢ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ٢٨٧
- ٦٨ ﴿ قَالُوا جِرَّتْ قُوَّةُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ ، ٣٢١
- ٦٩ ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ ٣١٥، ٣١٢، ٢٨٨، ١٣٣
- ٧٠ ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ٣١٥، ٣١٢
- ٧٩ ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا ١٤٨

سورة المؤمنون - ٢٣

- ١٤ ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ١٣١
- ٣٣ ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ ٣٢٤
- ٣٤ ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ٣٢٤

سورة الفرقان - ٢٥

- ٧ ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا ٣٣٨
- ٨ ﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ ٣٣٨

سورة الشعراء - ٢٦

- ١٤ ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ٥٧١
- ١٨٦ ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ٣٢٤
- ١٨٧ ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٣٢٤

سورة النمل - ٢٧

- ١٦ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ ١٤٧
- ١٧ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ﴾ ١٤٧
- ٢٠ ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهَيْدَهْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ٢٩٥
- ٢١ ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ٢٩٥
- ٢٨ ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَئِيكُمُ يَا تَبِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي﴾ ١٤٦
- ٢٩ ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ ٢٥٩، ٢٢٧، ١٤٦، ٥٥
- ٤٠ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ ٢٢١، ١٤٦، ٥٦، ٥٥
- ٢٥١ - ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩
- ٧٥ ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا﴾ ٢٩٦

سورة القصص - ٢٨

- ٢٠ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ﴾ ٩٣
- ٤٨ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ﴾ ٣٣٢
- ٥٦ ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ ٣٤٦

سورة العنكبوت - ٢٩

- ٥٠ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ﴾ ٣٢١

﴿٥٢﴾ وَيَسْتَغْفِرُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ ٣٣١

سورة الروم - ٣٠

﴿٤﴾ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ٢٧٧

﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ٢١٠

﴿٢٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ٢١٠

﴿٤٧﴾ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ٢٦٣

سورة لقمان - ٣١

﴿٢٤﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ٥١٢٠

سورة السجدة - ٣٢

﴿١١﴾ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ ٣١٠ ، ٢١٩ ، ١٦٨

سورة الأحزاب - ٣٣

﴿٦﴾ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ١٩٨

﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ ٢٦٣

سورة سبأ - ٣٤

﴿١﴾ إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ ٣٣٥

سورة فاطر - ٣٥

﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ١٣١ ، ٨٦

- ﴿ ٣٧ ﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اضْطَقْنَا مِنْ ٢٩٦، ٢٥٦
﴿ ٤٤ ﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي ٢١٥

سورة يس - ٣٦

- ﴿ ٨٢ ﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٢٧٤

سورة الصافات - ٣٧

- ﴿ ١٤ ﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿ ٣٤٠ ﴾
﴿ ١٥ ﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ٣٤٠
﴿ ١٠٢ ﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ٢٣٦
﴿ ١٠٣ ﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ٢٣٦
﴿ ١٠٤ ﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ٢٣٦
﴿ ١٠٥ ﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا كَذَلِكَ ٢٣٦
﴿ ١٠٦ ﴾ إِنَّ هَذَا لَهُو الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ٢٣٦
﴿ ١٤٤ ﴾ لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١١٨
﴿ ١٤٥ ﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ١١٨

سورة ص - ٣٨

- ﴿ ٣٥ ﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ... ١٥٧ - ١٥٩، ١٦١،
٣١٧، ٣١٦، ٣١٤
﴿ ٣٦ ﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً ٣١٧، ٣١٦، ٣١٤، ٢٢١، ١٥٩
﴿ ٣٧ ﴾ وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ٣١٧، ٣١٦، ٣١٤، ٢٢١، ١٥٩
﴿ ٣٨ ﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ٣١٧، ٣١٦، ٣١٤، ٢٢١، ١٥٩

﴿ ٣٩ ﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ،

٣١٧.

﴿ ٦٥ ﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ﴿ ٣٢٧ ﴾

﴿ ٧٥ ﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ ١٢٠ هـ

سورة الزمر - ٣٩

﴿ ٩ ﴾ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا ٢٤٣

﴿ ٢٥ ﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ ٣٣٢ ﴾

﴿ ٤٢ ﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴿ ٣١٠ ، ١٦٨ ، ١٣٢ ﴾

﴿ ٦٢ ﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴿ ١٦٨ ﴾

﴿ ٦٧ ﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٢١١

سورة غافر - ٤٠

﴿ ٧٨ ﴾ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ ٣٣٩

سورة فصلت - ٤١

﴿ ٦ ﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴿ ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ هـ ﴾

سورة الشورى - ٤٢

﴿ ٢ ﴾ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٩٠

﴿ ٤ ﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٩٠

﴿ ٥ ﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ٩٠

﴿ ٥١ ﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ ٩٢

سورة الزخرف - ٤٣

- ٣٣٦ ﴿٣١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٢﴾
٢٣٨ ﴿٣٣﴾ وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴿٣٤﴾

سورة الدخان - ٤٤

- ٢٥٧ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴿٣﴾

سورة محمد ﷺ - ٤٧

- ٢٦٣ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١٢﴾

سورة ق - ٥٠

- ٢٦٢ ﴿١٦﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٧﴾

سورة الذاريات - ٥١

- ٢٧١ ﴿٢٨﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ ﴿٢٩﴾
٨٨ ﴿٥٦﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٧﴾
١٣١ ﴿٥٨﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴿٥٩﴾

سورة الطور - ٥٢

- ٢٨٧ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٦﴾

سورة النجم - ٥٣

- ٩٢ ﴿٨﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٩﴾

- ٩٢ ﴿٩﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾
 ٩٢ ﴿١٠﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
 ٩٢ ﴿١١﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾
 ١٦٨ ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

سورة القمر - ٥٤

- ٣٤١ - ٣٣٩ ﴿١﴾ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾
 ٣٤٠ ، ٣٣٩ ﴿٢﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾
 ٣١٥ ، ٣١٢ ﴿٩﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾
 ٣١٥ ، ٣١٢ ﴿١٠﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾
 ٣١٥ ، ٣١٢ ﴿١١﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾
 ٣١٥ ، ٣١٢ ﴿١٢﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾

سورة الرحمن - ٥٥

- ١٤٦ ﴿٣٣﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ ۖ

سورة الواقعة - ٥٦

- ٢٥٦ ﴿٧٧﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾
 ٢٥٦ ﴿٧٨﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾
 ٢٥٦ ﴿٧٩﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
 ٢٥٦ ﴿٨٠﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

سورة الحشر - ٥٩

- ٢٧٦ ، ١٦٠ ، ٦٤ ﴿٧﴾ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ﴿٧﴾

﴿ ٢١ ﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَائِبًا مُتَصَدِّعًا ٢٥٧، ٩٠

سورة التحريم - ٦٦

﴿ ٤ ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴿ ٤ ﴾ ٢٦٣

سورة القلم - ٦٨

﴿ ٤ ﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿ ٤ ﴾ ٢٧٥

سورة الجن - ٧٢

﴿ ١٩ ﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ٣٤٦

﴿ ٢٠ ﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ٣٤٦

﴿ ٢١ ﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٣٤٦

﴿ ٢٢ ﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٣٤٦

﴿ ٢٣ ﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ٣٤٦

﴿ ٢٧ ﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿ ٢٧ ﴾ ١٦٨

﴿ ٢٦ ﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿ ٢٦ ﴾ ١٦٨

سورة المزمل - ٧٣

﴿ ٥ ﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿ ٥ ﴾ ٩٠

سورة الإنسان - ٧٦

﴿ ٣٠ ﴾ وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿ ٣٠ ﴾ ٦٩، ٦٣

سورة النازعات - ٧٩

٢٧٥ ، ١٣٨ ، ١٣٢ ، ٣٨

﴿ ٥ ﴾ فَأَلْمَذَبَّرَاتِ أَمْرًا ﴿

٩١

﴿ ٣٧ ﴾ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿

سورة عبس - ٨٠

٦٢

﴿ ١٧ ﴾ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ﴿

٦٢

﴿ ١٨ ﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿

٦٢

﴿ ١٩ ﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿

٦٢

﴿ ٢٠ ﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴿

٦٢

﴿ ٢١ ﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿

٦٢

﴿ ٢٢ ﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿

سورة الانفطار - ٨٢

٣٣٥

﴿ ١ ﴾ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿

سورة الانشقاق - ٨٤

٣٣٤

﴿ ١ ﴾ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿

سورة البروج - ٨٥

٢٥٦

﴿ ٢١ ﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿

٢٥٦

﴿ ٢٢ ﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿

سورة الغاشية - ٨٨

٣٤٥

﴿ ٢١ ﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿

- ٣٤٥ ﴿ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ ٢٢
- ٣١٠ ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ ٢٥
- ٣١٠ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ ٢٦

سورة القدر - ٩٧

- ٢٥٧ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ١

٢ - فهرس الروايات الشريفة

الأحاديث القدسيّة

- ١٥٣ « إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا أَطَاعُوهُ فِيمَا أَرَادَ فَطَاعَهُمْ فِيمَا أَرَادُوا »
- ١١٦ « خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ لِأَجْلِكَ ، وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلِي »
- ١٥٣ « عَبْدِي أَطْعَنِي أَجْعَلْكَ مِثْلِي ، أَنَا حَيٌّ لَا أَمُوت
- ١١٧ « فَلَوْلَاكُمْ مَا خَلَقْتُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، وَلَا الْجَنَّةَ وَلَا النَّارَ »
- ١١٩ « لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ »
- ١١٧ « هَذَا نُورٌ مِنْ نُورِي ، أَصْلُهُ نَبْوَةٌ
- ١٥٣ « يَا بَنَ آدَمَ ، أَنَا حَيٌّ لَا أَمُوت ، أَطْعَنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ
- ١٥٣ « يَا بَنَ آدَمَ ، أَنَا غَنِيٌّ لَا أَفْتَقِرُ ، أَطْعَنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ
- ١١٧ « يَا عَبْدِي أَنْتَ الْمَرَادُ وَالْمَرِيدُ ، وَأَنْتَ خَيْرَتِي مِنْ خَلْقِي

أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

- ٢٠٢ « الْأَرْضُ كُلُّهَا لِلْإِمَامِ »
- ١١٠ « أَنَا سَائِلُكُمْ وَآمِلُكُمْ فِيمَا إِلَيْكُمْ التَّفْوِيضُ »
- ١٩٥ « إِنَّ لَنَا مَعَ اللَّهِ حَالَاتٍ لَا يَسْعَاهَا مَلِكٌ مَقْرَبٌ ، وَلَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ »
- ٢٨٨ « بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ »
- ١٩٨ ، ١٨٤ « فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَأَنْتُمْ لَهُ السَّبَبُ »
- ٢٩١ « لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ ، فَتَقَّهَا وَرَتَّقَهَا »

- « لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها » ٣٢٦
- « ما خالف كتاب الله فهو زخرف » ٣٠٩
- « ما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فذروه » ٣٠٩
- « وأسألك باسمك الأعظم الذي أمرت به إبراهيم أن يدعو به » ٢٨٨
- « ولو خليت لقلبت » ٢٠٢
- « يا ملائكتي ، ويا سكان سماواتي ، إنني ما خلقتُ سماءً » ٢٤٧

السؤال الأعظم في الولاية

- « إذا أراد الله أن يوحى بأمر تكلم بالوحي ، فإذا تكلم بالوحي » ٩٠
- « اللهم إنني أسألك بحق محمد وآل محمد ، سبحانه لا إله » ٢٤٩
- « أما والله إن في أهل بيتي من عترتي لهداة مهتدين من » ٢٤١
- « أنا سيد الأولين والآخرين ، وأنت يا علي سيد الخلائق بعدي » ٢٤١
- « إن أول ما خلق الله نوري » ٩٥
- « إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه ، ولكن أقول : إن آدم عليه السلام لما أصاب » ٢٥٠
- « أول ما خلق الله نوري ، ثم فتق منه نور » ١١٢
- « خلق الله السماوات والأرض من نوري » ٢٠٢
- « زملوني زملوني » ٩٢
- « سأل بحق محمد وعلي » ٢٤٩
- « قبل آدم بأربعين ألف عام ، فلم نزل تتمحض في النور ، » ١١٢
- « كنت وعلي نوراً بين يدي الرحمن ، قبل أن » ١١٥ ، ١١٢
- « لما خلق الله آدم أبو البشر ، ونفخ فيه من روحه ، التفت آدم » ٢٤٧
- « ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت » ٢٤٤
- « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » ١٨

- « النجوم أمان لأهل السماء ، ١٠٩ »
 « نور نبيك يا جابر ، خلقه الله ثم خلق منه كل خير ٩٦ »
 « ولولانا لم يخلق الله الجنة والنار ، ولا الأنبياء ، ولا الملائكة ١١٧ »
 « يا آدم ، هؤلاء صفوتي من خلقي ، ٢٤٨ »
 « يا علي ، إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ٢٣٩ »
 « يا علي ، لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ، ١١٧ »
 « يا علي ، ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً ٢٤٤ »

الأمير محمد بن علي عليه السلام

- « أنا عين الله في أرضه ، أنا لسان الله الناطق في خلقه ، أنا نور الله ١٦١ »
 « الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ٣٠ »
 « فإنا صنائع ربنا ، والناس بعد صنائع لنا ١١٣ ، ١١٢ »
 « فقد نزلت عليه وهو على بغلته الشهباء ، وثقل عليها الوحي ، ٩١ »
 « قد أعطانا ربنا عز وجل علماً للاسم الأعظم ، الذي لو شئنا ١٤٩ »
 « كأنكم قد هالكم ١٢٤ »
 « والإمام لا يغزب عنه شيء يريد ١٦٢ »
 « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إن سليمان بن داود سأل الله عز وجل ١٦١ »
 « ولا تعجبوا من أمر الله سبحانه ، فإن آصف بن برخيا ٢٥٤ »
 « ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المزمع نفسه ، لذكر ذاكر فضائل ١١٥ »
 « يا سلمان ، الويل كل الويل لمن لا يعرفنا حق معرفتنا ، وأنكر فضلنا ٢٥٤ »

الأمير الحسن عليه السلام

- « وَيْلَكَ ، لَيْسَ بِسِحْرِ ، وَلَكِنْ دَعْوَةُ ابْنِ نَبِيِّ مُسْتَجَابَةٍ ٥٨ ، ٥١ »

١٦٠

« يا أمير المؤمنين ، إنَّ سليمان سأل

الإمام السجستاني عليه السلام

« إنَّ محمداً ﷺ كان أمين الله في أرضه ، فلما قبض ١٠٧

الإمام السجستاني عليه السلام

« أتحبُّ أن تكونَ هكذا ، ولكَ ما للناس ، وعليكَ ما عليهم ١٤١ ، ١٢٤ ، ٢٩٩

« إنَّ اسمَ الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، وإنما كان عند آصف ٢٩٢

« إنَّ الله اتخذ إبراهيم ﷺ عبداً قبل أن يتَّخذه نبياً ، واتَّخذه نبياً قبل ٢٣٤

« إنَّ الله أقدرنا على ما نريد ، ولو شئنا أن نسوق الأرض بأزمته ٥٦ ، ١٦٢ ، ١٧٠

« إنَّ الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق ، خلق ماء عذباً ، وماءً مالحاً ٢٤٣

« إنَّ الله تعالى أعظم وأعزُّ وأجلُّ وأمنعُ من أن يُظلمَ ، ولكِنَّه خلَطنا ٢٦٩

« إنَّ الله عزَّ وجلَّ أدبَ نبيِّه على محبَّته ٢٧٥

« إنَّ محمداً ﷺ سأله قومه أن يأتي بآية ، فنزل جبريل ٣٣٢

« إيانا عنى ، وعليَّ أولنا ، وأفضلنا ، وخيرنا بعد النبي ﷺ » ٢٥٢

« قال رسول الله ﷺ لأمر المؤمنين ﷺ : اكتب ما أملي عليك ١٠٦

« لبقاء العالم على صلاحه ، وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ يرفع العذاب عن أهل ١٠٩

« ما تقول أعلمك ؟ (فيمن سأله عن الاسم الأعظم) ٢٨٢

« ما يتقرَّب إليَّ عبد من عبادي ١٥٢

« نعم ، بإذن الله ٢٩٤ ، ١٥٠

« نحن الأمة الوسط ، ونحن شهداء الله تبارك ١٧٦

« نحن حجة الله ، ونحن باب الله ، ونحن لسان الله ، ٢٧٨ ، ٢٧٣

« وإنَّما سمِّي أولوا العزم أولوا العزم ؛ لأنَّه ٢٤٤

- « ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث ٢٤٤
 « هم الأئمة عليهم السلام » ٢٦٩
 « يا جابر ، إنا من الله بمكان ومنزلة ١١٧
 « يا جابر ، ما سَتَرْنَا عَنْكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا ١٢٤

الإمام الصادق عليه السلام

- « الأئمة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ ، وَلَا يَحُلُّ ٢٤٠
 « أبى الله أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابَ ، فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَباً » ١٣٢
 « أَتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ هَكَذَا ، وَلَكَ مَا لِلنَّاسِ ، وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ ٢٩٩ ، ١٢٤ ، ١٤١
 « أتى يهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فقام بين يديه يحدّ النظر إليه ٢٤٩
 « إذا كانت لك حاجة إلى الله ١٧٧ هـ
 « الاسم غير المسمّى ... إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْماً ٢٨٦
 « أعطي سليمان ملكاً عظيماً ١٦٠
 « أما تعلمون أَنَّ أَعْمَالَكُمْ تَعْرُضُ ١٧٥
 « إِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ عَلَى اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ حَرْفاً » ٢٨٠
 « إِنَّ الدُّنْيَا تَمَثَّلُ لِلْإِمَامِ فِي مِثْلِ فَلَقَةِ الْجَوْزِ ، ٢٩٦ ، ١٢٤ ، ١٦٢
 « إِنَّ اللَّهَ أَذَبَ رَسُولَهُ حَتَّى قَوْمَهُ عَلَى مَا أَرَادَ ، ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ ٢٧٦
 « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ ٢٣٤
 « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أُولِيَ الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَفَضَّلَهُم بِالْعِلْمِ ، ٢٤٢ ، ٢٣٨
 « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا ، فَأَخْسَنَ خَلْقَنَا ؛ وَصَوَّرَنَا فَأَخْسَنَ ١٠٧
 « إِنَّ اللَّهَ سَيَجْمَعُ لَنَا وَلِشِيعَتِنَا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ٢٩٩
 « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ اسْمَهُ الْأَعْظَمَ عَلَى ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ حَرْفاً ، ٢٩٢ ، ١٥٠
 « إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ أُولِيَ الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ بِالْعِلْمِ ، وَوَرَّثَنَا عِلْمَهُمْ ، ٢٣٩

- « إِنَّا لَمَّا أَتَيْنَا أَنْ لَنَا خَالِقًا ، صَانِعًا ، ٨٩ ، ٩٦
- « إِنَّكَ لَنْ تَقْوَى عَلَى ذَلِكَ » ٢٨٢
- « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ مِنْ نُورِهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَهُمْ عَيْنُ اللَّهِ النَّاطِرَةُ ٩٧
- « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهُمْ مِنْ نُورِهِ وَرَحْمَتِهِ ، ٧٨ ، ١٠٥
- « إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، ٣٢٥
- « أَيُّ شَيْءٍ يَقُولُ الشَّيْعَةُ فِي عِيسَى وَمُوسَى وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ » ٢٣٧
- « تَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ، وَتَسَلِّمْ ، وَتَسْجُدْ ، ١٧٧ هـ
- « دَعْنِي مِنْ اخْتِرَاعِكَ ، إِذَا نَزَلَ بِكَ أَمْرٌ فَانْزِعْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ١٧٧ هـ
- « ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، ذَاكَ إِذَا تَجَلَّى اللَّهُ لَهُ ٩١
- « رَحِمَكَ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ » ٢٧٠
- « الْعِبُودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهَهَا الرُّبُوبِيَّةُ » ١٥٢
- « فَاعْلَمْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنَ الْأَئِمَّةِ ٢٣٢
- « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ أَهَانَ لِي ١٥٢
- « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَالَ اللَّهُ : مَا تَحَبَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبُّ ١٥٣
- « كَانَ مَعَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ حَرْفَانِ يَعْمَلُ بِهِمَا ، ٢٩٢ ، ٢٨٣ ، ١٤٨
- « كُلُّ مَا كَانَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فَلَنَا ٢٤١
- « لَا ، إِنَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ ، ٩٢
- « لَوْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ سِرٌّ لَسَارٌ » ٥٦
- « لَوْ كُنْتُ بَيْنَ مُوسَى وَالْخَضِرَ لَأَخْبَرْتُهُمَا أَنِّي أَعْلَمُ مِنْهُمَا ، ٢٤٢
- « مَا مِنْ نَبِيٍّ نُبِّئَ ، وَلَا مِنْ رَسُولٍ أُرْسِلَ ، إِلَّا بَوَلَّيْتُنَا ، ٢٤٣
- « مَا مِنْ نَبِيٍّ ، وَلَا مِنْ رَسُولٍ أُرْسِلَ إِلَّا بَوَلَّيْتُنَا ، ٢٣٩
- « مَا نُبِّئُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ حَقًّا ، ٢٤٤
- « نَحْنُ جَنْبُ اللَّهِ ، وَنَحْنُ صِفْوَةُ اللَّهِ ، وَنَحْنُ خَيْرَةُ اللَّهِ ، وَنَحْنُ مُسْتَوْدَعٌ ١٠٨

- ٢٨٨ « نَحْنُ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ »
- ٢٧٣ « نحن ولادة أمر الله ، وورثة وحي الله ، وعتره نبي الله »
- ٢٩٦ « نعم ، وما دون العرش »
- ٢٦٨ « نَعَمْ ، هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : »
- ٢٥٣ « والله ! عندنا علم الكتاب كله »
- ٢٩٢ « وإنه جمع الله ذلك لمحمد ﷺ وأهل بيته ، وإن اسم الله الأعظم ثلاثة »
- ٢٠٤ ، ١٠٩ ، ٨٠ « وَيَكُنْ تَنْبِثُ الْأَرْضُ أَشْجَارَهَا ، »
- ١٦٢ « وروح القدس ثابت ، يرى به ما في شرق الأرض وغربها ، »
- ٢٦٠ « وما أعطي سليمان بن داود؟ إنما كان عدده حرف واحد من »
- ٣٥٠ ، ٢٩٤ ، ٢٦٠ ... « يا أبا ن ، كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين عليه السلام لما قال : »
- ٢٧٣ « يابن أبي يَغْفُورٍ ، إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ ، مُتَوَحِّدٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، »
- ٢٥٥ « يا سدير ، ما تقرأ القرآن ؟ »

الْإِمَامُ الْكَافِي ع

- ١٤٧ « إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ »
- ١٠٧ « قد بعثت إليك بكتاب فاقرأه وتفهمه ، فإن فيه شفاء لمن »
- ١٦٠ « قد والله أوتينا ما أوتي سليمان »
- ٢٩٥ « ما بعث الله نبياً إلا وقد كان محمد ﷺ أعلم منه »
- ٣٠٠ « ما يبكيك يا أمة الله ؟ »
- ٣٤٨ ، ٣٠١ « يا أسد الله ، خذ عدو الله »

الْإِمَامُ الرِّضَا ع

- ١٧٦ « إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ »

- « إِنَّ الْإِمَامَةَ خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ٢٣٤
 « إِنَّ اللَّهَ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) فَوَّضَ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَمْرَ دِينِهِ ٦٤
 « الْغَلَاةُ كُفَّارٌ ، وَالْمَفْوَضَةُ مُشْرِكُونَ ، مَنْ جَالَسَهُمْ أَوْ خَالَطَهُمْ ٦٤
 « فَأَمَّا الْخَلْقُ وَالرِّزْقُ فَلَا » ٦٥

الْإِمَامَةُ الرَّجُولِيَّةُ ﷺ

- « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ فَرْدًا مُتَفَرِّدًا فِي الْوَحْدَانِيَّةِ ٦٨

الْإِمَامَةُ الْهَادِيَّةُ ﷺ

- « اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ ٢١٤٩
 « اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفًا ، وَإِنَّمَا كَانَ ٢٢٨٤
 « بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ ، وَبِكُمْ يَخْتِمُ ، وَبِكُمْ يُنْزَلُ ١٠٦ ، ٦٦
 « وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ » ٣١٠
 « وَلَمْ يَعْجِزْ سُلَيْمَانُ عَنْ مَعْرِفَةِ مَا عَرَفَ آصَفُ ، لَكِنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ٢٦١

الْإِمَامَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ ﷺ

- « أَنَّ نَوْمَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى أَقْفِيَّتِهِمْ ، وَنَوْمُ ٣٠١
 « يَا كَامِلُ هَذَا اللَّهُ ، وَهَذَا لَكُمْ » ٦٩

الْإِمَامَةُ الْمَهْدِيَّةُ ﷺ

- « الَّذِي بَقَائِهِ بَقِيَّتُ الدُّنْيَا ، وَيُؤْتِيهِ رِزْقُ الْوَرَى ، ٦٥
 « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعٍ مَا يَدْعُوكَ بِهِ ٢٧٣
 « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَجْسَامَ ، وَقَسَمَ الْأَرْزَاقَ ؛ ٥٢

- « إِنَّ اللَّهَ فَوْضَ لِلْأُئِمَّةِ أَمْرَ دِينِهِ » ٦٢
- « إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَجْسَامَ وَقَسَمَ الْأَرْزَاقَ » ٥٩
- « وَنَحْنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا ، وَالْخَلْقُ بَعْدَ صَنَائِعِنَا » ١١٦ ، ١١٢
- « يَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَخْلُقُ ، » ٥٩

ابن عباس

- « سَأَلَ أَهْلَ مَكَّةَ النَّبِيَّ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصِّفَا ذَهَباً » ٣٣٢

٣- فهرس الأعلام

٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،	الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر
٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ،	١٨ ، ٢٢ ، ٢٦ - ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٥ - ٤٨ ،
٢٦٠ ، ٣٥٠ ،	٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ هـ ، ٦٦ هـ ، ٦٨ ، ٧٠ - ٧٣ ،
الزهكراء	٧٩ ، ٨٠ ، ٩٠ - ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٧ ،
٢٤٩ ، ٢٤٦ ، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٧٧ هـ ، ٦٨ ،	١٠٩ ، ١١١ هـ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ - ١١٨ ،
الإمام أبو الحسن علي بن أبي طالب	١٢٢ - ١٢٥ هـ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ -
٢٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٠٦ ، ٥٨ ، ٥١ ،	١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٥٩ - ١٦١ ، ١٦٦ هـ ، ١٦٨ هـ -
٣٤٣ ،	١٧١ ، ١٧٧ هـ ، ١٨٥ ، ١٩٠ - ١٩٤ ، ١٩٧ ،
الإمام أبو الحسن علي بن أبي طالب	١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ،
٣٤٨ هـ ، ٣٠١ هـ ، ٢٤٩ ، ١٦٠ ، ١٠٩ ، ١٠٦ ،	٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ - ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ -
٣٥٠ ،	٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ،
الإمام أبو الحسن علي بن أبي طالب	٢٦٩ ، ٢٧٥ - ٢٧٧ هـ ، ٢٨٠ هـ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ،
١٠٧ ،	٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣١٠ ، ٣٢٤ ،
	٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،
الإمام أبو الحسن علي بن أبي طالب	٣٣٢ ، ٣٣٣ - ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ،
٥٦ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،	الأمير علي بن أبي طالب
١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ،	٣٠ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٩١ ،
٢٣٤ ، ٢٣٧ هـ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٦٩ ،	١١٢ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٤١ ، ١٤٩ ،
٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ،	١٦٠ - ١٦٢ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ،

٣٣٢ ، ٢٩٨

الإمام الصادق عليه السلام

٥١ ، ٥٦ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠٥ ،

١٠٧ - ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ،

١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،

١٧٥ ، ١٧٧ هـ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ - ٢٤٤ ،

٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،

٢٧٢ ، ٢٧٣ هـ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،

٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،

٢٩٩ ، ٣٢٥ ، ٣٥٠

الإمام الحكيم عليه السلام

١٠٧ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،

٣٤٩

الإمام الرضا عليه السلام

٣٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٧٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،

٢٣٤ ، ٢٣٧ هـ

الإمام الجواد عليه السلام

٦٨

الإمام الهادي عليه السلام

٩٤ ، ١٠٦ ، ١٤٩ ، ٢٦١ ، ٣١٠ ،

الإمام عيسى عليه السلام

٦٩ ، ٢٨٤

الإمام المهدي عليه السلام

٣٤ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ١١٢ ، ٢٤٤ ، ٢٧٣ ،

٣٠٢ هـ ، ٣٢٥ ، ٣٥٠

الأنبياء والأولياء والملائكة عليه السلام

آدم عليه السلام : ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٤٨ ،

٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ،

٢٩٢ ، ٢٩٥

إبراهيم عليه السلام : ٧١ ، ١٠٧ ، ١٣٣ ، ١٤٨ ،

٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٠ ، ٢٨٠ ،

٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ،

٣١٦ ، ٣٢٠ .

داود عليه السلام : ٢٦١

سليمان عليه السلام : ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،

١٦١ ، ١٦٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،

٢٨٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٣ ،

٣١٧ ، ٣٥٠

عيسى عليه السلام : ٤٣ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٣٨ ،

١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢٢ ،

٢٣٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،

٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣٢٠

نوح عليه السلام : ١٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨٠ هـ ، ٢٨١ ،

٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٠

موسى عليه السلام : ٧١ هـ ، ٩٣ ، ١١٥ هـ ، ١٣٤ ،

١٣٥ ، ٢٠٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ،

حرف الألف

- ٢٥٠ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٣٠١ ،
 ٣١٦ ، ٣٢٠
 يوسف عليه السلام: ١٥٢ هـ
 أم موسى بن عمران: ٢٤٩
 حواء: ١١٧
 خديجة: ٩٢
 الخضر: ٢٤٢
 زينب عليها السلام: ٢٧
 فاطمة المعصومة عليها السلام: ٣٥٢
 مريم عليها السلام: ١٣٨
 آصف بن برخيا: ٣٣ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٨١ ،
 ٢٩٤ ، ٣٥٠
 ملك المطر: ١٨٧
 ملك الموت: ١٨٧ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢١٩
 ميكائيل: ١٨٧ ، ٢٠١
 جبرائيل: ٩١ ، ٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٤٧
 الآخذ: ١٩ ، ٨٨٣ ، ٨٢٣٠ ، ٢٦٧
 الأشتياني: ٣٦ ، ١٧١
 الأملّي: ١٩٨
 أبان: ٢٧٠
 أبان الأحمر: ٢٦٠ ، ٢٩٤ ، ٣٥٠
 أبان بن تغلب: ١٥٢ ، ٢٤٦ هـ
 أبان بن عثمان: ١٠٥
 أبان بن عثمان الأحمر البجلي: ٢٩٤ هـ
 إبراهيم: ٣٤١
 إبراهيم بن عبد الحميد: ٢٩٥
 إبراهيم بن عمر اليماني: ١٠٦
 إبراهيم بن هاشم: ١٧٥ هـ ، ١٧٦ هـ ، ٢٤٦ هـ ،
 ٢٥٢ ، ٢٩٤ هـ
 ابن أبي الخطّاب: ٢٤١ هـ
 ابن أبي جمهور الأحسائي: ٣٣
 ابن أبي سفيان: ٢٦٠
 ابن أبي عمير = محمّد بن أبي عمير: ٢٩٤ هـ
 ابن أبي عمير: ١٢٣ هـ ، ١٢٤ ، ١٤١ ، ٢٥٢ ،
 ٢٨٨ هـ ، ٢٩٩
 ابن أبي نجران: ٢٧٦ هـ
 ابن أبي يعفور: ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
 ابن أذينة: ١٧٦ ، ٢٥٢
 ابن أذينة = عمر بن أذينة: ١٧٦ هـ

- ابن النجار: ٢٤٩
ابن الوليد: ١٢٣، ٢٧٦، ٣٠١ هـ
ابن بكير: ٢٥٩
ابن جندب: ١٠٨ هـ
ابن حماد الأهوازي: ٢٤٠ هـ
ابن حمزة الطوسي: ٢٤٦ هـ
ابن خالد البرقي: ٢٧٦، ٢٩٩ هـ
ابن خالد: ١٧٦ هـ
ابن راشد: ١٢٣ هـ
ابن سعيد الزيات: ٢٣٩ هـ
ابن سعيد بن عقدة: ٢٦٨ هـ
ابن سنان: ٦٨
ابن سينا = الشيخ الرئيس: ١٧٣، ١٧٥ هـ
ابن شهر آشوب: ١٢٤
ابن طاووس: ٢٨٨
ابن عباس: ٢٤٩، ٣٣٢، ٣٤١ هـ
ابن عبدالرحمن البرقي: ٢٧٣ هـ
ابن عبدالسلام: ١٢٣ هـ
ابن عربي: ٢٨٦ هـ
ابن عمر: ٣٤١ هـ
ابن عيسى: ١٧٦، ٢٣٩، ٢٩٩ هـ
ابن عيسى الأشعري: ٢٤٠، ٢٧٦ هـ
ابن فضال: ١٢٣ هـ
ابن قولويه القمي: ٢٤٦ هـ
ابن محبوب: ٢٨٨ هـ
ابن مسكان: ٢٤٠ هـ
ابن منظور: ١٧ هـ
ابن نما الحلبي: ٢٤٦ هـ
ابن يقطين: ٣٤٩ هـ
أبو إسحاق النحوي: ٢٧٥ هـ
أبو إسحاق النحوي = ثعلبة بن ميمون:
٢٧٦ هـ
أبو الحسن الدلال: ٥١ هـ
أبو الحسن الشعراني: ١١٣، ٢٩١ هـ
أبو الطفيل: ١٠٦ هـ
أبو الطفيل = عامر بن وائلة: ١٠٦ هـ
أبو بصير: ١٢٣، ١٤٠، ١٥٠، ٢٣٩ هـ
٢٤٣، ٢٤٦، ٢٧٣، ٢٩٤، ٢٩٨ هـ
أبو بكر: ١٢٤ هـ
أبو تراب الخوانساري: ٢٣٠ هـ
أبو جعفر الطبري الأملّي: ٣٢ هـ
أبو سعيد القمّاط: ١٥٢ هـ
أبو سفيان: ٢٩٤، ٣٥٠ هـ
أبو سلمة السراج: ٢٩٩ هـ
أبو عبدالله البرقي: ١٤٨ هـ
أبو عبدالله البرقي = محمد بن خالد البرقي:
١٤٩، ٢٨٠ هـ
أبو محمد: ١٢٤، ١٤٠، ١٥٠، ٢٩٩ هـ

حرف الحاء

٢٨٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٥٠

حامد اللكهنوي : ١٨ هـ

البهائي العالمي : ٣٤

حبابة الوالبيّة : ١٦٢

بهجت : ٢٠١

حذيفة : ٣٤١

البهشتي : ٤٣

الحرّ العالمي : ٢٩٧ ، ٢٢٩

الحسن : ٣٤٢ .

حرف التاء

الحسن البصري : ٣٤١

التبريزي : ١١٣ ، ٢٠٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

الحسن بن الحسين اللؤلؤي : ٢٧٦ هـ

٢٢٦ ، ٣٠٧

الحسن بن راشد : ١٠٩

التستري : ١٩ هـ

الحسن بن زياد : ٢٧٦

التفتازاني : ١٤٦ هـ

الحسن بن زياد العطار : ٢٧٦ هـ

تقي القمي : ٢٠٨ ، ٢٦٠ ، ٢٢٢

الحسن بن زين الدين = الشهيد الثاني :

٢٤٦ هـ

حرف الشاء

الحسن بن سعيد : ١٠٧

ثعلبة بن ميمون : ٢٧٦ هـ

الحسن بن عليّ بن زياد الوشاء : ١٧٦ هـ

الحسن بن عليّ بن فضال : ٢٦٠ هـ

حرف الجيم

الحسن بن محبوب : ٢٤١ هـ

جابر : ٢٣٤ ، ٢٩٢

الحسن بن محمّد بن الحسن الطوسي : ٢٤٦ هـ

جابر الجعفي : ١١٧

الحسين بن أبي العلاء : ٢٦٨

جابر بن عبد الله : ٩٦

الحسين بن الحسن : ١٠٧

جابر بن عبد الله الأنصاري : ١٢٤ ، ٢٤٦ هـ

الحسين بن ثوير : ١٠٩

جابر بن يزيد الجعفي : ١٠٩ ، ٢٤٦ هـ

الحسين بن ثوير بن أبي فاختة : ٢٩٩

جبير بن مطعم : ٣٤١

الحسين بن روح : ٣٥٠ ، ٣٥١

جندب : ١٤٩

الحسين بن سعيد : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٢٤٠ هـ

١٩٢ ، ٢٢٦ ، ٢٤٠ هـ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧ ،

٢٩٠ ، ٢٩٩ هـ ، ٣٢٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٩ ،

٣٥٠

حرف الدال

الداماد: ٣٤

الديلمى: ١١٢ ، ٢٤٨

حرف الراء

رجب البرسى: ٣٣

الرشيد: ٣٠٠ ، ٣٤٩

الروحانى = السيد الأستاذ: ٢٠ هـ ، ٢٩ هـ ،

٧٧ ، ١٢٥ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٥١ ،

٢٥٣

الروحانى = السيد محمد الروحانى: ٢٠ ،

١٩٩ ، ٢٠٠

حرف الزاي

الزبير: ٥١

زرارة بن أعين: ٩١ ، ٢٦٩

زيد الشحام: ١٦٠ ، ٢٣٤

زين العابدين الكلبي يگاني: ٨٣ هـ ، ٢٣٠

الحسين بن عبدالله البحراني: ٢٤٦ هـ

الحسين بن عبدالله بن جندب: ١٠٧

الحسين بن علوان: ٢٤٢

الحسين بن محمد الأشعري: ١٤٩

الحكيم السبزواري: ٢٣ ، ٨٣ هـ ، ٢٤٥ هـ

الحلي (المحقق): ٢٤٦ هـ

الحلي: ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٦ هـ

حماد بن بشير: ١٥٢

حماد بن عيسى: ١٠٦

حمران: ٢٤٣

الحمويني: ٢٤٨

الحميري: ٢٩٩ هـ

حناط الحنفي: ٢٧٦ هـ

حنان بن سدير: ١٥٣

حيدر الأملي: ٣٣

حرف الخاء

الخاجوئي: ٢٣٢

خالد الخفاف: ٢٦٨ هـ

الخراساني: ٢٨٥

الخميني: ٥٠ هـ ، ٨٣ هـ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ،

١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٩٠

الخوئي: ٤٤ ، ٤٦ ، ٨٣ هـ ، ١٢٠ هـ ، ١٢٣ هـ ،

١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،

حرف السين

السبحاني: ٣٢٧هـ

السبزواري: ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٤٣،

٥٣، ٥٤، ٨٣، ٨٥، ١٣٦، ١٧١،

١٩٨، ١٩٩

سدير: ٢٥٥

سعدان بن مسلم: ٢٨٨هـ

سعد بن أبي عمر الجلاب: ٢٧٩

سعد بن عبدالله: ١٠٥، ١٠٦، ٣٠١هـ

سلمان: ٢٥٤، ٣٥٠

سلمان آل عبدالجبار القطيفي: ٥٠

سلمان الفارسي: ١٦٠

سليمان: ١٤٩

سماعة: ١٧٥

سماعة بن مهران: ١٢٤، ١٦٢، ١٧٥هـ،

٢٩٦

سيف التمار: ٢٤٢

السيوطي: ٢٤٨

حرف الشين

الشاهرودي: ٢٠٩

الشريف الرضي: ١١٢

السيد الشمس: ١٠٤، ٢٠٧، ٢٤٨هـ

حرف الصاد

صاحب البصائر: ١٤٩هـ، ٢٣٧هـ، ٢٤١هـ،

٢٧٥

صاحب المعالم: ٢٦٦

صاحب الميزان: ١٣٧

صاحب بصائر الدرجات: ٢٩٢

صاحب عيوان المعجزات: ٢٥٤

صدرا البادكوبي: ٨٠

الصدر: ١٣٠هـ

الصدوق: ٦٤، ١٠٥، ١٠٦، ٢٢٨، ٢٣٤،

٢٩٤هـ، ٣٠١هـ

الصفار: ٢٩٩هـ

صفوان: ١٠٧، ٢٨٨هـ

حرف الضاد

ضياء الدين علي = ابن الشهيد الأول: ٢٤٦هـ

حرف الطاء

الطباطبائي: ١٩، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٧٣،

١٠٠هـ، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٧،

١٦٨، ٢١٤، ٢٣٦، ٢٦٣، ٢٦٥،

٢٨٤، ٢٨٩، ٣٤١

الطبري: ٢٥٩

الطبري الشيعي: ٢٥٤

الطوسي = شيخ الطائفة: ١١٢ ، ١٧٥ ،
٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ هـ ، ٢٧٦ هـ ، ٢٨٠ هـ ،

٣٠٠ هـ

٢٩٤ هـ ، ٣٠٠ هـ ، ٣٠٢ هـ ، ٣٤١

الطهراني: ٢٩٨ هـ ، ٢٠٤

حرف العين

عائشة: ٩١

عاصم بن حميد: ٢٧٦ هـ

العاصمي الكوفي: ٢٦٨ هـ

عبّاس: ٢٧

عبدالأعلى = ابن أعين العجلي: ٢٣٩ هـ

عبدالأعلى السبزواري: ٩٨ هـ

عبدالرحمن بن أبي عبدالله: ٢٤٠ هـ

عبدالرحمن بن أبي نجران: ٢٧٦ هـ

عبدالرحمن بن الحجاج: ٥٦

عبدالرحيم القصير: ١٧٧ هـ

عبدالصمد الهمداني: ٦١

عبدالصمد بن بشير: ١٤٨ ، ١٤٩ هـ ، ٢٨٠ هـ ،

٢٨٣ ، ٢٩٢

عبدالعلي الكركي: ٢٤٦ هـ

عبدالله البحراني الأصفهاني: ٢٤٦ هـ

عبدالله المامقاني: ٢٤٨

عبدالله بن أبي يعفور: ٢٧٣ هـ

عبدالله بن المغيرة: ٣٠٠

عبدالله بن المغيرة = أبو محمد البجلي:

عبدالله بن الوليد: ٢٣٧

عبدالله بن بحر: ٢٤٠ هـ

عبدالله بن بكير: ٢٦٠ هـ

عبدالله بن جعفر الحميري: ٢٩٩ هـ

عبدالله بن حمّاد: ٢٤٢ هـ

عبدالله بن مسعود: ٣٤١

عبدالله بن مسكان: ٢٤٠ هـ

عبدالله شبر: ٣٦ ، ٢٢٩

عثمان بن عيسى: ١٧٥

العراقي: ٨٣ هـ ، ٢٤٥ هـ

عطاء: ٣٤٢

علاء بن رزين: ٢٤١ هـ

علي الجشي القطيفي: ٢٤٥

علي أبو الحسن الخنيزي: ٢٣٠

علي بن إبراهيم: ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٤٦ هـ ،

٢٥٢ ، ٢٨٦ هـ ، ٢٩٤ هـ

علي بن أحمد الدلال القمي: ٥٩

علي بن إسماعيل: ٢٣٩ هـ

علي بن الحسين = ابن بابويه القمي: ٢٩٤ هـ

علي بن الحكم: ١٢٣ ، ٢٦٨ هـ ، ٣٠٠ هـ

علي بن الخازن الحائري: ٢٤٦ هـ

علي بن محمد النوفلي: ١٤٩

حرف الكاف

كامل بن إبراهيم: ٦٩

كامل بن إبراهيم المدني: ٦٩

كسرى: ٤٨

الكـليني، ٥١، ٥٦٢، ١٠٩، ١٤٩،

١٥٢، ١٧٥، ١٧٦، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٤٦،

٢٥٢، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٦،

٢٨٦، ٢٩٢، ٣٠٠، ٣٠٢،

الكناسي: ٥١، ٥٧

حرف اللام

ليث بن البختري: ١٢٣، ٢٣٩

حرف الميم

ماجد البحراني: ٢٤٦

مثنى الحنّاط: ١٢٣

مجاهد: ٣٤١

المجلسي: ٣٥، ٥٧، ٨٤، ٢٢٩، ٢٤٩

محسن الحكيم: ٢٤٦

محمد الروحاني: ١٩٩، ٢٠٠

محمد الصدر: ٢٠٢

محمد أمين زين الدين: ١٠٤

محمد بحر العلوم: ٣٧

محمد بن أبي بكر: ١٦٠

علي بن هلال الجزائري: ٢٤٦

علي بن يقطين: ٣٠٠، ٣٠١

عمار الساباطي: ٢٨٢

عمار بن ياسر: ١٦٠

عمر بن الخطاب: ١٦٠

عمر بن حنظلة: ٢٨٢

عمر بن عبدالعزيز = ابن أبي بشار: ٢٩٩

حرف الفاء

فرات الكوفي: ١٠٧

فرج العمران القطيفي: ٢٤٦

فرعون: ٣١٣، ٥٧١

فضالة بن أيوب: ١٠٥، ١٤٨، ١٤٩،

٢٧٣، ٢٨٠

الفضيل: ٢٦٩

الفيروزآبادي: ١٧

الفيض الكاشاني: ٣٥، ٢٢٩

حرف القاف

قاسم النهدي: ٥١، ٥٧

القاسم بن يحيى بن جلاء الكوفي: ٢٤٦

القاسم بن يحيى: ١٠٩، ٢٤٦

القمي: ٢٠٨، ٢٢٣، ٢٢٦

- محمد بن أبي عبدالله: ١٠٦
 محمد بن أبي عمير: ١٧٦
 محمد بن أبي عمير = بياع السابري: ١٧٦
 محمد بن أحمد: ٥١
 محمد بن أحمد الأنصاري = أبونعيم: ٦٨
 محمد بن إدريس الحلبي: ٢٤٦
 محمد بن إسماعيل: ١٠٦، ٢٣٧
 محمد بن الحسن: ٥١، ٢٥٢
 محمد بن الحسن الصفار: ١٢٣، ١٦٢، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٦٠، ٢٧٦
 محمد بن الحسن بن أبي سارة: ١٧٥
 محمد بن الحسن بن زياد العطار: ٢٧٦
 محمد بن الحسين: ٢٤١
 محمد بن الحنفية: ١٦٠
 محمد بن حمران: ٢٧٨
 محمد بن خالد: ٢٧٣
 محمد بن سليمان بن سدير: ٢٥٥
 محمد بن سنان: ١٠٨
 محمد بن عبد الجبار = ابن أبي الصهبان: ٢٧٦، ٢٨٠
 محمد بن عبد الجبار: ١٤٨، ١٤٩
 محمد بن عثمان العمري: ٥٢
 محمد بن علي الصدوق: ٢٩٤
 محمد بن عمرو الزيات: ٢٣٧
 محمد بن عمرو: ٢٣٩
 محمد بن مسلم: ٧٨، ٩٧، ١٠٥، ٢٤٠، ٢٤١
 محمد بن مسلم الثقفي: ٢٤١
 محمد بن يحيى: ٥١، ٢٥٢
 محمد بن يحيى = أبو جعفر الطيار: ١٧٦
 محمد بن يحيى = أبو جعفر العطار القمي: ٣٠٢
 محمد بن يحيى العطار: ٢٦٠
 محمد تقي الأملي: ٧٦، ٣٣٩
 محمد تقي الأصفهاني = آغا نجفی: ٣٧، ٨٣
 محمد جواد الجزائري: ٩٨
 محمد جواد مغنية: ٢١٨، ٣٠٥
 محمد حسن المازندراني البارفروشي: ٣٧
 محمد حسين آل كاشف الغطاء: ٣٧
 محمد حسين الأصفهاني: ٣٨
 محمد حسين الطهراني: ٨٠، ٢٠٣
 محمد حسين فضل الله: ٨٣
 محمد رضا الحسيني الحائري الأعرجي
 الفحام: ٢٤٦
 محمد صالح المازندراني: ١١٣

محمد طه نجف : ٢٣٠هـ

محمد علي الأراكبي : ٨٣هـ

محمد هادي الميلاني : ٧٩ ، ٨٥

المرتضى : ١٩٨ ، ٢٣٢

مرتضى الأردكاني : ٢٠٢

مرتضى الأنصاري : ٢٤٦هـ

المرعشي : ١١٢

مروان بن صباح : ١٠٧

مروج : ٧٧ ، ٨٣هـ

مسيلة الكذاب : ٤٨

المشكيني : ٨٣هـ

المشهدى : ٢٦٦ ، ٢٦٧

المطهري : ٤٠ ، ١٦٧ ، ١٧٣

المظفر : ١٩٨ ، ١١٤

معاوية : ١١٤

معاوية بن عمار : ٢٨٨

المعلّى بن محمد : ١٤٩

المعمر بن راشد : ٢٤٩

المفضل بن عمر : ١٦٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩

المفيد : ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٩٤هـ

المقداد السيوري : ٢٢٥

المقداد بن الأسود الكندي : ١٦٠

المقدس الأردبيلي : ٢٤٦هـ

الملازين العابدين الكلبيكاني : ٣٦

الملا صدرا الشيرازي : ٣٥

الملكي التبريزي : ٢٩٠

مهدي النراقي : ٢٤٦هـ

الميرزا التبريزي : ٢٠٠

الميرزا حسين النوري : ٢٤٦هـ

الميرزا هاشم الآملي : ٨٣هـ

الميلاني : ٨٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧

حرف النون

النائيني : ٣٩ ، ٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢١٦ ،

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٦ ، ٢٦٧

النجاشي : ١٧٥ ، ٢٦٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢هـ

النجفي : ٤٩

نصير الدين الطوسي : ٢٢٥

النضر بن سويد : ٢٨٦هـ

نعمة الله الجزائري : ٢٣٠

النوفلي : ٢٨٤

حرف الواو

الوحيد الخراساني : ٨٣ ، ٨٥

الوشاء : ١٧٦

حرف الهاء

هارون : ٣٠١ ، ٣٤٩

هاشم البحراني : ٢٩٨ ، ٢٤٦هـ

هبة الدين الشهرستاني : ٢٣٢

هشام بن الحكم : ٢٨٦

هيثم بن عبدالله : ١٠٧

حرف الياء

ياسر الخادم : ٦٤ ، ٦٥

يحيى بن أبي القاسم : ٢٣٩هـ

يحيى بن أكثم : ٢٦١

يحيى بن القاسم الحذاء الأسدي : ١٢٣هـ

يعقوب بن يزيد : ٢٦٠هـ

يوسف البحراني : ٢٤٦هـ

يونس بن ظبيان : ٢٩٩

يونس بن عبدالرحمن : ٢٨٨هـ

يونس بن يعقوب : ٢٣٩هـ

٤ - فهرس المصطلحات

الإرهاص :	٤٨	التفويض الاستقلالي :	٦٢
الاسم :	٢٨٦	التفويض الإفاضي المطلق :	٦٥
الأسماء التكوينية :	٢٨٧	التفويض الإفاضي المقيد :	٦٧
الأسماء الجعلية :	٢٨٧	التفويض الباطل :	١٩١
الأصل :	٢١٢	التفويض :	٥٥٠
الإضافة الإشرائية :	٢٣ ، ٢٥	التكوين :	١٧ : ٣٩ : ١٣٢
الإضافة المقولية :	٢٣	التكوينية :	١٧
الإعجاز :	٤٥	توحيد الأفعال :	٢١٨
الإفاضة :	٨١	توحيد الذات :	٢١٨
الامتناع بالذات :	٢١٤	توحيد الصفات :	٢١٨
الامتناع بالغير :	٢١٤	توحيد العبادة :	٢١٨
الأمر التشريعي :	٢٧٥	التوليد :	٨١
الأمر التكويني :	٢٧٤	الجعل البسيط :	٥٧٥
أمر الحاكمية :	٢٧٧	الجعل التأليفي :	٥٧٥
الإمكان :	٦٤	الجعل المركب :	٥٧٥
الإمكان الوقوعي :	٢١٤	الحروف :	٢٨٧
البعدية الرتبية :	١٥٨	الحقيقة المحمدية :	٩٥
البعدية الزمانية :	١٥٨	الخطابات الاعتبارية :	٢٤

الخطابات التكوينية :	٢٤	عالم المثال :	٩٩
الربوبية :	١٥٢	عالم الملكوت :	١٠١
الرحمة الفعلية :	٨٣	عالم الناسوت :	١٠١
الرق المنشور :	٨٣	عدم المانع :	١٠٣ هـ
السببية الغائية :	٢٤٥	العقل الأول :	٩٥
السببية الفاعلية :	٢٤٥	العقل المحمدي :	٩٥
الشرط الأدبي :	١١٨ هـ	العلّة الغائية :	١١٩ ، ١٠٢
الشرط الفاعل :	١٤٥ هـ	الغلو :	١٨٩ ، ١٨٧
الشرط الفلسفي :	١١٨ هـ	فاعل ما به الوجود :	١٨٨ ، ١٠٠ ، ٨٥
لشرط القابل :	٢٤٨ هـ	فاعل ما منه الوجود :	١٨٨ ، ١٠٠ ، ٨٥
الشرط المقتضي :	١٤٥ هـ	الفيض :	٨٢
الشرط :	١٠٠ هـ ، ١٠٣ هـ	الفيض المقدّس :	٨٣
الشفاعة الكبرى :	٨٤	القضايا الحقيقية :	٢٤٤ هـ
الطولية :	٢٨	القضايا الخارجية :	٢٤٤ هـ
عالم الأرواح :	٩٩	الكرامة :	٤٥
عالم الأشباح :	٩٩	اللاهوت :	١٠١
عالم الأنوار :	٩٩	ما به الوجود :	٨٤ ، ١٠٠ هـ
عالم الجبروت :	١٠١	ما منه الوجود :	٨٤
عالم الذرّ :	٩٩	المانع :	١٠٠ هـ
عالم الصور :	٩٩	مبدأ الفيّاض :	٨١
عالم الظلال :	٩٩	المحالات العادية :	٤٦ هـ
عالم العناصر :	٩٩	المحالات العقلية :	٤٦ هـ
عالم الكون والفساد :	٩٩	المرتبة الفعلية :	١٠١

٣٧	الولاية الباطنية :	١٠١	مرتبة القوة والاستعداد :
٢٦٣	ولاية التشريع :	٧٢	المستحيلات الذاتية :
٤٠	ولاية التصرف :	٨٢	المستفيض :
٢٦٢	ولاية التكوين :	٥٢٢	المشتركات اللفظية :
١٢٥ ، ١٢٣	الولاية التكوينية :	٥٢٢	لمشتركات المعنوية :
	الولاية التكوينية الإفاضية الغيرية : ٢٦	٥١٠٠	المعد :
	الولاية التكوينية الذاتية الاستقلالية : ٢٦	٢١	المفاهيم المشككة :
٢٠٣	الولاية الظاهرية المطلقة :	٨١	المفيض :
٣٧	الولاية الكلية :	٥١٠٣	المقتضي :
٣٠	الولاية المظهرية :	٥١٥٩	الملكية العرضية :
١٨٥ ، ٣٩	الولاية المعنوية :	٥١٥٩	الملكية الذاتية :
٢٦٣	ولاية النصر :	٩٧	ممكن الأخس :
١٨٦	الولاية الباطنية :	٩٧	ممكن الأشرف :
٢٠٧	الولاية التشريعية :	١٢٩	الموجودات الإمكانية :
١٠١	الهاهوت :	٨٣	النفس الرحماني :
٣٤٥	الهداية التشريعية :	٨٢	الواسطة في الفيض :
٣٤٥	الهداية التكوينية :	٨٣	الوجود المنبسط :
٨٣	الهيكل الإمكاناني :	٣٠	وحدة الوجود والوجود :
		٢١ ، ١٩	الولاية :
		٤٠	ولاية الإبداع :
		٤٠	ولاية الإحداث :
		٢٧	الولاية الإفاضية الغيرية الخاصة :
		٢٧	الولاية الإفاضية الغيرية العامة :

٥ - فهرس الفوائد

فائدة حول اشتباه المفهوم بالمصداق	١٩
فائدة حول المفاهيم المشككة	٢١
فائدة حول كون الوجود من المفاهيم المشككة	٢٢
الفرق بين الإضافة المقولية والإضافة الإشراقية	٢٣
الفرق بين الخطابات التكوينية والخطابات الاعتبارية	٢٤
فائدة حول معنى اسم (القيوم)	٢٦
بيان المقصود من حديث « الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ... »	٣٠
الفرق بين المحالات العقلية والعادية	٤٦
ترجمة الحجة الفقيه الشيخ سليمان آل عبد الجبار <small>رحمته الله</small>	٥٠
الفرق بين الجعل البسيط والجعل المركب	٧٥
معنى قول ابن سينا: « ما جعل الله المشمشة مشمسة ، ولكن أوجدها »	٧٥
عدم إمكان جعل اللوازم الذاتية بالجعل المركب.	٧٥ و ٧٦
فائدة حول معنى (أولياء النعم)	٩٣
المقصود من قاعدة (السنخية بين العلة والمعلول)	٩٤ ، ١٣٦
المقصود من قاعدة (الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد)	٩٤
المقصود من قاعدة (إمكان الأشرف)	٩٧
فائدة حول كون الروح روحانية الحدوث	٩٨
بطلان نظرية الارتقاء	٩٨
المقصود من دخالة العدم في بعض الأشياء	١٠٠

الفرق بين ظهور الشرط المرتبط بالفعل والشرط المرتبط بنتيجة الفعل	١١٩
قاعدة (الإسناد للوصف مشعر بالعلية)	٢٥١، ١٤٦
سرّ التوسّل بالمعصومين عليه السلام بعد موتهم	١٧٤
احتياج النفي كالأثبات إلى الدليل	١١
أقسام التوحيد	٢١٨
فائدة حول ثبوت الإمامة بالإعجاز	٢٢٤
الإعجاز من الأدلة البرهانية لا الإقناعية	٢٢٥
عقيدة أفضلية المعصومين عليه السلام على الأنبياء عليه السلام	٢٢٨
ترجمة الفقيه الشيخ أبو الحسن الخنيزي القطيفي رحمه الله	٢٣٠
أفضلية مرتبة الإمامة على مرتبة النبوة	٢٣٣
معنى أن المعصومين عليه السلام هم العلة الغائية	٢٤٤
ترجمة الحجة الشيخ علي الجشي القطيفي رحمه الله	٢٤٥
سند حديث الكساء	٢٤٦
الفرق بين النزول الدفعي والنزول التدريجي للقرآن	٢٥٧
الفرق بين الوجود التدويني والوجود التكويني للقرآن	٢٥٧
مدلول وحدة النسبة والإسناد	٢٦٤
التفصيل في مسألة جواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى	٢٦٦
انعقاد الإطلاق في المحمول	٢٧٠
بحث مفصل حول الاسم الأعظم	٢٧٩
الأسماء الإلهية غير الذات المقدسة	٢٨٦
تفاوت الأسماء الإلهية في دلالتها على الذات	٢٨٧
معنى الحرف الواحد الذي استأثر به الله عز وجل	٢٩١
معنى لا شيء أدل على الإمكان من الوقوع	٢٩٧
المقصود من مخالفة الحديث للقرآن	٣٠٩
عدم صحة تعليل عدم الشيء بوجود مانعه مع عدم وجود مقتضيه	٣٢٨

٦- فهرس المصادر



- ١- آل محمد ﷺ بين قوسي النزول والصعود .
السيد علي عاشور : دار الهادي - بيروت ، الأولى / ١٤٢٠ هـ .
- ٢- أجوبة المسائل (١ - ٢) .
السيد محمد صادق الروحاني ، (دام ظلّه) ، إعداد ضياء الخباز القطيفي ، دار زين العابدين - قم المقدسة ، الأولى / ١٤٣١ هـ .
- ٣- أجوبة المسائل الاعتقادية .
السيد محمد الشاهرودي : مؤسسة آل المرتضى - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٨ هـ .
- ٤- أجود التقريرات (١ - ٤) .
المحقق السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي رحمه الله (تقرير بحث المحقق النائيني رحمه الله) :
مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٩ هـ .
- ٥- الاحتجاج .
الشيخ أبو منصور الطبرسي رحمه الله : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الثانية / ١٤١٠ هـ .
- ٦- إحقاق الحق وإزهاق الباطل (١ - ٢٤) .
القاضي الشهيد السيد نور الله التستري رحمه الله : مؤسسة أهل البيت عليه السلام - بيروت (مع ملحقات السيد المرعشي النجفي رحمه الله) .

٧- الاختصاص (سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد رحمه الله / ١٢) .

الشيخ المفيد رحمه الله : دار المفيد - بيروت ، الثانية / ١٤١٤ هـ .

٨- الأربعون حديثاً .

السيد روح الله الخميني رحمه الله : مؤسسة تنظيم تراث السيد الخميني - طهران ،
الخامسة / ١٤٢٤ هـ .

٩- إرشاد الطالب إلى التعليق على المكاسب (١ - ٤) .

الشيخ الميرزا جواد التبريزي (دام ظلّه) : مؤسسة اسماعيليان - قم المقدّسة ،
الثالثة / ١٤١٦ هـ .

١٠- الأزهار الأرجية (١ - ١٥) .

الشيخ فرج العمران : مطبعة النجف - النجف الأشرف ، الأولى / ١٣٨٣ هـ .

١١- أسرار الصلاة .

الشيخ الميرزا جواد الملكي التبريزي رحمه الله : تحقيق : محسن بيدارفر ، انتشارات
بيدار - قم المقدّسة ، الأولى / ١٣٨٢ هـ .

١٢- الأصول على النهج الحديث .

الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله : مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدّسة ،
الثانية / ١٤٠٩ هـ .

١٣- الاعتقادات (سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد رحمه الله / ٥) .

شيخ المحدثين الصدوق رحمه الله : تحقيق : عصام عبد السيد ، دار المفيد - بيروت /
الثانية / ١٤١٤ هـ .

١٤- إقبال الأعمال .

السيد ابن طاووس رحمه الله : تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، دفتر تبليغات - قم المقدّسة ،
الأولى / ١٤١٦ هـ .

١٥- الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد .

شيخ الطائفة الطوسي رحمته : دار الأضواء - بيروت ، الثانية / ١٤٠٦ هـ .

١٦ - الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل (١ - ٤) .

الشيخ حسن محمد مكي العاملي (تقريراً لأبحاث الشيخ جعفر السبحاني) :
دار السلام - بيروت ، الأولى / ١٤١١ هـ .

١٧ - الإيماني .

الشيخ الصدوق رحمته : مؤسسة البعثة - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٧ هـ .

١٨ - الإمامة الإلهية .

السيد محمد علي بحر العلوم (تقريراً لأبحاث الشيخ محمد السند) : انتشارات
عصر ظهور - قم المقدسة ، الأولى / ١٤٢٠ هـ .

١٩ - الإمامة والتبصرة .

ابن بابويه القمي رحمته : مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة / ١٤٠٤ هـ .

٢٠ - الإمامة وقيادة المجتمع .

السيد كاظم الحائري ، : قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٦ هـ .

٢١ - الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية .

الشيخ الميرزا جواد التبريزي ، : دار الصديقة الشهيدة عليها السلام ، الأولى / ١٤٢٢ هـ .

٢٢ - الأنوار القدسية .

الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمته : مؤسسة الوفاء / بيروت .

٢٣ - الأنوار النعمانية (١ - ٤) .

السيد نعمة الله الجزائري رحمته : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الرابعة /
١٤٠٤ هـ .

٢٤ - أنوار الولاية .

الملازين العابدين الكلپايگاني رحمته : إيران / ١٤٠٩ هـ .

٢٥ - أوائل المقالات (سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد رحمته / ٤) .

الشيخ المفيد رحمته : دار المفيد - بيروت ، الثانية / ١٤١٤ هـ .

٢٦ - الباب الحادي عشر .

٢٧ - بحار الأنوار (١ - ١١٠) .

الشيخ محمد باقر المجلسي رحمته : مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ، بيروت / ١٤١٠ هـ .

٢٨ - بحر الفوائد (١ - ١٠) .

الشيخ محمد حسن الآشتياني رحمته : ذوي القربى - قم المقدسة / ١٤٣٠ هـ .

٢٩ - بحر المعارف .

٣٠ - بداية الحكمة .

السيد محمد حسين الطباطبائي رحمته : تحقيق : عباس الزارعي ، مؤسسة النشر

الإسلامي - قم المقدسة / ١٤١٨ هـ

٣١ - البرهان في تفسير القرآن (١ - ٨) .

السيد هاشم البحراني رحمته : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الأولى /

١٤١٩ هـ .

٣٢ - بصائر الدرجات .

أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار رحمته : مؤسسة الأعلمي - طهران / ١٤٠٤ هـ .

٣٣ - بلغة الفقيه (١ - ٤) .

السيد محمد بحر العلوم : تحقيق : السيد محمدتقي بحرالعلوم ، مكتبة الصادق عليه السلام

- طهران ، الرابعة / ١٤٠٣ هـ .

٣٤ - البيان في تفسير القرآن .

السيد أبو القاسم الخوئي رحمته : مؤسسة إحياء آثار السيد الخوئي رحمته - قم المقدسة .

٣٥ - بين السائل والمجيب .

الشيخ محمد أمين زين الدين رحمته : دار الأميرة - بيروت ، الأولى / ١٤٢٩ هـ .

٣٦ - التبيان في تفسير القرآن (١ - ١٠) .

الشيخ الطوسي رحمته الله : تحقيق : اشليخ أحمد قصير العاملي ، دار إحياء التراث - بيروت ، الأولى / ١٤٠٩ هـ .

٣٧ - تجريد الاعتقاد .

٣٨ - تفسير فرائد الكوفي .

فرائد بن إبراهيم الكوفي : وزارة الثقافة والإرشاد - طهران ، الأولى / ١٤١٠ هـ .

٣٩ - التنقيح في شرح العروة الوثقى (١ - ١٠) .

الشيخ الميرزا علي الغروي رحمته الله (تقرير بحوث السيّد الخوئي رحمته الله) : مؤسسة إحياء تراث السيّد الخوئي - قم المقدّسة ، الأولى / ١٤١٨ هـ .

٤٠ - التنقيح في شرح المكاسب .

الشيخ الميرزا علي الغروي رحمته الله (تقرير بحوث السيّد الخوئي رحمته الله) : مؤسسة إحياء تراث السيّد الخوئي - قم المقدّسة ، الأولى / ١٤٢٥ هـ .

٤١ - التوحيد .

الشيخ الصدوق رحمته الله : دار الإرشاد الإسلامي - بيروت .

٤٢ - تهذيب الأحكام (١ - ١٠) .

شيخ الطائفة الطوسي رحمته الله : تصحيح : الشيخ محمد جعفر شمس الدين ، دار التعارف للمطبوعات - بيروت / ١٤١٢ هـ .

٤٣ - جنة المأوى .

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمته الله : دار الأضواء - بيروت ، الثانية / ١٤٠٨ هـ .

٤٤ - الجواهر السنية .

الشيخ الحرّ العاملي رحمته الله : مطبعة النعمان - النجف الأشرف / ١٣٨٤ هـ .

٤٥ - حاشية الكفاية (١ - ٥) .

المحقّق المشكيني رحمته الله : تحقيق : الشيخ سامي الخفاجي ، دار الحكمة - قم المقدّسة ، الأولى / ١٤١٣ هـ .

٤٦ - حاشية المكاسب (١ - ٥) .

الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمته الله : تحقيق : الشيخ عباس آل سباع القطيفي ،
دار المصطفى لإحياء التراث - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٨ هـ .

٤٧ - حديقة العارفين .

الشيخ محمد حسين المازندراني البارفروشي رحمته الله : الطبعة الحجرية .

٤٨ - الحق المبين في معرفة المعصومين عليهم السلام .

الشيخ علي الكوراني (تقرير محاضرات الشيخ الوحيد الخراساني (دام ظلّه)) :
دار الهدى - قم المقدسة ، الطبعة الثانية / ١٤٢٤ هـ .

٤٩ - حقّ اليقين في معرفة أصول الدين .

السيد عبد الله شبر رحمته الله : مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الأولى / ١٤١٨ هـ .

٥٠ - حقائق الأصول (١ - ٢) .

السيد محسن الحكيم رحمته الله : مكتبة بصيرتي - قم المقدسة ، الخامسة / ١٤٠٨ هـ .

٥١ - حقيقة الإمامة في المدرسة العرفانية .

الشيخ عبدالصمد الهمداني رحمته الله : مركز بقیة الله الأعظم عليه السلام - بيروت ، الأولى /

١٩٩٩ م .

٥٢ - الحكومة الإسلامية .

السيد روح الله الخميني رحمته الله : الرابعة .

٥٣ - الحوزة العلمية تدين الانحراف .

السيد محمد علي الهاشمي المشهدي : الأولى / ١٤١٨ هـ .

٥٤ - الخرائج والجرائح (١ - ٣) .

الشيخ قطب الدين الراوندي رحمته الله : مؤسّسة النور للمطبوعات - بيروت ، الثانية /

١٤١١ هـ .

٥٥ - الخصائص الفاطمية (١ - ٢) .

الشيخ محمد باقر الكجوري رحمته الله : مكتبة الشريف الرضي - قم المقدسة ، الأولى / ١٣٨٠ هـ .

٥٦ - دراسات في ولاية الفقيه (١ - ٤) .

الشيخ المنتظري : دار الإسلام - بيروت ، الثانية / ١٤٠٩ هـ .

٥٧ - دارساتنا من الفقه الجعفري (١ - ٢) .

الشيخ علي المروّجي (تقرير بحوث السيّد تقي القمي) : مطبعة الخيام - قم المقدسة ، الأولى / ١٤٠٠ هـ .

٥٨ - الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور (١ - ٦) .

الشيخ جلال الدين السيوطي : نشر : محمد أمين دمج - بيروت .

٥٩ - دلائل الصّدق لنهج الحقّ (١ - ٣) .

الشيخ محمد حسن المظفر رحمته الله : مؤسّسة أهل البيت عليهم السلام - بيروت / ١٤٠٩ هـ .

٦٠ - ديدگاههای علمی آیه الله عظمی میلانی .

غلام رضا جلالی : آستانه قدس رضوی - مشهد المقدسة / ١٣٨٤ هـ .

٦١ - ديوان العلامة الجشي (١ - ٢) .

الشيخ علي الجشي القطيفي رحمته الله : تحقيق : الشيخ علي الحبيب ، انتشارات الشريف الرضي - قم المقدسة ، الأولى (محققة) / ١٤١٧ هـ .

٦٢ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١ - ٢٦) .

الشيخ آغا بزرك الطهراني رحمته الله : دار الأضواء - بيروت ، الثالثة / ١٤٠٣ هـ .

٦٣ - الردود العقائدية .

السيّد تقي القمي : دار الصديقة الشهيدة عليها السلام ، الأولى / ١٤١٩ هـ .

٦٤ - الرسائل الاعتقادية (١ - ٢) .

الشيخ إسماعيل الخاجوئي رحمته الله : تحقيق : السيّد مهدي الرجائي ، دار الكتاب الإسلامي - قم المقدسة / ١٤١١ هـ .

٦٥- رسالة الأسماء (المطبوعة ضمن مجموعة رسائل العلامة الطباطبائي رحمه الله) .

٦٦- الرواشح السماوية .

المحقق الداماد رحمه الله : دار الحديث - قم المقدسة ، الأولى / ١٤٢٢ هـ .

٦٧- رياض السالكين (١ - ٧) .

السيد علي خان المدني رحمه الله : مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة ، الرابعة / ١٤١٥ هـ .

٦٨- زبدة الأصول (١ - ٦) .

السيد محمدصادق الروحاني : تحقيق : الشيخ قاسم مصري العاملي ، حديث دل / طهران ، الطبعة الثانية / ١٤٢٤ هـ .

٦٩- الشافي في الإمامة (١ - ٤) .

الشريف المرتضى رحمه الله : مؤسسة الصادق للطباعة والنشر - طهران ، الثانية / ١٤١٠ هـ .

٧٠- الشبهات البيروتية .

السيد محمد الصدر رحمه الله : دار الملاك - بيروت .

٧١- شجرة طوبى .

الشيخ محمد مهدي الحائري المازندراني رحمه الله : المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف ، الخامسة / ١٣٨٥ هـ .

٧٢- شرح الأسماء الحسنى (١ - ٢) .

الملا هادي السبزواري : مكتبة بصيرتي - قم المقدسة .

٧٣- شرح أصول الكافي (١ - ١٢) .

الشيخ محمد صالح المازندراني رحمه الله : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الأولى / ١٤٢١ هـ .

٧٤- شرح دعاء السحر .

السيد روح الله الخميني رحمته الله : مؤسّسة الوفاء - بيروت ، الثالثة / ١٤١٢ هـ.

٧٥- الشواهد الربويّة (١ - ٢) .

الملا صدرا الشيرازي رحمته الله : تحقيق : السيد جلال الدين الآشتياني رحمته الله : مطبوعات ديني - قم المقدّسة ، الأولى / ١٣٨٢ هـ . ش .

٧٦- شهداء الفضيلة .

الشيخ عبدالحسين الأميني : دار شهاب - قم المقدّسة .

٧٧- صراة النجاة في أجوبة الاستفتاءات .

الشيخ موسى مفيد الدين عاصي العاملي : مكتبة فذك - قم المقدّسة ، الأولى / ١٤٢٥ هـ .

٧٨- عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار (١ - ١٠) .

السيد حامد حسين اللكهنوي رحمته الله : دار الكتاب الإسلامي / بيروت .

٧٩- علل الشرائع (١ - ٢) .

الشيخ الصدوق رحمته الله : المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف / ١٣٨٥ هـ .

٨٠- علم الإمام .

الشيخ محمّد حسين المظفر رحمته الله : دار الزهراء عليها السلام - بيروت ، الثانية / ١٤٠٢ هـ .

٨١- علم اليقين في أصول الدين (١ - ٢) .

الفيض الكاشاني رحمته الله : دار البلاغة - بيروت ، الأولى / ١٤١٠ هـ .

٨٢- عمدة المطالب في التعليق على المكاسب (١ - ٤) .

السيد تقي الطباطبائي القمي : انتشارات محلاتي - قم المقدّسة ، الأولى / ١٤١٣ هـ .

٨٣- العنايات الرضويّة .

الشيخ محمّد تقي الأصفهاني رحمته الله : دار الطباعة - طهران ، الطبعة الحجرية / ١٣١٩ هـ .

٨٤- عوالم العلوم (القسم الخاصّ بسيدة النساء عليها السلام) (١ - ٢) .

الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني رحمته : تحقيق ونشر : مؤسسة الإمام
المهدي عليه السلام - قم المقدسة ، الثالثة / ١٤١٥ هـ .

٨٥- عين الحياة (١ - ٢) .

العلامة الشيخ المجلسي رحمته : تحقيق السيد هاشم الميلاني ، مؤسسة النشر
الإسلامي - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٦ هـ .

٨٦- عين اليقين (١ - ٢) .

الشيخ الفيض الكاشاني رحمته : تحقيق : صالح العبيدي ، أنوار الهدى - قم المقدسة ،
الأولى / ١٤١١ هـ .

٨٧- عيون أخبار الرضا عليه السلام (١ - ٢) .

الشيخ ابن بابويه الصدوق رحمته : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الأولى /
١٤٠٤ هـ .

٨٨- الغدير في الكتاب والسنة والأدب (١ - ١١) .

الشيخ عبد الحسين الأميني رحمته : دار الكتاب العربي - بيروت ، الخامسة / ١٤٠٣ هـ .

٨٩- غنية الطالب في التعليق على المكاسب .

الشيخ مرتضى الأردكاني رحمته : مؤسسة الوفاء - بيروت ، الأولى / ١٤٠٣ هـ .

٩٠- الغيبة .

الشيخ الطوسي رحمته : مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١١ هـ .

٩١- الفتاوى (١ - ٣) .

المحقق الشيخ النائيني رحمته : دار الهدى - قم المقدسة ، الأولى / ١٤٢٩ هـ .

٩٢- الفردوس الأعلى .

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمته : دار أنوار الهدى - قم المقدسة / ١٤٢٦ هـ .

٩٣- فقه الشيعة (١ - ٧) .

السيد محمد مهدي الخوالي (تقرير بحوث السيد الخوئي رحمته) : مؤسسة الآفاق -

إيران ، الثالثة / ١٤١٩ هـ.

٩٤- فقه الصادق عليه السلام (١ - ٢٦) .

السيد محمد صادق الروحاني : مؤسسة دار الكتاب - قم المقدسة ، الثالثة / ١٤١٣ هـ.

٩٥- فلسفة الإمام الصادق عليه السلام .

الشيخ محمد جواد الجزائري رحمه الله : مؤسسة أهل البيت عليه السلام - بيروت ، الرابعة / ١٤٠٦ هـ.

٩٦- فلسفتنا .

السيد محمد باقر الصدر : تحقيق : المؤتمر العلمي للشهيد الصدر ، مطبعة شريعت - قم المقدسة ، الأولى المحققة / ١٤٢٤ هـ .

٩٧- الفلسفة العليا .

السيد رضا الصدر : دار الكتاب اللبناني - بيروت ، الأولى / ١٤٠٦ هـ.

٩٨- فلسفة الولاية .

الشيخ محمد جواد مغنية : دار الجواد والتيار - بيروت / ١٤٠٤ هـ .

٩٩- الفوائد الطوسية .

الشيخ الحر العاملي رحمه الله : المطبعة العلمية - قم المقدسة / ١٤٠٣ هـ .

١٠٠- في مدرسة الشيخ بهجت (١ - ٢) .

لجنة ترجمة ونشر آثار الشيخ بهجت : دار الإمام - بيروت ، الأولى / ١٤٢٦ هـ.

١٠١- القاموس المحيط (١ - ٤) .

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : دار الجيل - بيروت .

١٠٢- قبسات من رسالة الحقوق .

ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي : دار زين العابدين - قم المقدسة ، الأولى / ١٤٣١ هـ.

١٠٣ - القواعد الفقهية (١ - ٧) .

السيد حسن البجنوردي : مؤسسة إسماعيليان - قم المقدسة ، الثانية / ١٤١٠ هـ .

١٠٤ - الكافي (١ - ٨) .

الشيخ أبو جعفر الكليني رحمه الله : تحقيق : الشيخ محمد جواد الفقيه ، دار الأضواء - بيروت ، الأولى / ١٤١٣ هـ .

١٠٥ - كامل الزيارات .

١٠٦ - كتاب البيع (١ - ٢) .

الشيخ محمد علي الأراكي رحمه الله : مؤسسة في طريق الحق - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٥ هـ .

١٠٧ - كتاب البيع (١ - ٥) .

السيد روح الله الخميني رحمه الله : مؤسسة نشر آثار السيد الخميني - طهران ، الأولى / ١٤٢١ هـ .

١٠٨ - كشف الأسرار .

السيد روح الله الخميني رحمه الله : دار المحجة البيضاء - بيروت ، الثانية / ١٤٢١ هـ .

١٠٩ - كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد .

العلامة الحلي رحمه الله : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت ، الأولى / ١٤٠٨ هـ .

١١٠ - الكشكول (١ - ٤) .

الشيخ البهائي العاملي رحمه الله : تحقيق : السيد محمد المعلم ، المكتبة الحيدرية - قم المقدسة ، الأولى / ١٤٢٧ هـ .

١١١ - كفاية الأصول .

المحقق الآخذ الخراساني رحمه الله : مؤسسة آل البيت عليه السلام - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٤ هـ .

١١٢ - كليات في علم الرجال .

الشيخ جعفر السبحاني : دار الميزان - بيروت ، الأولى / ١٤١٠ هـ .

١١٣ - كنز الدقائق وبحر الغرائب (١ - ١٤) .

الشيخ محمد المشهدي رحمته الله : مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي - طهران ، الأولى / ١٤١١ هـ .

١١٤ - لسان العرب (١ - ١٨) .

ابن منظور : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الأولى (المحققة) / ١٤٠٨ هـ . .

١١٥ - لمحات الأصول .

السيد روح الله الخميني رحمته الله (تقرير بحث السيد البروجردي رحمته الله) : مؤسسة تنظيم آثار السيد الخميني - قم المقدسة ، الأولى / ١٤٢١ هـ .

١١٦ - اللمعة البيضاء .

الشيخ محمد علي الأنصاري رحمته الله : تحقيق : السيد هاشم الميلاني ، مؤسسة الهادي - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٨ هـ .

١١٧ - مجلة التراث .

دار المصطفى لإحياء التراث : شركة دار المصطفى رحمته الله - بيروت ، الأولى / ١٤١٨ هـ .

١١٨ - المُجَلِّي (مسلك الأفهام) .

الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي رحمته الله : الطبعة الحجرية ، طهران / ١٣٢٩ هـ .

١١٩ - مجموعة رسائل العلامة الطباطبائي رحمته الله .

مكتبة فدك - قم المقدسة ، الأولى / ١٤٢٨ هـ .

١٢٠ - المحاسن .

١٢١ - محاضرات في أصول الفقه (١ - ٥) .

الشيخ محمد إسحاق الفيّاض (تقرير بحث السيد الخوئي رحمته الله) : مؤسسة إحياء آثار السيد الخوئي - قم المقدسة / ١٤٢٢ هـ .

١٢٢ - محاضرات في فقه الإمامية (١ - ٥) .

السيد فاضل الميلاني (تقرير بحوث السيد محمد هادي الميلاني) : مؤسسة
دانشگاه فردوسی - مشهد المقدسة ، الأولى / ١٣٩٥ هـ .

١٢٣ - المحيط الأعظم (١ - ٧) .

السيد حيدر الآملي : تحقيق : السيد محسن الموسوي التبريزي ، المعهد الثقافي -
قم المقدسة ، الأولى / ١٤٢٣ هـ .

١٢٤ - المختصر .

١٢٥ - مختصر المعاني .

سعد الدين التفتازاني : انتشارات سيد الشهداء عليه السلام - قم المقدسة ، الأولى / ١٤٠٩ هـ .

١٢٦ - مدينة المعاجز (١ - ٨) .

السيد هاشم البحراني : مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدسة ، الأولى /
١٤١٣ هـ .

١٢٧ - مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول (١ - ٢٦) .

العلامة المجلسي : دار الكتب الإسلامية - طهران ، الثالثة / ١٤١١ هـ .

١٢٨ - مرآة الكمال لمن رام درك مصالح الأعمال (١ - ٣) .

الشيخ عبد الله المامقاني : دار المصطفى عليه السلام - قم المقدسة ، الثانية / ١٤١٤ هـ .

١٢٩ - المزار الكبير .

الشيخ محمد بن جعفر المشهدي : تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، مؤسسة
النشر الإسلامي - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٩ هـ .

١٣٠ - مسائل وردود .

السيد علي البهشتي : إعداد : الأستاذ جبار مكاوي ، تحقيق : الشيخ قيس
العطّار ، مؤسسة الراشد للطبوعات / ١٤٣٠ هـ .

١٣١ - مستدرک الوسائل (١ - ١٨) .

المحدّث النوري : تحقيق : مؤسّسة آل البيت عليه السلام ، دار الهداية - بيروت ، الخامسة / ١٤١٢ هـ .

١٣٢ - مسند الفردوس .

١٣٣ - مشارق أنوار اليقين .

الشيخ حافظ البرسي رحمته الله : تحقيق : السيّد علي عاشور ، مؤسّسة الأعلمي - بيروت ، الأولى / ١٤١٩ هـ .

١٣٤ - مشكاة الأصول (١ - ٢) .

ضياء السيّد عدنان الخبّاز القطيفي (تقرير بحوث الأستاذ السيّد الشمس (دام ظلّه)) : بستان كتاب - قم المقدّسة ، الأولى / ١٤٢٨ هـ .

١٣٥ - مصباح الزائر .

١٣٦ - مصباح الشريعة .

المنسوب للإمام الصادق عليه السلام : مؤسّسة الأعلمي - بيروت ، الأولى / ١٤٠٠ هـ .

١٣٧ - مصباح الفقاهة (١ - ٧) .

الشيخ محمّد علي التوحيد رحمته الله (تقريراً لأبحاث السيّد الخوئي رحمته الله) : دار الهادي - بيروت ، الأولى / ١٤١٢ هـ .

١٣٨ - مصباح المتبحّر .

الشيخ الطوسي رحمته الله : مؤسّسة فقه الشيعة - بيروت ، الأولى / ١٤١١ هـ .

١٣٩ - المصباح المنير .

الشيخ أحمد الفيومي : المكتبة العصرية - بيروت ، الأولى / ١٤١٧ هـ .

١٤٠ - مصباح الهدى (١ - ١٢) .

الشيخ محمّد تقي الآملي رحمته الله : الأولى / ١٣٨٠ هـ .

١٤١ - المطول في شرح تلخيص المفتاح .

سعد الدين التفتازاني : دار الكتب العلمية - بيروت ، الأولى / ١٤٢٢ هـ .

١٤٢ - معالم الدين وملاذ المجتهدين .

الحسن بن زين الدين العاملي رحمته الله : منشورات مكتبة السيد المرعشي النجفي -

قم المقدسة ، الرابعة / ١٤١٠ هـ .

١٤٣ - المعالم الماثورة (١ - ٦) .

الشيخ محمد علي إسماعيل پور (تقرير بحث الميرزا هاشم الآملي رحمته الله) : قم

المقدسة ، الأولى / ١٤٠٦ هـ .

١٤٤ - معجم رجال الحديث (١ - ٢٣) .

السيد أبو القاسم الخوئي رحمته الله : مطبعة الصدر - قم المقدسة ، الرابعة / ١٤١٠ هـ .

١٤٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

محمد فؤاد عبد الباقي : دار الجيل - بيروت / ١٤٠٨ هـ .

١٤٦ - معرفة الإمام (١ - ١٨) .

السيد محمد حسين الطهراني رحمته الله : ترجمة : محمد مسعود الحسيني المرندي ،

دار المحجة البيضاء - بيروت ، الأولى / ١٤١٦ هـ .

١٤٧ - مفاهيم القرآن (١ - ١٠) .

الشيخ جعفر السبحاني : دار الأضواء - بيروت ، الثانية / ١٤٠٦ هـ .

١٤٨ - مفردات في غريب القرآن .

الراغب الأصفهاني : دار المعرفة - بيروت ، الأولى / ١٤١٨ هـ .

١٤٩ - المفيد من معجم رجال الحديث .

الشيخ محمد الجواهري : مكتبة المحلاتي - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٧ هـ .

١٥٠ - مقدمة في أصول الدين .

الشيخ الوحيد الخراساني (دام ظلّه) : مدرسة الإمام باقر العلوم عليه السلام - قم

المقدسة ، الخامسة / ١٤٢٨ هـ .

١٥١ - مقدمة في أصول الدين .

- الشيخ أبو الحسن الخنيزي رحمته : مؤسسة البلاغ - بيروت ، الثانية / ١٤١٦ هـ .
- ١٥٢ - المكاسب (١ - ٦) .
- الشيخ مرتضى الأنصاري : تحقيق : لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم رحمته ، باقري - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٥ هـ .
- ١٥٣ - المكاسب والبيع (١ - ٢) .
- الشيخ محمد تقي الآملي رحمته (تقريراً لأبحاث الشيخ النائيني رحمته) : مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة / ١٤١٣ هـ .
- ١٥٤ - مناقب آل أبي طالب (١ - ٥) .
- ابن شهر آشوب المازندراني رحمته : دار الأضواء - بيروت ، الثانية (مصححة) / ١٤١٢ هـ .
- ١٥٥ - متقى الأصول (١ - ٧) .
- الشهيد السيد عبدالصاحب الحكيم رحمته : (تقرير بحث المحقق الروحاني رحمته) : الهادي - قم المقدسة ، الثانية / ١٤١٦ هـ .
- ١٥٦ - متهى الأصول (١ - ٢) .
- السيد حسن البجنوردي رحمته : مؤسسة العروج - إيران ، الأولى / ١٤٢١ هـ .
- ١٥٧ - من لا يحضره الفقيه (١ - ٤) .
- الشيخ الصدوق رحمته : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الأولى / ١٤٠٦ هـ .
- ١٥٨ - من وحي القرآن (١ - ٢٤) .
- السيد محمد حسين فضل الله : دار الملاك - بيروت ، الثانية / ١٤١٩ هـ .
- ١٥٩ - منهاج الفقاهة (١ - ٦) .
- السيد محمد صادق الروحاني : المطبعة العلمية - قم المقدسة ، الرابعة / ١٤١٨ هـ .
- ١٦٠ - مواهب الرحمن في تفسير القرآن (١ - ١٢) .
- السيد عبد الأعلى السبزواري رحمته : مؤسسة أهل البيت عليهم السلام - بيروت ، الثانية /

١٤٠٩ هـ.

١٦١ - موسوعة الرجالية الميسرة (١ - ٢) .

الشيخ على أكبر الترابي والشيخ يحيى الرهائي : توزيع مكتبة التوحيد - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٩ هـ .

١٦٢ - مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام (١ - ٣٠) .

السيد عبد الأعلى السبزواري رحمته الله : مؤسسة المنار - قم المقدسة ، الرابعة / ١٤١٣ هـ .

١٦٣ - الميزان في تفسير القرآن (١ - ٢٠) .

السيد محمد حسين الطباطبائي رحمته الله : دار الإرشاد الإسلامي - بيروت / ١٤٠٨ هـ .

١٦٤ - النافع في يوم المحشر في شرح الباب الحادي عشر .

المقداد السيوري رحمته الله : مؤسسة أهل البيت عليهم السلام - بيروت / ١٤٠٧ هـ .

١٦٥ - الندوة (١ - ٧) .

السيد محمد حسين فضل الله : دار الملاك - بيروت ، الخامسة / ١٤١٨ هـ .

١٦٦ - نظرة إسلامية .

١٦٧ - النفس في كتاب الشفاء .

ابن سينا : تحقيق : الشيخ حسن زاده الأملي ، مكتب الإعلام الإسلامي - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٧ هـ .

١٦٨ - نوادر المعجزات .

١٦٩ - نور الثقلين (١ - ٥) .

الشيخ عبد العلي الحويزي رحمته الله : مؤسسة إسماعيليان - قم المقدسة ، الرابعة / ١٤١٥ هـ .

١٧٠ - نهاية الأفكار .

١٧١ - نهاية الدراية (١ - ٦) .

الشيخ محمد حسين الاصفهاني : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، الأولى / ١٤١٤ هـ .

١٧٢ - نهج البلاغة .

١٧٣ - الوافي .

١٧٤ - وسائل الشيعة (١ - ٢٠) .

الشيخ الحرّ العاملي : تحقيق : الشيخ عبدالرحيم الربّاني ، دار إحياء التراث - بيروت ، السادسة / ١٤١٢ هـ .

١٧٥ - ولاية أمر الله .

محمد عبدالله نجم : (تقرير لدروس الشيخ أحمد الماحوزي) ، مكتبة أهل الذكر .

١٧٦ - ولاية الإنسان في القرآن .

الشيخ جواد آملّي : ترجمة وطباعة : دار الصفوة - بيروت ، الأولى / ١٤١٤ هـ .

١٧٧ - الولاية التكوينية الحقّ الطبيعي للمعصوم عليه السلام .

الشيخ جلال الدين علي الصغير : دار الأعراف للدراسات - بيروت ، الأولى / ١٤١٨ هـ .

١٧٨ - الولاية التكوينية بين الكتاب والسنة .

الشيخ هشام شري العاملي : دار الهادي - بيروت ، الأولى / ١٤٢٠ هـ .

١٧٩ - الولاية التكوينية والتشريعية في ضوء الكتاب والسنة .

١٨٠ - ولاية فقيه (حكومت اسلامي) .

السيد روح الله الخميني رحمه الله : مؤسسة تنظيم ونشر آثار السيد الخميني - طهران / ١٣٧٣ هـ . ش .

١٨١ - الولاء والولاية .

الشيخ مرتضى المطهري : دار المحجة البيضاء - بيروت ، الأولى / ١٤١٣ هـ .

١٨٢ - هداية الأصول (١ - ٥) .

السيد حيدر علي المدرّسي البهسودي (تقرير بحوث الشيخ صدرا البادكوبي رحمه الله) : المطبعة العلمية - قم المقدّسة .

١٨٣ - هداية الأمة إلى معارف الأئمة عليهم السلام .

الشيخ محمد جواد الخراساني رحمته الله : مؤسسة البعثة / قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٦ هـ .

١٨٤ - هداية المحدثين إلى طريقة المحمدين .

الشيخ محمد أمين الكاظمي رحمته الله : منشورات مكتبة السيد المرعشي النجفي رحمته الله - قم المقدسة / ١٤٠٥ هـ .

١٨٥ - هدى الطالب (١ - ١٠) .

السيد جعفر المروّج : دار الكتاب - قم المقدسة ، الأولى / ١٤١٦ هـ .

١٨٦ - ينابيع المودة .

الشيخ سليمان القندوزي الحنفي : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت .

٧ - فهرس الموضوعات

٧	الإهداء
٩	كلمة سماحة الأستاذ الأعظم، آية الله العظمى الروحاني (دام ظلّه)
١١	مقدمة الطبعة الثانية
١٣	المقدمة

البحث الأول

اصطلاح (الولاية التكوينية)

بين المفردة و التركيب

١٥ - ٤٠

١٧	النقطة الأولى : التعريف اللغوي للولاية التكوينية
٢١	النقطة الثانية : مفهوم مفردة الولاية
٢١	التنبيه الأول : الولاية من المفاهيم المشككة
٢٣	التنبيه الثاني : الولاية من الأمور الإضافية
٢٣	المعنى الأول : الإضافة المقولية
٢٣	المعنى الثاني : الإضافة الإشراقية
٢٦	النقطة الثالثة : أقسام الولاية التكوينية ومراتبها
٢٧	مراتب الولاية التكوينية
٢٧	المرتبة الأولى : ولاية الله سبحانه وتعالى
٢٧	المرتبة الثانية : ولاية النبي ﷺ والمعصومين من أهل بيته عليه السلام

- ٢٧ المرتبة الثالثة: الولاية الموجودة عند الأنبياء والمرسلين ﷺ
- ٢٧ المرتبة الرابعة: الولاية الموجودة عند بعض العلماء
- ٢٨ علاقة ولاية المعصومين ﷺ بولاية الله عز وجل
- ٣٢ النقطة الرابعة: مؤسس اصطلاح الولاية التكوينية

البحث الثاني

حقيقة الولاية التكوينية ومفهومها

٤١ - ١٢٥

- ٤٣ الاحتمال الأول: الولاية التكوينية نحو من أنحاء الإعجاز
- ٤٥ أركان الإعجاز
- ٤٥ الأول: صدور الفعل الخارق في مقام التحدي
- ٤٥ الثاني: صدور الفعل الخارق لإثبات المنصب الإلهي
- ٤٥ الثالث: إمكان الدعوى عقلاً ونقلاً
- ٤٦ الرابع: خرق العادة ونواميس الطبيعة
- ٤٨ الخامس: مطابقة الفعل الخارق للدعوى
- ٤٨ السادس: تزامن الفعل الخارق مع زمن الدعوى
- ٥٠ الاحتمال الثاني: الولاية التكوينية نحو من أنحاء الدعاء المستجاب
- ٥١ أدلة الاحتمال الثاني
- ٥٢ نقاط الالتقاء والافتراق بين الدعاء المستجاب والولاية التكوينية
- ٦١ الاحتمال الثالث: الولاية التكوينية هي التفويض
- ٦٢ الاتجاه الأول: التفويض الاستقلالي
- ٦٢ الدليل الأول: الدليل القرآني
- ٦٣ الدليل الثاني: الدليل الفلسفي
- ٦٥ الاتجاه الثاني: التفويض الإفاضي المطلق

٦٧	الاتجاه الثالث : التفويض الإفاضي المقيّد
٧٠	إشكال ودفع
٧٥	الولاية التكوينية من مقتضيات الذوات النورية للمعصومين <small>عليه السلام</small>
٧٩	الاحتمال الرابع : الولاية التكوينية وساطة الفيض
٨١	المحور الأول : بيان المقصود من الوساطة في الفيض
٨٣	المحور الثاني : تحليل حقيقة الوساطة في الفيض
٨٤	الوجه التحليلي الأول : الوساطة على نحو فاعل ما به الوجود
١٠٢	الوجه التحليلي الثاني : الوساطة في الفيض على نحو العلة الغائية
١٠٣	الوجه التحليلي الثالث : الوساطة في الفيض على نحو شرط قابلية القابل
١٠٥	المحور الثالث : عرض أدلة الوساطة في الفيض
١٠٥	الطائفة الأولى : ما دلت على تنزّل الفيض بهم <small>عليه السلام</small>
١١١	الطائفة الثانية : ما دلت على أنّ الخلق صنائعهم <small>عليه السلام</small>
١١٧	الطائفة الثالثة : ما دلت على أنّ الخلق مخلوقون لأجلهم <small>عليه السلام</small>
١١٩	نتيجة البحث حول الروايات
١٢١	المحور الرابع : علاقة الوساطة في الفيض بالولاية التكوينية
١٢٣	الاحتمال الخامس : الولاية التكوينية فعل طبيعي للمعصوم <small>عليه السلام</small>

البحث الثالث

العلة الفاعلية للولاية التكوينية

١٢٧ - ١٤١

١٢٩	الاتجاه الأول : خضوع الظواهر الكونية لقانون العلية
١٣٠	الاتجاه الثاني : خضوع الظواهر الكونية للإرادة الإلهية
١٣٣	العلة وراء الولاية التكوينية
١٣٣	النظرية الأولى : الله تعالى

- النظرية الثانية : العلل المادّية الطبيعيّة ١٣٥
- النظرية الثالثة : الملائكة ١٣٨
- النظرية الرابعة : نفس المعصوم عليه السلام ١٣٩

البحث الرابع

العلاقة الطردنية بين العلم و الطاعة و الولاية التكوينية

١٤٣ - ١٥٤

- شروط فاعليّة الفاعل للولاية التكوينية ١٤٥
- الشرط الأوّل : العلم ١٤٥
- الدليل الأوّل : القرآن الكريم ١٤٦
- الدليل الثاني : النصوص الروائية ١٤٨
- الدليل الثالث : الوجدان ١٥١
- الشرط الثاني : الطاعة والقرب ١٥٢

البحث الخامس

حدود دائرة الولاية التكوينية

١٥٥ - ١٧٩

- الجهة الأولى : جهة المتعلّق ١٥٧
- النقطة الأولى : بيان الأدلّة الدالّة على ضيق المتعلّق ١٥٧
- النقطة الثانية : بيان الأدلّة الدالّة على سعة المتعلّق ١٦٢
- الجهة الثانية : جهة الزمان ١٦٤
- النقطة الأولى : فعليّة الولاية التكوينية وإطلاقها ١٦٤
- الاتّجاه الأوّل : الولاية الإشائيّة المقيّدة ١٦٤
- الاتّجاه الثاني : الولاية الفعلية المطلقة ١٦٩

النقطة الثانية : امتداد الولاية التكوينية لعالم البرزخ ١٧٠

البحث السادس

أدلة الولاية التكوينية
الثبوتية والإثباتية

١٨١ - ٣٠٢

تمهيد ١٨٣

الولاية التكوينية في كلمات أعلام الطائفة ١٨٣

نتائج كلمات الأعلام الماضين حول الولاية التكوينية ١٨٤

١ - كلمة المحقق النائيني رحمته الله ١٨٤

٢ - كلمة المحقق الأصفهاني رحمته الله ١٨٥

٣ - كلمة السيد الخوئي رحمته الله ١٨٦

٤ - كلمة السيد البجنوردي رحمته الله ١٩٢

٥ - كلمة السيد الخميني رحمته الله ١٩٤

٦ - كلمة السيد الميلاني رحمته الله ١٩٦

٧ - كلمة المحقق الآملي رحمته الله ١٩٨

٨ - كلمة السيد السبزواري رحمته الله ١٩٨

٩ - كلمة المحقق السيد محمد الروحاني رحمته الله ١٩٩

١٠ - كلمة الشيخ الميرزا التبريزي رحمته الله ٢٠٠

١١ - كلمة الشيخ بهجت رحمته الله ٢٠١

١٢ - كلمة الشهيد السيد محمد الصدر رحمته الله ٢٠٢

١٣ - كلمة الحجة الشيخ مرتضى الأردكاني رحمته الله ٢٠٢

١٤ - كلمة سماحة آية الله السيد محمد حسين الطهراني رحمته الله ٢٠٣

نتائج كلمات الأعلام المعاصرين حول الولاية التكوينية ٢٠٦

- ١ - كلمة الأستاذ المحقق السيد الروحاني (دام ظلّه) ٢٠٦
- ٢ - كلمة الأستاذ المحقق السيد الشمس (دام ظلّه) ٢٠٧
- ٢ - كلمة السيد تقي القمي (دام ظلّه) ٢٠٨
- ٤ - كلمة السيد الشاهرودي (دام ظلّه) ٢٠٩
- المرحلة الأولى: مرحلة الثبوت والإمكان** ٢١٠
- النقطة الأولى ٢١٠
- الأمر الأول: تحرير محلّ البحث ٢١٠
- الأمر الثاني: إثبات ونفي الولاية التكوينية يحتاج إلى الدليل ٢١١
- الأمر الثالث: تحديد الأصل في المسألة ٢١٢
- النقطة الثانية: إثبات الإمكان الوقوعي للولاية التكوينية ٢١٣
- الجهة الأولى: جهة الفاعل ٢١٥
- الجهة الثانية: جهة القابل ٢١٦
- الجهة الثالثة: جهة التالي الفاسد ٢١٧
- المرحلة الثانية: مرحلة الوقوع والإثبات** ٢٢١
- القسم الأول: الأدلة القرآنية ٢٢١
- الدليل الأول: الآيات التي تحدّثت عن معاجز الأنبياء عليهم السلام ٢٢١
- مناقشة الشيخ التبريزي رحمه الله للاستدلال ٢٢٢
- ١ - كلام شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله ٢٢٤
- ٢ - كلام العلامة الحلّي رحمه الله ٢٢٤
- ٣ - كلام المقداد السيوري رحمه الله ٢٢٥
- ٤ - كلام الخواجة نصير الدين الطوسي رحمه الله ٢٢٥
- ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء عليهم السلام ٢٢٦
- أفضلية المعصومين عليهم السلام على الأنبياء عليهم السلام ٢٢٨

- أقوال العلماء في مسألة التفضيل ٢٢٨
- ١- الشيخ الصدوق رحمته الله ٢٢٨
- ٢- الشيخ المفيد رحمته الله ٢٢٨
- ٣- الشيخ المجلسي رحمته الله ٢٢٩
- ٤- الشيخ الحر العاملي رحمته الله ٢٢٩
- ٥- الفيض الكاشاني رحمته الله ٢٢٩
- ٦- السيّد عبد الله شبر رحمته الله ٢٢٩
- ٧- السيّد نعمة الله الجزائري رحمته الله ٢٣٠
- ٨- الأخند الملا زين العابدين الكلبي يگاني رحمته الله ٢٣٠
- ٩- المحقق النائيني رحمته الله ٢٣٠
- ١٠- الشيخ عليّ أبو الحسن الخنيزي رحمته الله ٢٣٠
- الجهة الأولى: بيان المقصود من الأفضليّة ٢٣٢
- الوجه الأوّل: الأفضليّة بمعنى الأكثر ثواباً ٢٣٢
- الوجه الثاني: الأفضليّة في الكمال والخصائص والمقامات ٢٣٢
- الجهة الثانية: الدليل على أفضليّة الأئمة: على الأنبياء والرّسل عليهم السلام ٢٣٣
- المقام الأوّل: أفضليّة المعصومين عليهم السلام على الأنبياء غير الأئمة ٢٣٣
- المقام الثاني: أفضليّة المعصومين عليهم السلام على أولي العزم ٢٣٣
- الطائفة الأولى: ما دلّ على أفضليّة الأئمة عليهم السلام على أولي العزم ... ٢٣٧
- الطائفة الثانية: ما دلّ على أنّ الأئمة عليهم السلام أفضل الخلق ٢٣٩
- الطائفة الثالثة: ما دلّ على تنزيلهم منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله ٢٤٠
- الطائفة الرابعة: ما دلّ على سعة علمهم عليهم السلام ٢٤٢
- الطائفة الخامسة: ما دلّ على توقّف نبوّات الأنبياء ورسالاتهم ٢٤٣
- على الإقرار بولاية الأئمة ٢٤٣

- الطائفة السادسة: ما دلّ على أَنَّ المعصومين عليهم السلام هم العلة الغائية
 ٢٤٤ للخلق
- الطائفة السابعة: ما دلّ على كون المعصومين واسطة الأنبياء في
 ٢٤٨ مقام التوسّل إلى الله
- الدليل الثاني: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ...﴾
 ٢٥١ المقدمة الأولى: إثبات الملازمة بين العلم بالكتاب والولاية التكوينية
- ٢٥١
 المقدمة الثانية: إثبات العلم بالكتاب لآل محمد عليهم السلام
 ٢٥٢
 المقدمة الثالثة: إثبات وحدة الكتابين
 ٢٥٣
 وقفة مع مناقشة بعض المعاصرين للآية
 ٢٥٨
 الدليل الثالث: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾
 ٢٦٢
 المقدمة الأولى: تحديد المراد من ولاية الله سبحانه وتعالى
 ٢٦٢
 المعنى الأول: ولاية التكوين
 ٢٦٢
 المعنى الثاني: ولاية النصرة
 ٢٦٣
 المعنى الثالث: ولاية التشريع
 ٢٦٣
 المقدمة الثانية: إثبات السنخية بين ولاية الله وولاية رسوله
 والأئمة عليهم السلام
 ٢٦٤
 النكته الأولى: وحدة النسبة والإسناد
 ٢٦٤
 النكته الثانية: صيغة الأفراد لمفردة الولي
 ٢٦٦
 المقدمة الثالثة: إثبات أَنَّ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في الآية هم آل محمد عليهم السلام
 ٢٦٨
 القسم الثاني: الأدلة الروائية
 ٢٧٢
 الطائفة الأولى: ما دلّ على أَنَّ الأئمة عليهم السلام ولاية أمر الله
 ٢٧٢

- الإطلاق الأول: الأمر التكويني ٢٧٤
- الإطلاق الثاني: الأمر التشريعي ٢٧٥
- الإطلاق الثالث: أمر الحاكمية والسلطنة ٢٧٧
- الطائفة الثانية: ما دلّ على وجود الاسم الأعظم عند المعصومين عليهم السلام ... ٢٧٩
- المقدمة الأولى: ثبوت الولاية التكوينية لمن لديه الاسم الأعظم ٢٨٣
- الرأي الأول: تأثير الاسم الأعظم بحقيقته ٢٨٤
- الرأي الثاني: تأثير الاسم الأعظم بحروفه ٢٨٥
- تحقيق أنّ الاسم الأعظم موجود عيني ٢٨٦
- المقدمة الثانية: وجود الاسم الأعظم عند المعصومين عليهم السلام ٢٩١
- الطائفة الثالثة: ما دلّ صريحاً على قدرتهم عليهم السلام على التصرف في الأمور
- الكونية ٢٩٤
- القسم الأول: الروايات الدالة على إمكان تصرف المعصومين عليهم السلام في
- الأمر الكونية ٢٩٤
- القسم الثاني: الروايات الدالة على وقوع تصرف المعصومين عليهم السلام في
- الأمر التكوينية ٢٩٧

البحث السابع

نقد الإشكالات المثارة
حول الولاية التكوينية

٣٠٣ - ٣٥٠

الإشكال الأول

- عدم وجود الدليل الإثباتي على الولاية التكوينية ٣٠٥
- الإشكال الثاني:
- ضعف الأدلة الإثباتية ٣٠٧

الإشكال الثالث ٣٠٩

٣٠٩ مخالفة الأحاديث للقرآن الكريم

الإشكال الرابع :

٣١٢ نفي آيات معاجز الأنبياء ﷺ للولاية التكوينية

٣١٤ مناقشة الإشكال الرابع

٣١٤ الملاحظة الأولى : الملاحظة الإجمالية

٣١٥ الملاحظة الثانية : الملاحظة التفصيلية

الإشكال الخامس :

٣١٨ نفي القرآن للولاية التكوينية

٣١٨ المنبه الأول : بشرية الرسول

٣١٨ المنبه الثاني : عدم حاجة المهمة الرسالية للولاية التكوينية

٣١٨ المنبه الثالث : انحصار الآيات بالله تعالى

٣٢٣ مناقشة الإشكال الخامس

٣٢٣ مناقشة المنبه الأول

٣٢٥ مناقشة المنبه الثاني

٣٢٧ مناقشة المنبه الثالث

٣٤١ ثبوت معجزة شق القمر

الإشكال السادس :

٣٤٣ قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾

٣٤٣ مناقشة الإشكال السادس

الإشكال السابع :

٣٤٥ قوله تعالى : ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾

٣٤٥ مناقشة الإشكال السابع

الإشكال الثامن :

عدم استخدام المعصوم عليه السلام الولاية التكوينية في موارد الحاجة إليها

دليل على عدمها ٣٤٨

كلمة الختام ٣٥٢

الفهارس

٣٥٣ - ٤٢٨

- ١ - فهرس الآيات الكريمة ٣٥٥
- ٢ - فهرس الروايات الشريفة ٣٧١
- ٣ - فهرس الأعلام ٣٨١
- ٤ - فهرس المصطلحات ٣٩٥
- ٥ - فهرس الفوائد ٣٩٩
- ٦ - فهرس المصادر ٤٠١
- ٧ - فهرس الموضوعات ٤٢١

قال السيد الخوئي (قده) :

لا شبهة في ولايتهم (عليه السلام) على المخلوقات بأجمعها ، كما يظهر من الأخبار ، لكونهم واسطة في الإيجاد ، وبهم الوجود ، وهم السبب في الخلق ، إذ لولاهم لما خُلِقَ الناس كلهم ، وإنما خلقوا لأجلهم ، وبهم وجودهم ، وهم الواسطة في الإفاضة . بل لهم الولاية التكوينية لما بعن الخالق ، فهذه الولاية نحو ولاية الله تعالى على الخلق .

مصباح الفقاهة : ٥/٥